مســـاق جامعى

تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة

إعداد الدكتور

رأفت خليل حمدونة

٢٠١٧

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل، الآية: ١٩

الإهـداء

إلى معلم البشرية ومنبع العلم نبيّنا محمد (ﷺ)، إلى الشهداء الأكرم منا جميعاً، والجرحى، إلى الأسرى والأسيرات في السجون وذويهم، إلى عموم الشعب الفلسطيني الصامد والمكافح، وإلى طلبة الجامعات الفلسطينية والباحثين والأكاديميين عامة أهدي هذا العمل.

الشكر والتقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل، من الأسرى داخل السجون، والأسيرات والأسرى المحررين الذين ساهموا بشهاداتهم الحية بتوثيق تجاربهم وشهاداتهم عبر مقابلات أجريناها ، وإلى كل المؤسسات الرسمية والأهلية الفاعلة والعاملة في مجال الأسرى وحقوق الإنسان.

وإلى الأكاديميين الذين أشرفوا على المادة كخطة وبحث من جمهورية مصر العربية وعلى رأسهم " الأستاذة الدكتورة نيفين مسعد، والأستاذة الدكتورة نادية بدر الدين أبو غازي والأستاذة الدكتورة وفاء الشربيني، والأستاذة الدكتورة حنان قنديل، والأستاذة الدكتورة أماني مسعود، والأستاذ الدكتور قدري حفني"، وعدد من الجنود المجهولين فلسطين وخارجها.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	
الوحدة الأولى: الحركة الأسيرة " النشأة والتطور "	
القسم الأول: الحركة الأسيرة تاريخها ومراحل تطورها	
القسم الثاني: السجون والمعتقلات، نشأتها وأسمائها، وطبيعتها ومواقعها الجغرافية	
القسم الثالث: محطات الاعتقال وأشكال التعذيب	
الوحدة الثانية: العوائق وبناء الذات والإمكانيات ووسائل الأسرى النضالية	
القسم الأول: عوائق سلطات الاحتلال في نيل حقوق الأسرى	
القسم الثاني: كيفية بناء الذات وتطوير الامكانيات	
القسم الثالث: دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى	
الوحدة الثالثة: التجربة الديمقراطية والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون	
القسم الأول: التجربة الديمقراطية في السجون الاسرائيلية	
القسم الثاني: المسيرة الثقافية في السجون الاسرائيلية	
القسم الثالث: المسيرة التعليمية في السجون الاسرائيلية	
الوحدة الرابعة: البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة الاحتلال	
القسم الأول: البنى التنظيمية والهياكل والمؤسسات الاعتقالية	
القسم الثاني: الوسائل النضالية للأسرى الفلسطينيين في مواجهة السَّجان	
القسم الثالث: الإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق	
الوحدة الخامسة: إبداعات الأسرى في السجون الإسرائيلية	
القسم الأول: أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون الإسرائيلية	
القسم الثاني: حضور الأسرى في المشهد السياسي " وثيقة الأسرى نموذجاً "	
القسم الثالث: أدب السجون "الخصائص والمميزات"	
المراجع	

مقدمـــة :

وثق المؤرخون الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من العام ١٩٦٧م في أعقاب هزيمة حزيران، واحتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية، وزجّ الآلاف من أبنائها في معتقلات الاحتلال وارتفاع عددهم بشكلٍ كبير، بحيث أصبحت حياة المعتقل ظاهرة بارزة في حياة الشعب الفلسطيني ككل[١]، في أعقاب بلورة القواعد الأساسية وظهور الحركات والتنظيمات الفلسطينية وبروز الأعمال الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وللتأريخ فإن جذور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة لا تنحصر بالعام ١٩٦٧م بل تعود لفترة الانتداب البريطاني لفلسطين الذي سجن الثوار وأعدمهم في سجن عكا " عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي " في العام ١٩٣٣م والشيخ المجاهد فرحان السعدي والشيخ يوسف أبو دية في العام ١٩٣٩م واعتقال العشرات من المقاومين أمثالهم، وتشير الوثائق إلى أن العصابات الصهيونة أقامت معسكرات اعتقال للفلسطينيين وتصفية البعض منهم خلال حرب ١٩٤٨ م [٢] ، وهناك صعوبة كبيرة في تحديد عدد الأسرى الذين تم اعتقالهم في السجون الإسرائيلية في الفترة ما بين ١٩٤٨ – ١٩٤٩م في أعقاب الحرب من الفلسطينيين والعرب، لأن الإحصائيات المتوفرة جزئية في تلك الفترات، وعليه فقد تباينت المصادر بشأن العدد الدقيق الذي يتراوح ما بين ٧٠٠٠ معتقل كحد أدنى و ١٢٠٠٠ معتقل كحد أقصى [٣].

وخلال المساق استندنا في تبيان حقوق الأسرى وانتهاكات سلطات الاحتلال الإسرائيلي لها لعددٍ كبير من القوانين والاتفاقيات الدولية، وما صاغته وتعارفت عليه وتوصلت إليه الإنسانية، من أعراف ومفاهيم تعطي الحقّ للشعوب المقهورة، برفع الظلم عن كاهلها وتحقيق غاياتها، كلغةٍ عالمية متفق عليها بين الشعوب.

وسيجيب المساق التعليمي عن السؤال كيف واجه الأسرى والمعتقلون الفلسطينيون في السجون والمعتقلات الإسرائيلية الكم الكبير من العراقيل والعقبات التي وضعها السجان لتحطيم معنوياتهم وللحيلولة دون تطوير إمكانياتهم وقدراتهم، وسيوضح كيف استطاع الأسرى والمعتقلون

---

(١) عبد الستار قاسم: التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية"، ط١، نابلس، قسم العلوم السياسية، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٨٦م.، ص١١.

(٢) محمد أبو شريعة: (٢٠١٣)، "الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية (٢٠٠٦ – ٢٠١٢)"، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.، ص١٨ .

(٣) مصطفى كبها، وديع عواودة، أسرى بلا حراب " المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الاسرائيلية الأولى ١٩٤٨ – ١٩٤٩، بسروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٣، ص٢١.

إيجاد المؤسسات الديمقراطية للتنظيمات الفلسطينية في السجون، وبين السجون، وفي السجن الواحد، وفي التنظيم الواحد، ومتى بدأت تجربة الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي وصلت لمئات الأيام، وكيف أوجدوا معادلة توازنٍ بينهم وبين إدارة مصلحة السجون، رغم الإمكانيات الأخيرة مقابل افتقار الأولى من الإمكانيات المادية، وكيف حققوا أشكال التواصل والاتصال بين السجون وخارجها، وفي تجارب التعليم وحصولهم على الدراسات العليا من جامعاتٍ إسرائيلية وعربية ودولية، وكيف صاغوا ثيقة الأسرى التي تحولت لوثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني لتحقيق الوحدة الوطنية، وكيف واجهوا منع الزيارات وانقطاع النسل بإدخال الهواتف النقالة لداخل السجون لتوفير الاتصال بالأهل في ظل منع الزيارات لسنواتٍ طويلة، و إخراج النطف وإنجاب الأطفال كتجربةٍ غير مسبوقة على مستوى حركات التحرر العالمية.

إنّ هذا المساق التعليمى يقدم للطالب تفسيراً حول إنجازات الأسرى التي أثرت إيجاباً على مجمل حياة الحركة الأسيرة الفلسطينية، بل على مجمل الحياة النضالية الفلسطينية تأثرًا بتجاربهم، لأن السجون والمعتقلات كانت ولا زالت مدرسةً وطنيةً وتربويةً ودائرة من دوائر العمل النضالي الإبداعي فصاغت وبلورت طلائع الأسرى والمعتقلين، الذين كان لهم عظيم التأثير في بلورة الوعي النضالي والديمقراطي في المجتمع الفلسطيني[1]، وكان لآلاف الأسرى المحررين دورهم في هذا الاتجاه، بعد أن تخرجوا من أكاديمية السجون وتصدروا المواقع والمراكز المتنوعة، وتبوؤوا مواقع سياسية وأماكن مهمة في المؤسسات المجتمعية المختلفة ولعبوا ولا زالوا دوراً مؤثراً في الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والإعلامية، كقادة سياسيين وعسكريين، ووزراء ونواب وأمناء عامّين وأعضاء مكاتب سياسية لفصائل وحركات ثورية، وأعضاء في المجلسين " الوطني والتشريعي"، ومدراء لمؤسسات رسمية وأهلية، وخبراء ومفكرين، ونخب أكاديمية وإدارية.

ولم يكن إضافة المساق للمناهج التعليمية الفلسطينية من باب الإضافة الأدبية، وإنّما إنصافاً لمن ضحوا بكلّ حياتهم وزهرات شبابهم من أجل الحرية والسيادة والاستقلال، وإنصافاً لقضيةٍ إنسانية وأخلاقية ووطنية وقومية وسياسية ودينية بحجم معاناة مئات الآلاف من الأسرى والأسيرات.

كاتب المساق

د. رأفت حمدونة

(١) خالد الهندى: التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ص١٩٠.

الوحدة الأولى

الحركة الأسيرة " النشأة والتطور "

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

أهلاً بك عزيزي الطالب في الوحدة الأولى من مقرر "تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة"، التي نأمل أن تكون قيمةً ومفيدة لك، ونتمنى أن تزودك بقضية مصيرية وهامة بحجم قضية الأسرى والمعتقلين، كقضية إنسانية وأخلاقية ووطنية وقومية ودينية من الدرجة الأولى، كونها قضية إجماعٍ وطني، وقضية توفيقية ووحدوية لم يختلف عليها أحد منذ بدء النضال ضد المحتل.

اشتملت الوحدة على ثلاثة أقسام رئيسية:

- القسم الأول : (الحركة الأسيرة نشأتها ومراحل تطورها)
- القسم الثاني : (السجون والمعتقلات، نشأتها وأسماؤها، وطبيعتها ومواقعها الجغرافية)
- القسم الثالث : (محطات الاعتقال وأشكال التعذيب)

نتمنى عزيزي الطالب مرة أخرى أن تشكل هذه الوحدة ركيزة أساسية في فهم ما يحدث مع الأسرى والأسيرات من انتهاكات من جانب الاحتلال لحظة الاعتقال، وفي داخل السجون وأقبية التحقيق من قبل جهاز الأمن الإسرائيلي وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الطالب بعد مطالعتك لهذه الوحدة، ومقابلة عدد من الأسرى المحررين، وتصفحك للمواقع الإلكترونية المختصة بقضية الأسرى، والقيام بملخص عام لأهم النقاط، والقيام بالأنشطة المطلوبة من قبل مشرف المادة، نأمل بأن تكون قادرًا على أن تتعرف على .....

١- معاناة الأسرى الأوائل في بدايات الحركة الأسيرة.
٢- التعرف على الفرق بين السجون المركزية والمعتقلات ومراكز التوقيف والتحقيق وأماكنها.
٣- تطور الحركة الفلسطينية الأسيرة وحجم التضحية الذي بذل في سبيل الحفاظ على كرامة الأسرى وحقوقهم وذويهم.
٤- انتهاكات دولة الاحتلال بحق الأسرى والأسيرات، وتجاوزها للاتفاقيات والمواثيق الدولية.

3.1 أقسام الوحدة

اشتملت الوحدة على ثلاثة أقسام رئيسية:

- القسم الأول: (الحركة الأسيرة نشأتها ومراحل تطورها) هنا سنتناول ظروف الاعتقال الأولى، وتقسيم مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة ومراحل النضال، وذروة تحقيق الإنجازات والانتصارات، والإضاءات المشرقة والإبداعية فيها.
- القسم الثاني: (السجون والمعتقلات، نشأتها وأسماؤها، وطبيعتها ومواقعها الجغرافية) سيوضح الكاتب فيه السجون القديمة والجديدة والمعتقلات ومراكز التوقيف والتحقيق، وشرح مبسط عنها، وتوضيح الأماكن والأعداد التي تستوعبها، ونبذة تعريفية عنها.
- القسم الثالث: (محطات الاعتقال وأشكال التعذيب) في هذا القسم سيتناول الكاتب تعامل دولة الاحتلال مع الأسرى من الناحية القانونية، وعدم التزامها بالاتفاقيات والمواثيق الدولية، وحرمانهم من حقوقهم الأساسية والإنسانية بدءًا من الاعتقال والمكانة القانونية، وأساليب التحقيق والتعذيب، والمحاكم العسكرية الردعية، والتضييق عليهم في كل مناحي الحياة اليومية والمعيشية.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس حاول أن تنوع مصادر معلوماتك من خلال المصادر التالية لتتعرف أكثر على

- ١ عبد الستار قاسم: التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية"، ط١، نابلس، قسم العلوم السياسية، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٨٦م .
- غادة موسى: أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ٢٠٠٦م .
- قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية ، ١٩٨٩م .
- عبد الناصر فروانة، "الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال"، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، ٢٠١٥م.
- زياد أبو زياد: (٢٠١٢م)، "تأثير حقبة أوسلو على وحدة وإنجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية ١٩٩٣– ٢٠١٢م)"، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة القدس، قسم العلوم السياسية، القدس – أبو ديس .

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة :

تحتاج عزيزي الدارس إلى الحصول على لقاءات مع الأسرى والأسيرات المحررات، وزيارة أهالي الأسرى للتعرف على معاناتهم، والاطلاع على بعض الدراسات من خلال المؤسسات العاملة في مجال الأسرى والمكتبات، والاطلاع على القراءات السابقة، هذا بالإضافة إلى تهيئة الجو الدراسي الملائم، وقراءة الوحدة قراءة متأنية، والإجابة عن التدريب وأسئلة الوحدة، لكي تحقق الفائدة المرجوة منها.

القسم الأول

الحركة الأسيرة نشأتها ومراحل تطورها

وثق المؤرخون الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من العام ١٩٦٧م في أعقاب هزيمة حزيران، واحتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية، وزجّ الآلاف من أبنائها في معتقلات الاحتلال وارتفاع عددهم بشكلٍ كبير، بحيث أصبحت حياة المعتقل ظاهرة بارزة في حياة الشعب الفلسطيني ككل(١)، في أعقاب بلورة القواعد الأساسية وظهور الحركات والتنظيمات الفلسطينية وبروز الأعمال الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلي ، وكما أسلفنا بأن بدايات الحركة الفلسطينية الأسيرة متزامن مع حالة النضال الفلسطيني ما قبل ١٩٦٧م، بل تعود لفترة الانتداب البريطاني لفلسطين ، وإلى ما بعد النكبة الفلسطينية وقيام دولة الاحتلال الإسرائيلي على أنقاض الشعب الفلسطيني في العام ١٩٤٨م .

حرصت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ بدايات التوثيق للحركة الأسيرة في العام ١٩٦٧م على معاقبة المناضلين الفلسطينيين وإبقائهم في ظروف اعتقالية متدنية للغاية في تلبيتها للاحتياجات الإنسانية الأولية، وما نقصده بشروط الاعتقال هي مجمل الشروط المادية التي يوفرها السجن لقاطنه لأجل ممارسة حياته بصفته كائناً حياً في المعاملة والسكن والمنام والملبس والمأكل والعلاج الطبي(٢).

في هذه المرحلة أي ما بعد حرب حزيران " النكسة " تجرّع المعتقلون الأوائل مرارة سياسة استهدفتهم من أبواب كثيرة وطنية ونفسية واجتماعية وفكرية، فقد اتبعت حكومة إسرائيل في هذه المرحلة كل الأساليب الممكنة لأجل تحقيق هدفها في تطويع المناضل الأسير لإخضاعه تمهيداً لشطبه وطنياً وإنسانياً(٣).

وحينما نتحدث عن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة نقصد "جموع الأسرى والأسيرات الذين دخلوا السجون" كون أن إسرائيل اعتقلت منذ بدء احتلال فلسطين آلاف النساء من بينهن أمهات وقاصرات وكبيرات سن (٤)، شاركن في المقاومة، ورفعن أصواتهن عالياً مطالبات

---

(١) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص١١.

(٢) عيسى قراقع: "الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو ١٩٩٣-١٩٩٩"، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٠م.، ص٢٤.

(٣) وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينيةوفا: http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3999

(٤) فراس أبو هلال: معاناة الأسير الفلسطيني، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠٠٩ ص٨٥.

باسترداد حقوقهن المغتصبة وأرضهن السليبة[١]، فساهمت المرأة الفلسطينية وشاركت بفعالية وعطاء في كل مجالات العمل النضالي الكفاحي[٢]، وامتشقت البندقية وقاومت وخاضت غمار الكفاح المسلح[٣]، وتعرضت للاعتقال والإبعاد والإقامة الجبرية [٤]، وفي السجون خاضت الأسيرات العديد من النضالات والخطوات الاحتجاجية والإضرابات المفتوحة عن الطعام في سبيل تحسين شروط حياتهن المعيشية، والتصدي لسياسات القمع والبطش اللواتي تعرضن لها[٥].

أولاً–ظروف الاعتقال الأولى:

بإجماع الباحثين، كانت بدايات الاعتقال لا تصلح للحياة الآدمية، وبعيدة كل البعد عن شروط الحياة الإنسانية، والاتفاقيات والمواثيق الدولية التي وضعت قوانين وقواعد لمعاملة الأسرى وقت النزاعات والحروب، ولم تكن تلك المعاملة عفوية أو نتيجة لظروف سياسية معينة بل كانت ممنهجة من قبل الحكومات الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون.

أما عن بدايات الحركة الوطنية الفلسطينية صعبة جداً، وليست ذات أي معنى للحياة، فلا كتاب ولا راديو ولا تلفاز ولا صحيفة، مقطوعين عن العالم الخارجي، بلا زيارات للأهل، ولا طعام نظيف ولا علاج للمرضى، ومنعونا من التعليم والندوات والجلسات الثقافية، ومنعوا عنا النوم في النهار، والمعاملة كانت صعبة.

واتسمت تلك الفترة بشهادة من عايشوها بالكثير من القهر والمعاناة الكبيرة، فلم تسمح فيها لنا إدارة السجون بالجلوس أو الحديث داخل الغرفة وخارجها، وفي حال تم مشاهدة مجموعة تجلس مع بعضها، يتم اقتحام الغرفة والاعتداء عليهم، ومعاقبتهم ونقلهم إلى الزنازين، وكنا مجبرين بالرد على السجان بكلمة " نعم يا سيدي "، و كان الأسرى يدخلون الحمام للاستحمام مرة واحدة كل أسبوع، ويتم تعرية الأسرى كاملا بشكل مهين وبشع جدا أمام ناظر الآخرين ممن معه، ولأقل من خمس دقائق ثم يخرجوه قبل أن ينتهي، وكان الأسير ملزمًا بالاستيقاظ ما بين الساعة الخامسة والنصف إلى السادسة صباحاً مستعداً ومنتظرا العدد " كما كان يمنع على الأسير

(١) وليد الفاهوم، فلسطينيات فى سجن النساء الاسرائيلى، عمان، دار الجليل للنشر، ١٩٨٥، ص٧.

(٢) سامى الأخرس: فيروزيات نضالية، غزة، فلسطين، مطبعة الأندلس، ٢٠١٥، ص٤٩.

(٣) جمعية الدراسات النسوية، المجموعة العربية للتنمية: الأسيرات المحررات الفلسطينيات، غزة، فلسطين، شركة مطابع بيت المقدس، ٢٠١٤، ص٥.

(٤) وليد الفاهوم، الحركة النسائية الفلسطينية، رام الله، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠٠٠، ص٩٥.

(٥) غادة بدر: "أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي"، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٨٤.

امتلاك الأوراق أو الأقلام أو الكتب ومن يضبط بحوزته أياً منها، كانت غرفته تتعرض لتفتيش دقيق يتم خلاله قلب الغرفة وتحطيم محتوياتها والعبث بأغراض وملابس الأسرى الاخرين ، وكل ممتلكات الأسرى أربعة بطانيات برائحة نتنة ومتسخة، ولم يوجد وسادات بل كنا نضع الحذاء تحت رؤوسنا وعليه بطانية، وقطعة بلاستيكية نضعها تحتنا بسمك ١سم وصحنان " قروانان " وكاسة بلاستيك وملعقة، ولم يسمح بامتلاك الملابس بل كل ما نلبسه الغيار الداخلي وأبرهول، وعانى الأسرى من الأمراض الجلدية وانتشار الحشرات كالبق والقمل، وكان الأسرى يشعرون بالجوع دوماً لقلة الطعام وسوءه كماً ونوعاً، وكان يسمح فقط بسماع صوت إسرائيل باللغة العربية لساعتين، ساعة صباحاً وساعة مساءاً للأخبار وأغاني أم كلثوم، وجريدة الأنباء تصدرها المخابرات الإسرائيلية بشكل موجه".

وبالإضافة إلى المعاملة غير الإنسانية قامت دولة الاحتلال في بداية الاعتقال بتشغيل الأسرى الفلسطينيين وفق نظام السخرة بهدف الاستغلال والإذلال والمهانة .

في هذه الحقبة لم يهتم المعتقلون بالانتماء الفصائلي لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بنائها الإداري وهيكلها التنظيمي وأيضاً فإنهم لم يكونوا يميزون كثيراً بين الفصائل المختلفة فهم كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء حركة وطنية فلسطينية واحدة، هذا بالإضافة إلى ضعف التجربة فإن مسألة إقامة أطر تنظيمية وتشكل هياكل إدارية لم تستحوذ على اهتمام خاص لدى المعتقلين، ومن ناحية ثانية فإن كثيراً من الروابط والعلاقات التي كانت تسود بين المعتقلين في السنين الأولى بعد عام ١٩٦٧م كانت تقوم على أساس بلدي أو عشائري أو شخصي وأحياناً أخرى على أساس الانتماء لمجموعة أو خلية واحدة قبل الاعتقال.

ثانياً-مراحل تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة:

مرت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة منذ نشأتها في العام ١٩٦٧م بعدة مراحل وهي:

١-مرحلة " ١٩٦٧ – ١٩٧٠م " مرحلة المخاض:

بدأت هذه المرحلة مع بداية الاحتلال الصهيوني، واستمرت حتى منتصف السبعينات، وشهدت هذه المرحلة أحداثاً صعبة أبقت على تدني مستوى نشاطات الحركة الأسيرة التنظيمية والثقافية والاجتماعية، وقد تميزت هذه المرحلة:

- شدة القمع والإرهاب الممارس من قبل إدارة المعتقلات.
- تدنى المستوى التنظيمي والسياسي والنضالي لدى أغلبية المعتقلين، وذلك بسبب حداثة انتمائهم للثورة، وما رافق ذلك من قلة التجربة ومحدودية الوعي الثوري وضعف التجربة التنظيمية قبل دخول المعتقل.
- اعتماد العقلية العشائرية في فض وحل الخلافات التي كانت تقع أحياناً بين المعتقلين.
- وجود مرافق العمل، وما ترتب عليها من آثار سلبية (١)، كإعاقة البناء التنظيمي والعمل بنظام السخرة من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية.
-

٢-مرحلة " ١٩٧٠ – ١٩٨٥م " مرحلة البناء:

بدأت هذه المرحلة من بداية السبعينات، حتى منتصف بداية الثمانينات، وفيها تمكنت الحركة الأسيرة من تجاوز المعوقات التي حالت في المرحلة الأولى دون تقدمها وتطورها ٢

في هذه المرحلة بدأت حالة النضال والتمرد والاستنهاض وبدء الحياة التنظيمية والقرار الجماعي واللجان الاعتقالية ووضع اللوائح الداخلية في السجون ، وذلك بالتزامن مع بدء الإنتماء الفصائلي بين المعتقلين ، وفي أعقاب اعتقال الخلايا التنظيمية والخبرات الإدارية والشخصيات القيادية، التي عملت على " القضاء على حالة التسيب والفوضى من جهة، ولمواجهة إدارة السجون التي تفرض أوضاعاً قاسية تتنافى مع أبسط القيم والأعراف الدولية والإنسانية من جانب آخر٣ ، ومن أهم ما بلورته هذه التجربة هو بناء الحياة التنظيمية على أساس مركزي، حيث برز ولأول مرة هيكل تنظيمي يقوم على أساس المراتب التالية (موجه عام يقف على رأس التنظيم وموجه قسم وموجه غرفة وموجه خلية، واللجنة المركزية على قمة الهرم التنظيمي تضع السياسة العامة، واللجنة الثقافية، كمشرفة على النشاط الثقافي والجلسات، بالإضافة إلى النشاط الأمني والمالي والاجتماعي مع الضبط الإداري، وترسيخ الالتزام الثوري بالحياة التنظيمية في ظل القانون تحت شعار لا فردية ولا انتهازية ولا مساومة بل روح المجموع وصمود ونضال ٤ .

(١) عبد الستار قاسم وآخرون، مرجع سابق ، ص٧٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٦.

(٣) محمد لطفى ياسين: التجربة الاعتقالية فى السجون الاسرائيلية، ص١١٥

(٤) قدرى أبو بكر قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية ، ١٩٨٩ ، ص١٣٨ .

٣- مرحلــة " ١٩٨٦ – ١٩٩٤م " مرحلــة النضــال الشــامل وذروة تحقيــق الإنجــازات والانتصارات.

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في أعقاب عملية التبادل في العام ١٩٨٥م، أن تنال من الحركة الوطنية الأسيرة بسبب تحرير عدد كبير من قيادات السجون والكوادر الاعتقالية، والالتفاف عما حققه الأسرى من إنجازات مهمة جداً كنتيجة لإضرابي نفحة ١٩٨٠م وإضراب جنيد في العام ١٩٨٤م والذي حقق إدخال التلفاز والراديو وإدخال الكتب والحرامات والملابس، فبدأت بحملة من القمع وفرض الإجراءات الخانقة والمذلة لتصبح الحركة الأسيرة في موقف الدفاع عن منجزاتها التي حققتها بالتضحيات الغالية حيث خاض الأسرى سلسة من الإضرابات الجزئية والشاملة في إطار التصدي لهجمة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على حقوقهم، وفي ١٩٨٧م خاض الأسرى إضراب سجن جنيد استمر ٢٠ يوماً لمناهضة تلك السياسات التي استهدفت البنى التحتية للسجون[١]، لاشك أن عملية تبادل الأسرى في العام ١٩٨٥م والتي تمت في ٢٠ مايو ١٩٨٥م م بين إسرائيل والجبهة الشعبية القيادة العامة والتي أطلقت إسرائيل بموجبها سراح ١١٥٥ أسيراً مقابل ثلاثة جنود إسرائيليين كانت مؤثرة على الحركة الأسيرة بسبب الإفراج عن مئات الكوادر المجربة والقيادات التنظيمية القادرة والمتمكنة.

ما وجدناه أن من تبقى في الاعتقال شعر بمحاولات إدارة السجون لاستغلال هذا الظرف، ولكنها فشلت لدفاع من تبقى من الأسرى عن منجزاتهم بشراسة، وبدؤوا ببث الأمل في روح بعضهم البعض، وعكفوا على تقوية المعنويات وبث روح النضال من جديد، وتم صقل شخصية الأسير المناضل القادر على مواجهة السجان بحرفية وتجربة نضالية عالية، وبدأوا ببرامج ثقافية يومية مكثفة، تخللتها ثلاث جلسات في مجالات متعددة، أهمها نقل التجربة الاعتقالية للجدد، وحافظوا على قمة النشاط والحيوية والانضباط والتنظيم، ولم يسمحوا بلحظة من الفراغ، معتبرين أن الفراغ تربة خصبة للأمراض، وتواصلوا مع الخارج بالأسرى المحررين الذين كان لهم دور بمساندة خطواتهم النضالية.

فالكوادر التي بقيت رهن الاعتقال بعد التبادل لعبت دوراً كبيراً في ملء الفراغ، وبذلت جهوداً استثنائية في قيادة المعتقلين الجدد خاصة في أعقاب انتفاضة ١٩٨٧م والتي اعتقل فيها عشرات الآلاف بقي منهم ما يقارب من ١٥,٠٠٠ معتقل تشربوا ممن تشربوا مفاهيم وأسس التجربة التنظيمية والفكرية والثقافية والإبداعية، حتى أن الأسرى في هذه المرحلة تفاعلوا بشكل

(١) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص٣١.

كبير جداً مع مستجدات الانتفاضة الفلسطينية فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات التي تناولت الانتفاضة تشخيصاً وتحليلاً، وتبنوا الشهداء، وأحيوا في احتفالات خاصة مناسبة دخول الانتفاضة في كل شهر جديد من عمرها النضالي وكثفوا مراسلاتهم مع فصائلهم محاولين الإسهام من وحي تجاربهم النضالية بالاقتراح والتصور لعل ذلك يغني ويفيد التجربة [١].

وكانت ذروة الإنجازات والانتصارات لهذه المرحلة تجسدت في إضراب ١٩٩٢/٩/٢٧م والتي تجسدت فيها الوحدة والتماسك الاعتقالي، والتعبئة النضالية والروح الوطنية العالية للأسرى، والالتفاف حول قيادة وطنية اعتقالية موحدة، وقوة التنظيمات والمؤسسات الاعتقالية، والتواصل مع الخارج والعلاقات الوطنية الاعتقالية، والتفاهم على الحد الادنى والأقصى لمطالب الأسرى وقد تحققت في هذا الإضراب جميع مطالب الأسرى، كالتعليم الجامعي في الجامعة المفتوحة في إسرائيل، وإدخال البلاطة الكهربائية للطهي في داخل الغرف، والسماح بالمراوح، والاعتراف بممثل الأسرى والتعامل معه، والسماح بالاتصال الهاتفي والزيارات الخاصة، وإغلاق أقسام العزل، والسماح بساعة رياضة صباحية، ووقف التفتيش العاري وزيادة وقت الزيارة وإدخال الأطفال للأسير [٢].

في هذه المرحلة ظهرت القدرة من قبل الأسرى على استيعاب التراث النضالي والاعتقالي وتمكنوا من تخليد تجربة مشرفة تسترشد بوحي نظريتها ومعالمها الأجيال الاعتقالية، ولتضيء لهم طريق النضال الاعتقالي دون الوقوع في الأخطاء ومن ثم السقوط في هاوية التخبطات [٣].

٤- مرحلة مرحلة " ١٩٩٤ – ٢٠٠٠م " مرحلة النضال السياسي:

منذ التوقيع على وثيقة إعلان المبادىء في واشنطن بتاريخ ١٩٩٣/٩/١٣م بين منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) وحكومة إسرائيل حدث تحول نفسي عند الأسرى الفلسطينيين المحتجزين في السجون الإسرائيلية حيث ارتفعت مستويات التوقع لديهم، والمتعلقة بإنهاء معاناتهم والإفراج عنهم، حيث رأوا أن حصيلة أية تسوية سياسية بين طرفي النزاع لابد وأن تشمل إطلاق سراح المعتقلين، ومن هنا فإن تفاعل الأسرى مع الاتفاقيات الموقعة كان كبيراً ومشبعاً بالآمال

(١) حسن عبد الله: الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين، القدس، اصدار نقابة الصحفيين الفلسطينيين، ٢٠٠٥، ص٣٧.

(٢) رأفت حمدونة، صرخة من أعماق الذاكرة، غزة، فلسطين، دائرة شؤون الأسرى، ٢٠٠٦، ص٣٢.

(٣) عبد الحق شحادة: "التجربة النضالية لمعتقل عسقلان"، ط ٢، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ١٩٩٩، ص٥٩.

وقد يكون هذا التفاعل هو أحد أبرز التحولات الداخلية على صعيد مجتمع الاعتقال وعلى كافة المستويات تنظيمياً وسلوكياً وثقافياً[١].

في هذه المرحلة تراجعت الاهتمامات على المستوى النضالي والاعتقالي [٢] ، وكان الوضع خلال هذه السنوات صعباً وقاسياً على المعتقلين- من الناحية النفسية - إلا أنهم بتجربتهم الطويلة الغنية كانوا يحاولون امتصاص التطورات السلبية والتعامل مع المعطيات الجديدة وفق رؤية وطنية لا تسمح للاحتلال بكسر التجربة فجاء موقف المعتقلات الفلسطينيات اللواتي رفضن بعد اتفاقية طابا تجزئة قضيتهن عندما حاول الإسرائيليون استثناء خمس أسيرات [٣]، وشهدت هذه المرحلة ثلاثة إضرابات سياسية الأول في ١٩٩٤/٦/٢١م وجاء على خلفية توقيع القاهرة، وكان إضراباً قصيراً استمر ثلاثة أيام، والثاني في ١٩٩٥/٦/١٨م تحت شعار إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات دون استثناء واستمر ١٨ يوم، فيما أعلن الأسرى إضرابهم الثالث في ١٩٩٨/٢/٥م واستمر عشرة أيام [٤] ، والدخول في إضراب مطلبي مفتوح عن الطعام في عام ٢٠٠٠/٥/١م، واستمر هذا الإضراب شهر كامل[٥]، وقد تبين فيما بعد أن المفاوضات في هذا الإضراب جرت ولأول مرة مع الشاباك الإسرائيلي[٦] ، وتم تحقيق إخراج المعزولين الفوري، ووقف التفتيش العاري وغير ذلك من إنجازات [٧] ، في هذه المرحلة كان السجن هادئاً نسبياً ، وظروف الأسرى كانت سهلة وعدد الأسرى كان قليلاً بحكم الإفراجات ، وسادت في هذه المرحلة معاملة هادئة من جانب السجانين مع الأسرى[٨].

٥- مرحلة " ٢٠٠١ – ٢٠٠٦م " مرحلة الاستيعاب ومحاولات الاستنهاض.

في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية في العام ٢٠٠٠م، بدأ الأسرى من جديد بالتدفق إلى السجون، ليرتفع عددهم وفق تقرير ٢٠٠٨م لوزارة الأسرى إلى أكثر من (١١٥٥٠) أسير[٩] في

(١) نفس المصدر، ص٥٩.

(٢) زياد أبو زياد: (٢٠١٢)، "تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية ١٩٩٣- ٢٠١٢)"، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة القدس، قسم العلوم السياسية، القدس – أبو ديس، ص٩٠.

(٣) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص٤١.

(٤) حسن عبد الله: مرجع سابق ، ص٤٢.

(٥) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص٨٣.

(٦) أحمد أبو السعود: "ومضات من خلف القضبان"، غزة، وزارة الثقافة العامة، ٢٠١٤، ص٧٩.

(٧) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص٨٤.

(٨) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص٧٩.

(٩) الدائرة الاعلامية لوزارة شؤون الأسرى: تقرير شامل، غزة، فلسطين، مكتبة الجامعة الاسلامية، ٢٠٠٨، ص٢.

أعقاب الاجتياح الكبير للضفة الغربية في التاسع والعشرين من آذار ٢٠٠٢م، ما استوجب إعادة افتتاح أقسام كان يقطنها أسرى جنائيون، وسجون أخرى كانت مغلقة [١]، ومع الوقت جرى إنشاء أقسام جديدة وسجون ومعتقلات جديدة [٢]، ومع ازدياد العدد الضخم من الأسرى في السجون، في هذه المرحلة عاش المعتقلون ظروفاً قاسية جداً ولا تطاق، وظهرت وحدات خاصة [٣] للتضييق على الأسرى، فدخلت الأقسام مقنعة ومسلحة، ومارست الإرهاب والصراخ، والقيود والضرب، ومصادرة الممتلكات الخاصة، وقامت بإطلاق النار على المعتقلين وقتلت الأسرى بالرصاص الحي، وأجرت التفتيشات والاقتحامات الليلية المفاجئة، وبررت حكومة الاحتلال هذه الانتهاكات بالادعاء أن الأسرى يواصلون القيام بعمليات فدائية، وتحريض، وتنظيم عمليات استشهادية من داخل السجون، وكان أحد عناوين هذه الهجمة أجهزة الهواتف الخلوية المهربة [٤] إلى داخل السجون ، ولمحاربة انتهاكات سلطات الاحتلال قام الأسرى في هذه المرحلة بالدخول فاضراب مفتوح عن الطعام استمر لتسعة عشر يوماً متتالية في ١٥ آب / أغسطس ٢٠٠٤ م .

وبالتالي وقف الجميع " قدامى وجدد " على أعتاب مرحلة جديدة حملت معها من تبقى من الأسرى القدامى من مرحلة أوسلو، إلى الانتفاضة الثانية بلا تهيئة ولا تمهيد، واصطدم القدامى بسيل هادر من الأسرى الجدد، في هذه المرحلة أصبح من الصعب صياغة البرامج التي تلائم احتياجات هذا الكم الهائل من الأسرى، الأمر الذي دفع المؤسسة الاعتقالية للعمل على إعادة استنهاض نفسها لاستيعاب التطورات الجديدة بطريقة تعيد إلى الأذهان إلى الآليات التي استخدمتها المؤسسة في استقبال أسرى الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م[٥].

٦- مرحلة " ٢٠٠٧ – ٢٠١٧م " مرحلة الانقسام السياسي والنضال الجماعي والفردي:

في أعقاب الانتخابات التشريعية التي جرت بتاريخ ٢٠٠٦/١/٢٥م ، ارتفعت وتيرة الصدام في الخارج بين حركتي فتح وحماس ، وبدأت منذ حزيران ٢٠٠٧م مرحلة الانقسام التي

---

(١) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) منها (سجن ايشل وأوهليكيدار " داخل سجن السبع "، وهداريم قسمى ٤ و ٨ وريمونيم، وسجن جلبوع، والرملة قسمى ٣ و ٤، وسجن نفحة الجديد ١٠ و ١١و ١٢، وسجن ريمون، وأعاد الاحتلال افتتاح معتقل النقب، وعدداً من مراكز الاعتقال كعوفر وعتسيون وقدوميم) .

(٣) " كوحدة المتسادا والناحشون ودرور وكيتر وغيرها ".

(٤) محمد أبو شريعة: : مرجع سابق، ص٨٧.

(٥) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص٩٦.

استمرت حتى سبتمبر أيلول ٢٠١٧م بتدخل جمهورية مصر العربية باستلام حكومة الوفاق برئاسة د. رامى الحمد الله قطاع غزة من جديد ، في هذه المرحلة من الصدام المسلح والانقسام قدمت قيادة الحركة الأسيرة في السجون مبادرة عرفت باسم " وثيقة الأسرى " [١]، والتي سميت بوثيقة الوفاق الوطني في ٢٠٠٧/٦/٢٧م كوثيقة نهائية بعد إجراء بعض التعديلات عليها من القوى الفلسطينية.

يشار إلى أن أبرز ملامح هذه المرحلة هو الاستقرار النسبي للأوضاع في السجون بشكل عام، بعد أن خبا أوار الانتفاضة، وتوقفت تقريباً سيول الاعتقالات وتمازجت التجارب بين الأسرى القدامى والجدد على ضوء التنقلات الكثيرة ، فكان لابد في ظل هجمة إدارة مصلحة السجون من إحياء الأوضاع التنظيمية [٢] مقابل هجمة شرسة غير مسبوقة من قبل إدارة السجون بالتعاون مع أجهزة الأمن الاسرائيلية عليهم مستغلة حالة الانقسام الفلسطيني في خارج السجون، وقامت بفرض واقع مشابه داخله، وقامت بفصل الأسرى وصنفتهم تنظيمياً وخاصة أسرى حركتي فتح وحماس.

في هذه المرحلة دخل الأسرى عدد من الإضرابات المفتوحة الجماعية والفردية رفضاً للاعتقال الإاري، كإضراب شطة في ٢٠٠٦م، وإضراب أسرى الشعبية لوقف العزل الانفرادي في ٢٠١١م، ١٧/ نيسان ٢٠١٢م واستمر ٢٨ يوماً، ونيسان ٢٠١٤م رفضاً للاعتقالات الإدارية، وإضراب ١٧ نيسان ٢٠١٧م بقيادة عضو اللجنة المركزية لحركة فتح النائب مروان البرغوثي واستمر ٤١ يوماً متتالية.

وقامت في هذه المرحلة الأداة التنفيذية المتمثلة بإدارة مصلحة السجون بهجمة غير مسبوقة على الأسرى في كل السجون طالت كل مناحي الحياة، وسن القوانين والمقترحات التي تضيق على الأسرى بوجود حكومات متطرفة برئاسة بنيامين نتنياهو وائتلاف حكومي يميني متطرف حرض على الأسرى محلياً ودولياً.

في نهاية القسم نجد أن أفضل حالات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في السجون الإسرائيلية كانت في المرحلة ما بين (١٩٨٦ – ١٩٩٤م) فتميزت الحركة الأسيرة في هذه الفترة بقوتها ووحدتها وتناسق خطواتها أمام إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، والالتفاف الكبير حول قضيتهم في أوساط القوى الوطنية والإسلامية والشارع الفلسطيني، والروح النضالية والثورية التي

(١) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص١٤٨.

(٢) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص١٨٤.

كان يتسلح بها الشعب الفلسطيني والأسرى في السجون في أعقاب الانتفاضة، وبسبب قوة التنظيمات في المعتقلات رغم كبر العدد نتيجة الاعتقالات التي لم تشهد الحالة الفلسطينية لها مثيل منذ الاحتلال الإسرائيلي، وقوة المؤسسة الاعتقالية في السجون، والتزام الأسرى، وعدم انشغال أذهانهم بأي متغير فلسطيني داخلي كقضية الانقسام السياسي أو انشغال الأسرى بالإفراجات كما حصل في أعقاب أوسلو أو الانقسام الفلسطيني الداخلي على حساب بناء الذات وقوة التظيمات في السجون أمام إدارة مصلحة السجون.

وفيما يتعلق بتراجع الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فكانت مع بدء نشأتها في العام ١٩٦٧م أمام إرهاب الإسرائيليين في أعقاب هزيمة حزيران، وتلاها الفترتان (٢٠٠٠-٢٠٠٦م) بسبب الاعتقالات الكبيرة، والفترة التي سبقتها من انشغال الأسرى بالإفراجات السياسية في أعقاب اتفاقية أوسلو.

وفيما يخص الفترات الأخرى فكانت متذبذبة أو استنهاضية أو صاعدة كالفترة ما بين (١٩٧٢-١٩٨٧م) و(٢٠٠٦-٢٠١٥م) اللتان شهدتا حالة من الاستعفاء والخطوات النضالية الجماعية والفردية، وكانت بمثابة عملية ترميم وبناء ومواجهة لإدارة مصلحة السجون، وتخلل تلك المسيرة النضالية حالة من التذبذب والتطور، وأحياناً التراجع كالفترة ما بين (١٩٩٤ – ٢٠٠٠م) وفق متغيرات سياسية، أو في أعقاب إفراجات سياسية، أو حالات تبادل، أو خطوات نضالية تكتيكية واستراتيجية.

القسم الثاني

السجون والمعتقلات، نشأتها وأسمائها، وطبيعتها، ومواقعها الجغرافية

للباحث الأستاذ عبد الناصر فروانة [١]

بعد الانتهاء من تنفيذ عملية الاعتقال، بمعنى انتقال الشخص المطلوب اعتقاله من مكانه الذي كان يتمتع فيه بحريته واستقلالية حركته، إلى السجون والمعتقلات المتعددة الأسماء والمواقع، يصبح فيها خاضعاً خضوعاً كلياً "للمخابرات الإسرائيلية" وإدارة مصلحة السجون، فيفقد حريته ويُجبر على المرور في مراحل مختلفة، ويبدأ رحلة طويلة من الألم والمعاناة والتنقل من زنازين انفرادية إلى أخرى جماعية، ومن قسم إلى قسم، ومن سجن إلى آخر، وتستمر فصول المعاناة لشهور وسنوات وربما لعقود، وقد يقوي الأسير على تحمل ما فيها من عذابات وصعوبات، وقد تخِر قواه، فينهار ويسقط من شدة الألم فيلقى ربه في السجن شهيداً.

وبينما تعيش الشعوب في أوطان آمنة وحرة، ويفترض أن تكون كذلك، يعيش الفلسطينيون تحت وطأة الاحتلال، وحريتهم مسلوبة والقيود التي تُقيد حركتهم كثيرة. وتقول الإحصائيات الرسمية بأن خُمسَ الفلسطينيين قد مَّروا على السجون ومكثوا فيها فترات متفاوتة، وكبِروا وشابوا قبل أوانهم من أهوال ما شاهدوا، بل وأن بعضهم شاخ وهرم بين جدرانها، بعدما أمضى عقدين وثلاثة، بل وأكثر داخل محيطها وفي غرفها وزنازينها.

سجون ومعتقلات إسرائيلية كثيرة وصلت إلى ما يُقارب الثلاثين سجناً ومعتقلاً ومركز توقيف بعضها أُغلق – وفي أية لحظة يمكن أن يُعاد فتحها بحسب ما تقتضيه أوضاع السجون – فيما غالبيتها العظمى لا تزال قائمة تضم بين جدرانها الشاهقة وفي غرفها الضيقة وزنازينها المعتمة آلاف الأسرى، وأبوابها موصدة في وجه الأسرى ووسائل الإعلام المختلفة واللجان الدولية والحقوقية المحايدة والمستقلة، ومستمرة في استقبال واستيعاب المعتقلين الجدد، وهي سجون أشبه بالقبور، وهي الأكثر ظلماً وقهراً في العالم، وتشرف عليها طواقم هندسية خاصة ومدربة على التعذيب البشري، تتفنن في إلحاق الأذى الجسدي والنفسي بالمعتقلين، فتحوّلت مع الوقت إلى بدائل لـ "أعواد المشانق" ومراكز لتصفية الإنسان جسدياً ومعنوياً بشكل تدريجي، تجرى فيها أبشع عمليات القتل الروحي والنفسي والتعذيب الجسدي والنفسي وفقا لمنظومة متكاملة يشارك في

(١)عبد الناصر فروانة، "الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال"، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، ٢٠١٥، ص١٥٥ – ص ١٧٨ .

تنفيذها كل من يعمل في إدارة مصلحة السجون، ولربما هذا ما يفسر وفاة المئات من المعتقلين داخل السجون أو خارجها جراء ما تعرضوا له خلال سنوات اعتقالهم.

وتتعدد تلك السجون والمعتقلات الإسرائيلية، من حيث مواقعها الجغرافية المنتشرة على طول الوطن وعرضه، واختلاف أسمائها، فيما مضمونها واحد، وتحكمها وتديرها عقلية واحدة، لا تفرق في معاملتها بين المعتقلين من حيث الجنس أو العمر أو الشريحة، أو ما بين معتقل جديد وآخر قديم، وإنما تستهدف الإنسان الفلسطيني وجوهره ومضمونه وانتماءه الوطني وهويته الفلسطينية.

سجون ومعتقلات يصعب الإحاطة بجميعها، أو التطرق إلى كل تفاصيلها، بحاضرها وماضيها ومواصفاتها القاسية وظروفها المأساوية، بعضها ورثها "الاحتلال الإسرائيلي" عام ١٩٤٨م عن الانتداب البريطاني الذي كان محتلاً لفلسطين تحت مفهوم الوصاية الدولية، والتي اتسمت بقسوتها وشدتها وقلة تجهيزاتها وافتقارها إلى أبسط احتياجات المعتقلين، بل أن كثيراً منها كانت عبارة عن مخازن للأعلاف والمواد التموينية، أو مستودعات للتبغ والدخان، أو كانت إسطبلات للخيل.

لم تكتفِ سلطات الاحتلال بما ورثته من سجون ومعسكرات اعتقال أو مراكز توقيف من الانتداب وغيرها، بل عمدت إلى تطويرها وتوسيعها وإعادة ترتيبها وتنظيمها بما يتوافق ورؤيتها ويتلاءم وسياستها القمعية.

ومع بداية سبعينيات القرن الماضي أقدمت إسرائيل على تشييد وبناء سجون جديدة، كان أولها سجن بئر السبع، ليتبعه تشييد سجون أخرى، بظروف ومواصفات أكثر شدة وقسوة وانتهاكاً لحقوق الإنسان، كسجن نفحة والنقب وجلبوع ورامون وغيرها، مستفيدة من تجربتها وخبرات طواقم الهندسة البشرية، ومستعينة بتجارب الآخرين، وخبراتهم وإبداعاتهم في تشييد السجون وفي التعامل مع الأسرى والتضييق عليهم، وبكل ما له صلة بالانتهاكات وما يثير الشبهات وعلامات الاستفهام القانونية والقضائية حول ما يجري داخل السجون.

لقد أبدع الاحتلال الإسرائيلي في الجمع بين قسوة ممارساته وفظاعة جرائمه وما تبتدعه العقلية الإسرائيلية، وبين الظروف السيئة والمعاملة القاسية للمعتقلين في سجون مختلفة في أماكن أخرى في العالم، خلال تشييد وبناء عدد من سجونه ومعتقلاته، وإعداد الهياكل العامة للسجون والمعتقلات وتشديد الحراسات المحيطة، وإعادة صياغة نظم المعاملة والحياة والإجراءات بداخلها، وتصعيد استخدام الاحتلال لصفة "مقاتل غير شرعي" في محاولة إسرائيلية لنقل التجربة الأمريكية في معتقل "غوانتانامو" إلى سجونها، وصبغها بذات اللون المتعارف عليه عالمياً، لتشويه المكانة القانونية للمعتقلين الفلسطينيين ومشروعية نضالهم.

وفي هذا السياق حاولت في السنوات الأخيرة فرض الزي البرتقالي على الأسرى واستخدام صفة "مقاتل غير شرعي" بحق عدد منهم، في محاولة للإساءة وتشويه صورة الأسرى الفلسطينيين

وإعطاء العالم صورة عنهم ذات الصورة المرتبطة في أذهانهم بمعتقلي "غوانتانامو" وما يطلق عليهم من أوصاف ومصطلحات وتهم عديدة، وبالتالي تقديم معتقلي فلسطين للرأي العام العالمي باعتبارهم جزءاً من الحالة الإرهابية العالمية، وليسوا مناضلين ضد الاحتلال ومن أجل الحرية والاستقلال.

إن السجون الإسرائيلية عبارة عن أبنية أسمنتية قديمة وبالية، تآكلت بفعل عوامل التعرية وسوء الصيانة، فغرفها معتمة تفتقر للهواء اللازم للتنفس بسبب الازدحام، باستثناء نافذة صغيرة جداً هي نافذة القضبان الحديدية وشبكة من القضبان تشكل بمجموعها باب الغرفة وأحيانا تكون موصدة ومغلقة بالكامل دون فتحات أو ثقوب. أما المعتقلات فهي عبارة عن خيام منصوبة ومنتشرة داخل قواعد عسكرية، وكل مجموعة من الخيام تشكل قسماً يحيط به السياج والحراس المدججون بالسلاح من كل جوانبه، وهي أشبه بمعسكرات الاعتقال إبان عهد النازية، مع إضافة ما ابتكرته العقلية الإسرائيلية من قمع وإذلال.

هذا بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى للسجون والمعتقلات الإسرائيلية تقع خارج حدود الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، إذ يعتبر نقل المعتقلين الفلسطينيين من المناطق المحتلة واحتجازهم في سجون داخل أراضي الدولة المحتلة مخالفة للقانون الدولي ويشكل جريمة حرب، وسنأتي على ذلك في نهاية عرضنا ووصفنا للسجون والمعتقلات.

ولعل أبز السجون الإسرائيلية المعلنة والمعرَّفة هي:

سجن بئر السبع بقسميه إيشل وأهلي كيدار

وهو السجن الأول الذي تم تشييده وبناؤه من قبل إسرائيل، على مساحة واسعة جداً (بطول كيلو متر وعرض كيلو متر) وافتتح في الثالث من كانون الثاني/يناير عام ١٩٧٠م، ويقع على بعد ٥كم جنوبي مدينة بئر السبع، على الطريق إلى مدينة أم الرشراش "إيلات" في منطقة صحراوية.

ويحيط به سور أسمنتي شاهق، يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار، وتمتد جذوره في الأرض إلى أكثر من ثلاثة أمتار، لمنع الهروب عبر أنفاق، وقد أقيم بشكل متموّج بحيث يصعب تسلّقه، ويحيط بأعلى الجدار الأسمنتي شريط من الأسلاك الشائكة. هذا وقد أقامت سلطات الاحتلال ثمانية أبراج عالية للمراقبة فوق السور، مساحة كلّ برج حوالي عشرين متراً مربعاً، عدا البرج الرئيسي المقام فوق الباب الكبير للمعتقل، الذي تبلغ مساحته ثلاثين متراً مربعاً.

في العام ١٩٨٤م نقلت إدارة السجون كافة الأسرى الفلسطينيين إلى باقي السجون والمعتقلات، وبقي السجن للجنائيين فقط. وبعد عام ١٩٨٥م خُصّص قسم منه للأسرى الفلسطينيين الأطفال وما يُطلق عليهم الفلسطينيون "الأشبال". وبعد عام ١٩٨٧م تم إنشاء قسم عزل بئر السبع

وخصص لعزل قيادات الحركة الأسيرة. ويعتبر الأسير المقدسي إسحاق مراغة أول من استشهد بداخله في السادس عشر من تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٨٣م.
والناظر إلى سجن بئر السبع يجده مدينة أشباح أسمنتية ومداخل وطرقاً وغرف انتظار كثيرة ومركز تجمع للأسرى من معظم السجون في التنقلات والمحاكم والعزل وتم تقسيمه لعدة أقسام، وكل قسم يشكل سجناً بذاته من حيث التركيبة والإدارة والاستقلالية ولعل أبرزها (إيشل وأهلي كيدار).

سجن نفحة الصحراوي

يقع في مدخل بلدة "ميتسيبه ريمون" الجنوبي، في عمق صحراء النقب جنوباً، وقريب من مبنى "مفاعل ديمونا النووي الإسرائيلي"، ويبعد ١١٠كم إلى الجنوب من مدينة بئر السبع، وحوالي ٢٠٠ كم جنوب مدينة القدس، ويُعتبر ثاني السجون التي تنشئها إسرائيل، وافتتح هذا السجن في الأول من آيار عام ١٩٨٠م، ويُعد من أشد السجون الإسرائيلية قسوة، وأكثرها تعرضاً للقمع، ويُحاط بتحصينات أمنية شديدة، غير موجودة في سجن آخر، ولا غرابة في ذلك إذا قلنا أنه استُحدث خصّيصاً لعزل القيادات الفلسطينية من الأسرى المصنفين حسب إدارة السجون "خطيرون أمنياً"، لعزلهم بعيداً وإخضاعهم للموت التدريجي.
في البداية كان يتسع لـ ١٢٠ أسيراً، لكن تم توسيعه بمرور السنوات، وبناء أقسام جديدة فيه، حتى أصبح اليوم يتسع لأكثر من ٧٥٠ أسير.
لقد شهد سجن نفحة إضرابات عديدة تعتبرها الحركة الأسيرة محطات مفصليّة في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني، واستشهد فيه مجموعة من الأسرى، هم: راسم حلاوة وعلي الجعفري إثر مشاركتهما في الإضراب الشهير عن الطعام الذي بدأ في الرابع عشر من تموز/ يوليو عام ١٩٨٠م، ووليد عمرو في التاسع عشر من شباط/ فبراير ٢٠٠٣م، وشادي السعايدة في الواحد والثلاثين من تموز/يوليو عام ٢٠٠٧م، وجميعهم كان الإهمال الطبي سبباً رئيسياً لوفاتهم.

سجن ريمون

وهو سجن أنشئ حديثاً خلال انتفاضة الأقصى بجوار سجن نفحة الصحراوي، وافتتح أوائل عام ٢٠٠٦م، ويتسع لأكثر من ٨٠٠ أسير، ويحظى بإجراءات أمنية عالية، وتحيط به جدران إسمنتية سميكة وشاهقة، ويتسم بشدة ارتفاع درجات الحرارة صيفاً، والبرد القارس شتاء.

سجن شطة

يقع في (غور الأردن) بجوار بلدة بيسان جنوب بحيرة طبريا، وهي منطقة منخفضة عن سطح البحر، حيث جفاف الجو والحرارة المرتفعة التي تصل في فصل الصيف إلى ما يزيد على ٤٠ درجة مئوية، ويحيط بالسجن جدار عالٍ من الإسمنت المسلّح، يعلوه سياج شائك وستّة أبراج للمراقبة، وتنتشر فيه الزنازين الانفرادية.

وأصل السجن هو جزء من قلعة خان، التي بناها العثمانيون لأغراض عسكرية بحتة، ثم استعملها الجيش البريطاني. وفي أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، حولتها إسرائيل إلى سجن، يتسع لنحو ٢٥٠ أسيراً. وقد اشتهر هذا السجن بحركة التمرد التي جرت فيه، وما تبعها من هروب جماعي لعدد من الأسرى، في العام ١٩٥٨م، حين تمكن الأسرى من السيطرة على عدد من السجانين الإسرائيليين، وقتلوا اثنين منهم، وأصابوا ثلاثة آخرين، ليتمكن أكثر من سبعين أسيراً من الهروب من السجن. بعد ذلك قامت إدارة السجن بقمع من تبقى من المعتقلين بشدة ومعاملتهم بقسوة، واتخاذ إجراءات أمنية مشددة، ليأخذ السجن شهرته الكبيرة من هذه الحادثة.

سجن جلبوع

سجن جديد شُيد حديثاً في غور بيسان (غور الأردن) بجوار سجن شطة القديم، وتم افتتاحه في نيسان/ابريل عام ٢٠٠٤م ليتسع لنحو ٧٠٠ أسير. يتكون من خمسة أقسام، في كل قسم يوجد ١٥ غرفة، تتسع لثمانية أفراد، ويشهد هذا السجن اكتظاظاً دائماً وشديداً، حيث لا تكفي الأَسرة المتوفرة للأسرى الموجودين، فيضطر بعضهم لافتراش الأرض.

مع بداية افتتاح سجن جلبوع، نُقلت إليه مجموعة من الأسرى ذوي الأحكام العالية، من الذين اعتبرتهم الحركة الوطنية الفلسطينية نواة أولى للحركة الأسيرة، وكان هدف الاحتلال هو عزل هذه الشريحة من المناضلين الفلسطينيين، وإخضاعهم لإجراءات أمنية مشددة ومعقدة. وتعتبر المصادر الإسرائيلية هذا السجن الأشد حراسة، في السجون الإسرائيلية، حيث شُيد بإشراف خبراء آيرلنديين.

أما اليوم فسجن جلبوع مخصص تقريباً لأسرى مدينة القدس والمناطق المحتلة عام ١٩٤٨م بهدف عزلهم عن باقي الأسرى. وفي بعض الأحيان تزج فيه إدارة السجون عدداً من أسرى قطاع غزة والضفة الغربية.

وهو عبارة عن صندوق مسلح سماءً وأرضاً، ويعتبر بالمقاييس العسكرية قلعة حصينة، أُقيمت من الأسمنت المسلح والفولاذ، يحيط به جدار يُقدر ارتفاعه بتسعة أمتار، يوجد في أعلاه صاج مطلي، وذلك كبديل عن الأسلاك الشائكة التي توجد عادة في جميع السجون الأخرى.

وقد استعان مهندسو السجون بالتكنولوجيا الحديثة في تشييد هذا السجن، حيث تم إدخال بعض العناصر السرية تحت أرضية السجن، بهدف منع الحفر، إذ يتحوّل لون أرضية الغرفة، فور إجراء أي عملية نقب فيها، بما يؤدي إلى الكشف المبكر لأي محاولة للنقب، فور البدء فيها.

وكما تصفه إسرائيل بأنه الأشد حراسة وأنه بمثابة قلعة محصنة لا يمكن الهرب منها، فإن الأسرى الفلسطينيين أيضاً يعتبرونه الأكثر قسوة وقهراً وقساوة.

ووفقا لمصادر وتصريحات إسرائيلية عديدة، فإن خبراء إيرلنديين قد شاركوا في التخطيط لهذا السجن، على طريقة السجون الإيرلندية، التي يعتقل فيها أفراد من الجيش السري الإيرلندي، حيث أرسلت مجموعة من ضباط سلطة إدارة السجون الإسرائيلية إلى إيرلندا الشمالية قبل بناء السجن وزاروا عدة سجون هناك والتقوا بخبراء إيرلنديين لهذا الغرض.

سجن عسقلان

يُطلق عليه الإسرائيليون سجن (شيكما) بمدينة أشكلون، بينما يُطلق عليه الفلسطينيون سجن عسقلان، لأنه يقع في مدينة عسقلان القديمة والمسماة بالمجدل، وأنشئ المبنى في عهد الانتداب البريطاني عام ١٩٣٦م، كمقر لقيادة الجيش البريطاني في المجدل وضواحيها، وكذلك كسرايا لاستقبال الوفود البريطانية الرسمية، وبداخله خُصِّص قسم منه كمركز تحقيق وتوقيف للثوار الفلسطينيين، ومن ثم استخدمته سلطات الاحتلال كمركز للشرطة، وفي أواخر الستينات من القرن العشرين، أصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي مرسوماً بتحويله إلى إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، التي حولته بدورها إلى سجن مركزي، وصنفته أمنياً من الدرجة الأولى، وبدأ رسمياً في استقبال الأسرى الفلسطينيين في شباط/فبراير عام ١٩٦٩م، وأصبح من السجون المركزية في إسرائيل، وشهد عدة مواجهات ما بين الأسرى وإدارة السجن، والعديد من الإضرابات عن الطعام، والتي وصفت بالتاريخية والمفصلية في تاريخ الحركة الأسيرة، واستشهد فيه الأسير عبد القادر أبو الفحم، عام ١٩٧٠م، الذي تعتبره الحركة الأسيرة أول شهداء معارك الأمعاء الخاوية (الإضرابات عن الطعام).

ويقع سجن عسقلان على أطراف مدينة المجدل التاريخية، على بعد قرابة ٢٠ كم إلى الشمال من حدود قطاع غزة، ٨٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس، ويحيط به سور أسمنتي يرتفع نحو ستة أمتار، محاط بالأسلاك الشائكة وأبراج المراقبة، ويضم مجموعة من الأقسام، بينها قسم للتحقيق تمارس بداخله أقسى وأبشع صنوف التعذيب، بهدف الحصول على معلومات واعترافات من الأسرى. ويصنف هذا السجن ضمن أعنف وأقسى أقسام التحقيق والتعذيب في السجون الإسرائيلية. ويتسع سجن عسقلان لما يزيد عن ٦٠٠ أسير، فيما تقلص عدد الأسرى الفلسطينيين المتواجدين فيه خلال السنوات الأخيرة بشكل كبير، وتتميز غرفه بالازدحام الدائم، كما تتميز

زنازينه بدرجة عالية من الرطوبة، حيث لا تدخلها أشعة الشمس، مما يجعل الحرارة بداخله مرتفعة بصورة متميزة.

سجن الدامون

يقع بين أحراش الكرمل في مدينة حيفا، ويعود إنشاء هذا السجن إلى عهد الانتداب البريطاني، ويقع على الطريق الساحلي الذي يؤدي إلى شمال فلسطين. وقد بناه البريطانيون ليكون مستودعاً للدخان والتبغ، وقد أُخذ بالحسبان عند بنائه ضرورة توفير الرطوبة فيه لحفظ أوراق الدخان. وبعد عام ١٩٤٨م وضعت إسرائيل يدها عليه، وحولته إلى سجن للآدميين، وافتتح عام ١٩٥٣م وسمي بسجن حيفا.

وبعد العام ١٩٦٧م تم تغيير اسمه إلى الدامون، نسبة إلى مخيم الدامون القريب من المكان. ويستوعب سجن الدامون حوالي ٣٠٠ أسير. ويتكون من عدة أقسام، خُصِّص قسم منها للسجناء الإسرائيليين الجنائيين الخطرين الذين تزج بهم سلطات الاحتلال مع الأسرى الفلسطينيين، مما عرَّض العديد من الأسرى الفلسطينيين والعرب فيه لكثير من الاعتداءات الجسدية واللفظية على أيدي هؤلاء المجرمين، الذين يحظون برعاية خاصة، تساعدهم في الإساءة إلى الفدائيين المعتقلين.

لقد أغلقت إدارة السجون الإسرائيلية سجن الدامون، في أواسط التسعينيات، بعد اتفاق إعلان المبادئ في "أوسلو"، وتناقصت أعداد الأسرى الفلسطينيين المعتقلين فيه بشكل كبير، لكنها عادت وافتتحته في نيسان/ابريل٢٠٠٢م، لاستيعاب المعتقلين الجدد.

سجن الرملة

يقع في منتصف الطريق الفاصل بين مدينتي اللد والرملة، ويسمى سرايا الرملة، وقد أُنشئت سرايا الرملة هذه في عهد الانتداب البريطاني عام ١٩٣٤م، وبعد عام ١٩٤٨م تم تحويله إلى مركز للجيش الإسرائيلي، وفي عام ١٩٥٣م تم تخصيص جزء منه كسجن للفدائيين الفلسطينيين إبان ظاهرة فدائيي مصطفى حافظ، العقيد المصري الذي كان مسؤولاً عن تدريب الفدائيين الفلسطينيين. وبعد العام ١٩٦٧م أجريت على سرايا الرملة توسيعات، وحُوِّل بالكامل إلى سجن مركزي للجنائيين اليهود، إضافة إلى الأسرى الفلسطينيين، وخصوصاً من مدينة القدس.

وهذا السجن هو عبارة عن قلعة محصّنة، محاطة بأسوار عالية، ويتكوّن من عدّة أقسام، أهمها القسم المسمى بـ (مستشفى سجن الرملة)، والقسم المسمى بـ (نفي تريستا) المخصص للنساء والقسم المسمى بـ(نيتسان) والقسم المسمى بـ(آيالون) أو عزل الرملة.

سجن نـڤي تريستا

وهو القسم الذي أشرنا إليه آنفًا عند حديثنا عن سجن الرملة، وأُنشئ في العام ١٩٦٨م داخل محيط سجن الرملة نفسه، حيث مُنح نوعا من الاستقلالية عن سجن الرملة، وخُصص للنساء الإسرائيليات الجنائيات، وللأسيرات الفلسطينيات. وقد ظل إلى عهد قريب سجن النساء الوحيد في إسرائيل.

سجن نيتسان "عزل الرملة أو قسم ثمانية":

وهو أحد أقسام سجن الرملة الذي تحدثنا عنه آنفاُ، وقد أُنشئ عام ١٩٧٨م داخل سجن (آيالون) ومُنح الاستقلالية في أنظمته وظروفه وإدارته، وسُمي حينها بمعتقل الرملة، وفي عام ١٩٨١م استُبدل اسمه إلى "نيتسان" نسبة إلى مديره حينئذ (غوندار روني نيتسان) الذي قُتِل على أيدي الفلسطينيين.

ويُعتبر "نيتسان" السجن الأسوأ والأكثر بشاعة في الرملة، والأكثر قسوة من بين أقسام السجون في إسرائيل، لا سيما بعد أن تحول في العام ١٩٨٩م إلى قسم لعزل الأسرى الفلسطينيين، حيث زنازين العزل المظلمة والضيقة والتي هي أشبه بالقبور الصغيرة.

ونيتسان أو "عزل الرملة" مبنى يتألف من طابقين ومجموعة من الزنازين تحت الأرض، مدخله منفصل، وقبل الوصول إلى الغرف يجب اجتياز خمس بوابات حديدية.

وقد افتتح هذا القسم في التاسع والعشرين من آب/أغسطس عام ١٩٨٩م، واشتهر بأسوأ مكان اعتقال على مدار الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة كونه يقع تحت الأرض، وخصص لعدد محدود من الأسرى ممن عليهم قتل أو جرح يهود أو قيادات سياسية.

سجن أيالون

وهو قسم من أقسام سجن الرملة، لكنه سجن مستقل في أنظمته وظروفه، وهو مخصص للعزل الانفرادي أيضاً، ويعتبر من أسوأ أقسام العزل في السجون الإسرائيلية، وهو حسب شهادات الأسرى أقسى من عزل "نيتسان"، لأن عدد المعتقلين فيه قليل، حيث يكون الأسير بين سجناء جنائيين، فيما في نيسان العدد أكبر. ويصل عدد قاطني سجن أيالون أحيانا إلى ٣٢ أسيراً، جميعهم فلسطينيون.

سجن هداريم

يقع على مقربة من سجن (تلموند)، جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم شمال الضفة الغربية ومدينة نتانيا الساحلية، على الطريق القديمة المؤدية إلى مدينة الخضيرة، في الداخل الفلسطيني المحتل عام ١٩٤٨م. وهو سجن حديث نسبيا، أُسِّس على نظام السجون الأمريكية، المُعدَّة لكبار المجرمين وتجار المخدرات، ويتكون سجن هدرايم من ثمانية أقسام، ويتسع لنحو ٦٠٠ أسير، وأقسامه على شكل دائري، وقد أُنشئ بالأساس كسجن للسجناء الجنائيين، ويوجد فيه قسم خاص بالأسرى الفلسطينيين، يحتوي على أربعين غرفة صغيرة ضيقة، مساحة كل منها تتراوح بين ٦ – ٨ متر مربع، وتحتوي بداخلها على المنافع (دورة مياه ومغسلة)، فيما الحمام خارج حدود الغرفة، ومسموح بالخروج إليه في أوقات محددة.

وكل زنزانة في سجن هدرايم مخصصة لأسيرين، ولكن عند الاكتظاظ يُزج فيها بثلاثة أسرى، وقد أُدخل أول فوج من الأسرى الفلسطينيين إليه في شهر تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٩م.

سجن الشارون

يقع بالقرب من مدينة بتاح تكفا، ويتكون من عدد من الأقسام، منها ثلاثة أقسام تضم بين جدرانها أسرى فلسطينيين ذكوراً وإناثا، كباراً وأطفالاً. من هذه الثلاثة واحد للنساء، وآخر للأطفال، وثالث للكبار، إضافة إلى عدد من الأقسام الأخرى المخصصة للسجناء الجنائيين اليهود، وهي مجاورة لأقسام الأسرى والأسيرات الفلسطينيين، مما عرضهم مراراً للاعتداءات الجسدية واللفظية من أولئك المجرمين الجنائيين المتعودين على كراهية كل عربي.

وفي السادس من نيسان/ابريل عام ٢٠٠٦م استشهد بداخل سجن الشارون هذا الأسير سليمان محمد محمود درايجة – من مدينة الطيبة الواقعة داخل حدود أراضي ١٩٤٨م، نتيجة الإهمال الطبي.

سجن تلموند

يقع جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم ونتانيا على الطريق القديمة المؤدية إلى الخضيرة وقد شُيّد هذا المعتقل خصّيصاً للأحداث من العرب واليهود، فيما ظروفه وطبيعة الفئات التي تحتجز فيه لا تشير إلى ذلك.

ينقسم سجن تلموند إلى قسمين: واحد مخصص للنساء وآخر للأطفال الذين تتغير أعدادهم باستمرار. وغرف هذا السجن صغيرة وضيقة، ويحيط به سور عال يصل ارتفاعه إلى ثلاثة أمتار، تتوزع عليه أربعة أبراج عالية للمراقبة. ويلاحظ أنه دائما كان محل شكوى من الأسرى، نظرا لما يعانيه من اكتظاظ وسوء معاملة.

سجن كفاريونا (بيت ليد)

يقع جنوب حيفا في منطقة بيت ليد على الطريق بين طولكرم ونتانيا داخل حدود أراضي ١٩٤٨م، وافتتح عام ١٩٦٨م وكان قبل هذا التاريخ مقراً للجيش الإسرائيلي.

سجن الجلمة (كيشون)

أقيم هذا السجن داخل معسكر للجيش الإسرائيلي، ويُسمى سجن كيشون، ولوجوده في مفترق الجلمة على الطريق العام ما بين حيفا والناصرة شمال فلسطين، فقد سُمي سجن الجلمة. وتنتصب من حوله الجبال، وتكاد الأشجار الخضراء المحيطة به تخفيه عن الأنظار.

يخضع سجن الجلمة لإشراف إدارة السجون وجهاز المخابرات الإسرائيلية، وفيه مركز تحقيق الجلمة الشهير، وقد أعيد افتتاحه خلال انتفاضة الأقصى.

سجن المسكوبية

يقع في الجهة الغربية من مدينة القدس المحتلة عام ١٩٤٨م، بجوار مقر المخابرات الإسرائيلية (الشين بيت) ضمن المنطقة المسماة "ساحة الروس".

وبُني السجن في عهد الانتداب البريطاني، ليكون مركزاً للشرطة ولتوقيف المعتقلين المنتظرين للمحاكمة، وقد عُرف آنذاك بالسجن المركزي. وبعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية عام ١٩٦٧م، تم تحويله إلى مركز اعتقال وتحقيق. وهو يضم عدداً من الزنازين الضيقة، التي يفصل بينها ممر صغير. وتستخدم هذه الزنازين للتحقيق مع الأسرى الفلسطينيين، الذين هم في غالبيتهم من مدينة القدس.

ويحتوي على قسم تحقيق شهير، يعتبره المهتمون بحقوق الإنسان واحدا من أقسى وأسوأ أقسام التحقيق في كافة السجون الإسرائيلية، حيث يُطلق الأسرى الفلسطينيون على هذا القسم اسم "المسلخ"، نظرا لشدة التعذيب فيه. وقد استشهد في هذا المسلخ الأسير المقدسي "قاسم عبد الله أبو عكر" من بيت حنينا/القدس، جراء تعرضه للتعذيب القاسي، وذلك في الثالث والعشرين من آذار/مارس عام ١٩٦٩م، ويُعتبر أول شهداء الأسرى المقدسيين في سجون الاحتلال.

أما عن المعتقلات فأشهرها:

- **معتقل عوفر:**

ويُسمّى أحيانا معتقل بيتونيا، ويقع على مقربة من بلدة بيتونيا جنوب رام الله، وأُنشئ في عهد الانتداب البريطاني، على أرض تزيد مساحتها عن ٤٠٠ دونم، وفيما بعد أشرف عليه الجيش

الأردني، بعد ضم الضفة الغربية إلى الأردن، وبعد احتلال ١٩٦٧م استخدمته إسرائيل كمعسكر للجيش الإسرائيلي، وأطلقت عليه معسكر "عوفر" على اسم أحد قادتها.

وخلال انتفاضة الحجارة التي اندلعت عام ١٩٨٨م، حوّلت قوات الاحتلال جزءاً من معتقل عوفر إلى معسكر اعتقال عسكري، وقد ضمّ وقتها خمسة أقسام، تحتوي على مجموعة من الخيام. وقد تم إغلاقه في أواخر التسعينيات من القرن العشرين، ثم أعيد افتتاحه مرة أخرى في الأول من نيسان/ابريل عام ٢٠٠٢م، بعد زيادة خمسة أقسام جديدة فيه، ليتسع لقرابة ١٠٠٠ أسير، بهدف استيعاب تزايد معتقلي انتفاضة الأقصى واجتياحات المدن الفلسطينية، ولا يزال المعتقل يخضع لإدارة الجيش، وليس لإدارة مصلحة السجون. أي أنه يخضع لنظم عسكرية صارمة، لا تمت إلى القوانين والأعراف الدولية بأي صلة، تلك الأعراف التي تنص على ضمان حقوق أسرى الحرب. وهذا المعتقل يشبه إلى حد كبير معتقل النقب، وقد استشهد فيه المعتقل صبري عبد ربه، بتاريخ ٧ تموز/يوليو ١٩٩٠م، جراء إصابته بأعيرة نارية، أطلقها عليه حراس المعتقل، ثم ادعت إدارة المعتقل في حينه بأنه حاول الهرب!

- **معتقل مجدو**

يقع في سهل مرج ابن عامر، ضمن حدود مدينة حيفا، جنوب غرب مدينة العفولة، وشمال غرب مدينة جنين بالضفة الغربية. وقد تم افتتاحه للأسرى الفلسطينيين في آذار/مارس عام ١٩٨٨م، فيما كان من قبل مخصصاً للسجناء الجنائيين من العرب واليهود، وذلك بالتزامن مع معتقل النقب الصحراوي. ويتكون من خمسة أقسام مفتوحة، في كل قسم منها مجموعة من الخيام، إضافة إلى قسم سادس مكون من غرفتين فقط.

ويتسع معتقل مجدو لأكثر من ١٠٠٠ أسير، وكان مخصصا من قبل لمعتقلي الضفة الغربية، وقد خضع منذ افتتاحه لإدارة الجيش العسكرية، فيما تم نقل السيطرة عليه لإدارة مصلحة السجون خلال انتفاضة الأقصى أواخر عام ٢٠٠٥م.

وقد استشهد في هذا المعتقل سبعة من الأسرى الفلسطينيين، كان آخرهم الأسير عرفات جرادات من الخليل، الذي استشهد في الثالث والعشرين من شباط عام٢٠١٣م، جراء التعذيب القاسي، بالإضافة إلى ستة آخرين هم: نضال زهدي عمر ذيب، من رام الله، واستشهد بتاريخ ٨ شباط١٩٨٩م بعد إصابته بعيار ناري، ومحمد الدهامين من الخليل بتاريخ ١٢ نيسان٢٠٠١م، وأحمد حسين جوابرة من الخليل أيضاً بتاريخ ٢٨ آيار٢٠٠٢م، وبشير محمد عويس من مخيم بلاطة في نابلس بتاريخ ٨ كانون الأول ٢٠٠٣م، وسعيد محمد البلبل من طولكرم بتاريخ ١٦ أيلول٢٠٠٤م. وجميع هؤلاء استشهدوا نتيجة للإهمال الطبي، بالإضافة إلى راسم سليمان أبو غرة

"غنيمات" من كفر مالك في رام الله بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠٥م، الذي استشهد نتيجة الإهمال بعد أن شبَّ حريق في أحد الأقسام ولم تقدِّم إدارة المعتقل المواد اللازمة لإطفائه.

- **معتقل حوارة**

يقع جنوب شرق مدينة نابلس ويبعد عن المدينة كيلومتراً واحداً فقط، وهو عبارة عن مركز توقيف وتحقيق ينقل إليه أسرى مدينة نابلس والمناطق المجاورة، بشكل أولي، للتحقيق معهم، قبل أن يتم نقلهم لمراكز تحقيقفي سجون مركزية أخرى. وهو جزء من معسكر للجيش الإسرائيلي، ومحاط بأسلاك شائكة وأبراج عالية للمراقبة وحراسات عسكرية مشددة ومدججة بالسلاح. ويخضع معتقل حوارة لإدارة الجيش الإسرائيلي، ويتسع لعشرات المعتقلين بحسب طبيعة الاعتقالات في المناطق المحددة.

- **معتقل بيت إيل**

وهو عبارة عن مركز توقيف وتحقيق، ويوجد به محكمة عرفت بإطلاق أحكامها الاستفزازية. ويقع المعتقل في منطقة جبلية عالية باردة جداً في فصل الشتاء، داخل حدود منطقة عسكرية تقع شمالي مدينة رام الله، في منطقة نائية لا تصل إليها أية وسائل نقل، بحيث لا يمكن الوصول إليها إلا مشياً على الأقدام. ويتكون من بضعة غرف ضيقة، وأعداد المعتقلين فيه –في العادة – محدودة جداً لا تتجاوز العشرين معتقلا.

- **معتقل النقب الصحراوي (أنصار ٣)**

يقع في صحراء النقب جنوب فلسطين، في منطقة عسكرية مغلقة ومتاخمة للحدود المصرية إضافة إلى أنها غير آمنة، حيث تجرى بداخلها تدريبات عسكرية بالأسلحة الحية، تُعَرِّض كل شخص في المكان لأخطار الحرب، علاوة على قسوة ظروفه الطبيعية والمناخية طوال السنة.
وقد كان في الأساس معسكراً للجيش الإسرائيلي، وقد تم إنشاء المعتقل بداخله، وافتتح في السابع عشر من آذار/مارس عام ١٩٨٨م، وأغلق عام ١٩٩٦م، وأعيد افتتاحه في نيسان/أبريل عام ٢٠٠٢م، وكان يخضع لإدارة الجيش العسكرية منذ افتتاحه، ثم نقلت السيطرة عليه إلى "مصلحة السجون" خلال انتفاضة الأقصى في آذار ٢٠٠٦م.
ويسمى هذا المعتقل بالعبرية "كيتسعوت" فيما يُطلق عليه الفلسطينيون "أنصار٣" في دلالة على استمرار المعتقلات الإسرائيلية الكبرى: فقد أُنشئ معتقل "أنصار" في جنوب لبنان إبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان صيف عام ١٩٨٢م، ثم تبعه "أنصار٢" غرب مدينة غزة، وهذا أنصار٣.

ويعتبر معتقل أنصار٣ من أكبر المعتقلات والسجون الإسرائيلية، وأضخمها على الإطلاق، من حيث مساحته الجغرافية وعدد معتقليه، ويضم مزيجاً من معتقلي الضفة الغربية وقطاع غزة، رجالاً وأطفالاً، وهم ثلاثة أصناف: محكومين يقضون سنوات العقوبة، وموقوفين في انتظار المحاكمة، ومعتقلين إداريين دون تهمة معلنة أو محاكمة.

يتكون أنصار٣ من مجموعة أقسام، أقدمها قسم "كيلي شيفع". وفي كل قسم من هذه الأقسام مجموعة من الخيام، تحيطها أسلاك شائكة وأبراج مراقبة، تعتليها مجموعة من الجنود المدججين بالسلاح.

وفي آذار عام١٩٩٠م أنشأت إسرائيل في أنصار٣ سجون "الأقفاص" وهي عبارة عن أقسام تحيط بها جدران الباطون من كل الاتجاهات، ومسقوفة بشبك من الأسلاك ذو فتحات صغيرة. وقد زجّت سلطات الاحتلال في هذه الأقسام (الخاصة) عدداً كبيراً من الأسرى، الذين شارفت مدة محكوميتهم على الانتهاء، وتعتقد أنهم من قيادات النضال الوطني الفلسطيني، بعد أن نقلتهم من السجون المركزية، وذلك كنوع من العقاب من ناحية، وبهدف الحد من تأثيرهم المتزايد على المعتقلين الآخرين، في محاولة إسرائيلية لإجهاض كل محاولات نقل التجارب، من الأسرى القدماء إلى الأسرى الجدد، في السجون المركزية.

وبعد إعادة افتتاح أنصار٣ خلال انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٢م، أقامت سلطة الجيش بداخله بعض الأقسام الجديدة، بتصميم مغاير لما كان قائماً من قبل، إمعاناً في التضييق على الأسرى، وزيادة في عزلهم عن بعضهم بعض، وذلك للحيلولة دون تواصل الأسرى مع بعضهم، أو تبادل الرسائل بينهم.

ويقدر عدد المعتقلين الذين دخلوا معتقل أنصار٣ بأكثر من مئة وأربعين ألف معتقل: منهم مئة ألف دخلوه قبل إغلاقه للمرة الأولى في منتصف التسعينيات من القرن العشرين، وأربعون ألفاً دخلوه فيما بعد إعادة افتتاحه عام ٢٠٠٢م، مع مراعاة أن هناك من دخله أكثر من مرة.

شهد أنصار٣ أوضاعًا في غاية الصعوبة، كما شهد الكثير من المواجهات بين الأسرى العزّل وإدارة السجن، التي أدت بمجملها إلى استشهاد تسعة من الأسرى، ثلاثة منهم إثر إصابتهم بأعيرة نارية بشكل مباشر، وهم: أسعد الشوا، وبسام السمودي، في العام ١٩٨٨م، ومحمد الأشقر في العام ٢٠٠٧م، إضافة إلى ستة آخرين قضوا جراء الإهمال الطبي والتعذيب القاسي.

وهناك مجموعة أخرى من السجون ومراكز التوقيف والتحقيق، مثل "عتليت –كرمل" جنوب حيفا، "وبتاح تكفا" في مدينة بتاح تكفا، "سالم" شمال غرب مدينة جنين، "كفار عتصيون" ما بين الخليل وبيت لحم جنوب الضفة الغربية، و"قدوميم" ويقع في مستعمرة "كفار قدوميم"ما بين نابلس وقلقيلية.

سجون ومعتقلات كانت قائمة وأُغْلقت

هناك سجون ومعتقلات كانت قائمة، وأُغْلِقت بعد التوقيع على إعلان المبادئ في أوسلو في أيلول/سبتمبر عام ١٩٩٣م، وما ترتب عليه من انسحاب لقوات الاحتلال من بعض المناطق الفلسطينية وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية في الرابع من أيار/مايو١٩٩٤م. ولعل أبرز تلك السجون والمعتقلات التي استخدمتها سلطات الاحتلال في احتجاز المعتقلين الفلسطينيين، قبل أن تغلقها أو تسلمها مع الأراضي المقامة عليها للسلطة الفلسطينية هي:

- **معتقل أنصار٢**

سُمّي بهذا الاسم لتشابهه مع معتقل "أنصار" الذي أقامته قوات الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان إبان اجتياحها للبنان صيف عام ١٩٨٢م. وكان يقع على شاطئ بحر مدينة غزة، وهو معسكر للجيش، وفي عام ١٩٨٤م خُصِّص جزء منه كمكان لاحتجاز الطلبة والشبان الذين يشاركون في المظاهرات، أو للاحتجاز الاحترازي. ومع بداية الانتفاضة الكبرى عام ١٩٨٧م، تم توسيعه واعتماده كمعتقل، وزُج فيه بالآلاف من أبناء قطاع غزة. وهو عبارة عن مجموعة من الخيام المنصوبة في العراء التام، تحت الإدارة المباشرة لجيش الاحتلال. وكان مخصصاً لعمليات التعذيب والتحقيق، بالإضافة إلى كونه محطة للاحتجاز والتوقيف، وكان الرافد الأساسي لمعتقل النقب الصحراوي أنصار٣.

وكما قلنا آنفاً فلقد سُميَ بهذا الاسم لتشابهه مع معتقل أنصار وهو واحد من المعتقلات ومراكز التوقيف التي أقيمت إبان احتلال إسرائيل للجنوب اللبناني. وقد أقيم هناك. وزَّجت فيه قوات الاحتلال الإسرائيلي آلاف الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين. وقد افتتح في الرابع عشر من تموز/يوليو عام ١٩٨٢م في قرية أنصار في الجنوب اللبناني، وأُغلق في٤ نيسان/ابريل١٩٨٥م.

- **سجن غزة المركزي**

سجن غزة المركزي، أو ما يُعرف بـ "سجن السرايا" وهو الأكثر قسوة وشهرة من بين السجون والمعتقلات ومراكز التوقيف، التي كانت مقامة في قطاع غزة. وقد أُنشئ في الثلاثينات من القرن العشرين، في عهد الانتداب البريطاني، كمقر للقيادة العسكرية البريطانية وسط مدينة غزة. وبعد عام ١٩٤٨م، وَوُضِع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية، تم استخدامه كمجمع للدوائر الحكومية، وبعد العام ١٩٦٧م، خصصت سلطات الاحتلال الإسرائيلي جزءاً من المبنى كسجن للقاطنين في قطاع غزة. وكان أحد أقسامه مخصصاً للتحقيق مع المعتقلين، ويطلق عليه الفلسطينيون اسم "المسلخ"، دلالة على قسوة ظروفه وشدة التعذيب فيه، مع ملاحظة أن سلطات الاحتلال كانت قد حوّلت إسطبلات الخيل الضيقة –التي كانت موجودة في السرايا خلال مرحلة الانتداب

البريطاني–إلى زنازين لاحتجاز المعتقلين أثناء فترة التحقيق. واستشهد بداخله مجموعة من الأسرى منهم: محمد وشاح، خالد الشيخ علي، وجمال أبو شرخ، وعطية الزعانين وغيرهم.
وفي السابع عشر من آيار/مايو عام ١٩٨٧م، شهد سجن غزة المركزي أكبر عملية هروب، حيث نجح ستة من الأسرى الفلسطينيين بالهروب منه، بعد أن نشروا قضبان غرفة رقم٧، في قسم (ب)، الواقع في الطابق الثاني من السجن. ومن ثم أفلتوا من عالم القيد إلى عالم الحرية وساحة النضال الأرحب.

- **سجن جنيد**

سجن جنيد يقع على مشارف مدينة نابلس، على الطريق المؤدي إلى مدينة قلقيلية، وبالتحديد على المدخل الغربي للمدينة. وقد سُمي بهذا الاسم نسبة لقرية (جنيد) القريبة على المشارف الغربية لمدينة نابلس.
وقد افتُتِح السجن في الثاني من تموز/يوليو عام ١٩٨٤م لتخفيف حدة الازدحام في السجون الإسرائيلية، ولتشديد إجراءات احتجاز المعتقلين، وفي ظروف أكثر سوءاً، حيث وضعت فيه العديد من الأجهزة المتطورة، وأحدث التقنيات في سجون العالم، لحماية وحفظ الأمن في السجن.
ويعود إنشاء مبنى السجن إلى العام ١٩٦٤م من قبل وزارة الأشغال الأردنية، ليكون مستشفى خاصاً بالجيش الأردني، ومن ثم حوله الجيش الإسرائيلي بعد العام ١٩٦٧م إلى معسكر خاص لقواته في المدينة. ولاحقاً أجرت عليه السلطات الإسرائيلية عليه بعض الترميمات، ثم أعلنت عن افتتاحه كسجن تشرف عليه مصلحة السجون الإسرائيلية.

- **سجن الفارعة**

يقع سجن الفارعة شمال مدينة جنين، قرب عين تُسمى عين الفارعة، بجوار مخيم اللاجئين الذي يحمل نفس الاسم. ويعود إنشاء هذا المبنى إلى عهد الانتداب البريطاني، فقد أُسِّس عام ١٩٣٦م ليكون إسطبلاً للخيول. وفي العام ١٩٤٨م استعمله الجيش الأردني لنفس الغاية، فهو مخصص أيضاً للحيوانات، ولم يكن صالحاً للاستخدام الآدمي.
وفي السابع عشر من نيسان/ابريل عام ١٩٨٢م أصدر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي آنذاك رفائيل ايتان، قراراً بتحويل هذا المبنى إلى سجن، سماه الإسرائيليون
"مركز إصلاح الفارعة"، ومن ثم عُرف باسم سجن الفارعة.
بالإضافة إلى سجن "الخليل" وسط مدينة الخليل، و"طولكرم" في مدينة طولكرم، و"رام الله" شمال مدينة رام الله، ومركز توقيف"بنيامين" والمجنونة في الخليل، و"نابلس" شرق مدينة نابلس، و"جنين" في مدينة جنين.

- **سجن الخيام في الجنوب اللبناني**

أما سجن الخيام، فيقع على تلة مرتفعة، ضمن بلدة الخيام في أقصى الجنوب اللبناني، المطلة على شمال فلسطين، وترتفع عن سطح البحر ٧٥٠ مترا. ويعود أساس مبنى هذا السجن إلى ثكنة أنشأتها قوات الانتداب الفرنسية سنة ١٩٣٣م، حيث جعلته وقتها مقراً مركزياً لها في الجنوب اللبناني. وقد أخلى الفرنسيون الثكنة المذكورة عقب الاستقلال، وتسلمها الجيش اللبناني سنة ١٩٤٣م، إلا أنه لم يعرها اهتماماً نظراً لوقوعها بأقصى الجنوب، وظل الوضع على هذا النحو حتى آذار/مارس ١٩٧٨م، عندما نفذت القوات "الإسرائيلية" اجتياحها الأول لأجزاء واسعة من الجنوب، وتعرضت بلدة الخيام لما يشبه التدمير الشامل، أما الثكنة فقد تسلمتها الميليشيات المتعاملة مع إسرائيل، وكانت في البداية مركزاً للتحقيق، إلا أن القوات الإسرائيلية– وعقب إقفالها معتقل أنصار عام ١٩٨٥م –حولت هذه الثكنة، التي كانت تستخدم كمعسكر توقيف، إلى سجن كبير ومركز احتجاز وتحقيق رسمي، ومارست فيه أبشع صنوف التعذيب بحق الأسرى والأسيرات.

ويتألف سجن الخيام من أربعة أقسام، تحتوي على أكثر من ٦٧ زنزانة جماعية، و٢٠ زنزانة فردية. وجميع هذه الزنازين مرقمة بالأرقام العادية، وتختلف طولاً وعرضاً وارتفاعاً، تبعا للمهمة المنوطة بها.

إن إسرائيل لم تلتزم منذ إنشائها بالقانون الدولي، وطالما اعتبرت نفسها دولة فوق القانون، وطالما تحدّت قرارات الشرعية الدولية، بما في ذلك القرارات والاتفاقات التي وقعت عليها: فهي من جهة لا تُضمّن قوانينها الوطنية ما يلزمها بما وقعت عليه من الاتفاقيات والمواثيق الدولية، ومن جهة أخرى تذهب إلى وضع تفسيراتها الخاصة لهذه الاتفاقيات التي وقعت عليها، وبالطبع فإن هذه التفسيرات في خدمة مصالحها السياسية والأمنية.

والسجون والمعتقلات الإسرائيلية، بطبيعتها وتوزيعها الجغرافي، وبتجهيزاتها ومنشآتها وكيفية الحياة بداخلها، وما تقترفه إدارة السجون بحق الأسرى فيها؛ إنما يشكل انتهاكاً جسيماً لقواعد القانون الدولي الإنساني، بل ويرتقي في كثير من الأحيان إلى مستوى جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، تلك الجرائم التي تستوجب تفعيل الملاحقة الجزائية الدولية بشأنها. فمعظمها –كما سبق ذكره –عبارة عن ثكنات عسكرية، موزعة جغرافياً من شمال فلسطين حتى جنوبها، وغالبيتها العظمى تقع في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، ويعتبر نقل المعتقلين الفلسطينيين من المناطق المحتلة واحتجازهم في سجون داخل أراضي الدولة المحتلة مخالفة للقانون الدولي.

وتتعمد إسرائيل احتجاز المعتقلين الفلسطينيين في أماكن تشهد ظروفاً قاسية ومهينة، كشكل إضافي من أشكال العقاب والإذلال، فالمعلومات الواردة من السجون تشير بوضوح لحقيقة أن المباني التي تحتجز فيها إسرائيل المعتقلين الفلسطينيين، لا تتوفر فيها أي من الشروط التي يفترض توفرها حسب المعايير الدولية.

ومن خلال عرضنا السابق لطبيعة السجون وأماكنها، نجد أن جميعها تفتقر لأبسط معايير حقوق الإنسان، ولا تتوافق مع أبسط قواعد القانون الدولي، ناهيك عن أن الأسرى اكتشفوا مؤخراً في سجن "ريمون" وجود كاميرات مراقبة داخل جدران غرفهم، مما يعزز الاعتقاد السائد لدى المعتقلين بأن إدارة السجون تراقب حياتهم وتحركاتهم وحتى أحاديثهم داخل غرفهم وأثناء استقبالهم لذويهم.

القسم الثالث

محطات الاعتقال ومراحل التعذيب وأشكاله

يعتبر الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب معاناة بسبب الاحتلال الإسرائيلي وممارسته القمعية التي طالت جميع نواحي الحياة في فلسطين، حيث أقامت إسرائيل دولتها العنصرية على ثلثي أراضي فلسطين منذ عام (١٩٤٨م)، ولم تكتفِ إسرائيل بذلك فقامت باحتلال ما تبقى من الأراضي الفلسطينية عام (١٩٦٧م)، وقامت باستخدام الاعتقال على نطاق واسع منذ احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة في العام (١٩٦٧م)، حيث كان الاعتقال والتعذيب أبرز أدوات القمع التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة المقاومة الفلسطينية، حيث زجت سلطات الاحتلال بمئات الآلاف من الفلسطينيين داخل المعتقلات والسجون التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الإنسانية [١].

استخدمت إسرائيل قانونها الداخلي وقضائها العسكري وغير العسكري لتبرير اعتقال الفلسطينيين، فلقد أصدرت السلطات الاسرائيلية المئات من الأوامر العسكرية، وقامت بعمليات الاعتقال استناداً إلى الأمر العسكرى رقم (٣٧٨) الذي يجيز للاحتلال اعتقال وتوقيف الفلسطينيين دون إنذار أو حتى تقديم مبررات مقنعة، ولقد جرت عادة إسرائيل على إحالة جميع القضايا المتعلقة بمعتقلين أو موقوفين من الفلسطينيين إلى محاكم عسكرية، وأن يتم اعتقال واحتجاز الفلسطينيين في سجون ومعتقلات داخل اسرائيل وليس داخل الأراضي المحتلة[٢].

وانتهج المحققون سياسة تحقيق وتعذيب بطرق محرمة وممنوعة دولياً، وأصبح التعذيب قانوناً مشرعاً من قبل حكومة إسرائيل[٣]، رغم المكانة الشرعية والقانونية، وحق الأسرى المشروع بمقاومة الاحتلال وفق اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة وقرارات الأمم المتحدة [٤].

في هذا القسم سنتناول تعامل دولة الاحتلال مع الأسرى من الناحية القانونية، وعدم التزامها بالاتفاقيات والمواثيق الدولية، وحرمانهم من حقوقهم الأساسية والإنسانية بدءاً من

---

(١) محمود عساف، سميرة خليفة: دور الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة في تعزيز قضية الأسرى في سجون الاحتلال وسبل تفعيله، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٢

(٢) نداء البرغوثى: "أسرى الحرب في القانون الدولي"، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠١٥، ص٢٦٤.

(٣) رياض العيلة، عبير ثابت: الرؤية المستقبلية لحل قضية الأسرى الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٥.

(٤) وزارة شؤون الأسرى والمحررين، أوقفوا زمن السجن الأسود، رام الله، فلسطين، الدائرة الاعلامية لوزارة الأسرى، ٢٠١٠، ص٥.

الاعتقال والمكانة القانونية، وأساليب التحقيق والتعذيب، والمحاكم العسكرية الردعية، والتضييق عليهم في كل مناحي الحياة اليومية والمعيشية.

أولاً–الوضع القانوني للأسرى في السجون الإسرائيلية:

أيّدت المواثيق والمعاهدات الدولية حق كل شعب في العمل على تحرير أرضه المحتلة بكافة الوسائل المشروعة، وذلك استناداً إلى حق الدفاع الشرعي عن النفس، وحق تقرير المصير الذي نص عليه ميثاق الأمم المتحدة وكذلك الاتفاقيتان الدوليتين الخاصتان بالحقوق المدنية والسياسية وبالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واللتان أقرتهما الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذلك صدور توصية عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقضي بوجوب تضمين جميع المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان المعدة من قبل المنظمة مادة تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها وأن تعمل الدول على احترام وتأمين ممارسة هذا الحق [١].

ففي العام ٢٠٠٣م، ومن على منبر الكنيست الإسرائيلي اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي "أرائيل شارون" بالاحتلال، ورغم ذلك لم تنصاع إسرائيل للاتفاقيات الدولية في التعامل مع الأسرى الفلسطينيين، ولا للقواعد أو القوانين الشرعية الدولية، حيث أن حروب التحرير والتي نصت عليها قرارات الأمم المتحدة ١٥١٤ لعام ١٩٦٠م تقضي بضرورة استقلال الأقاليم المستعمرة، وإنهاء كافة أشكال الاحتلال، وقرار الأمم المتحدة لعام ١٩٦٨م يقضي بمعاملة أسرى حروب التحرير الوطنية كأسرى حرب طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣١٠٣ لعام ١٩٧٣م يؤكد أن النضال المسلح الذي تخوضه الشعوب ضد الاستعمار من قبيل المنازعات الدولية طبقاً لاتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩م[٢].

فإسرائيل كدولة احتلال اعتمدت سياسة التكييف القانوني لمصالحها السياسية والأمنية وقامت بسن الأوامر العسكرية لفرض السيطرة على حياة السكان الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال بدون الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني، التي كان من المفروض أن تشكل الإطار القانون الأساسي لترتيب تعامل دولة الاحتلال مع السكان الفلسطينيين وواقع حياتهم تحت الاحتلال [٣].

---

(١) وليد مزهر: الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٨٩.

(٢) موقع الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=26939

(٣) سحر فرنسيس: موقع الأسرى الفلسطينيين فى القانون الدولى الانسانى، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد ٩٨، ٢٠١٤، ص١٠٦.

وعلى إثر ذلك صدر الأمر العسكري بنقل جميع الصلاحيات للسلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية للحاكم العسكري، ومنذ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧م فرضت المحاكم العسكرية الإسرائيلية سطوتها على كافة جوانب الحياة للفلسطينيين.

وبدأت تخضع إجراءات الاعتقال في المناطق المحتلة، وطريقة معاملتهم، لسلسلة من الأوامر العسكرية التي تصدر عن القادة العسكريين في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وترفض المحاكم العسكرية الإسرائيلية تطبيق تعليمات القانون الدولي[١]، بالرغم من مصادقة إسرائيل على اتفاقيات جنيف الأربعة وعلى العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وعلى اتفاقية مناهضة التعذيب ١٩٨٤م[٢]، فلم تعترف بالأسرى الفلسطينيين كأسرى حرب سواء قبل توقيع اتفاقيات أوسلو أو بعد ذلك، وظلت معاملتها لهم تنطلق على أساس اعتبارهم " مجرمين وارهابيين أو مقاتلين غير قانونيين " [٣].

ومن الطبيعي في ظل القرارات الدولية، وانتهاكات دولة الاحتلال لمبادئها وموادها، أن تثار التساؤلات عن المكانة القانونية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ولقد تزايدت هذه التساؤلات في الآونة الأخيرة، بعد حصول فلسطين على وضع الدولة المراقب – غير العضو في الامم المتحدة [٤].

اختلف آراء فقهاء القانون الدولي وغيرهم من الكتاب وتباينت مذاهبهم بشأن تكييف وضع المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ويمكن التمييز، في هذا الصدد، بين اتجاهات ثلاثة، أحدها يذهب إلى إعطائهم وضع المقاتلين من أجل الحرية، ومن ثم أسرى الحرب، وثانيهما يتجه إلى إجراء تمييز داخل المعتقلين أو تقسيمهم إلى طائفتين ، الأولى تضم المقاتلين القانونيين، والذين يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب، والثانية تضم المعتقلين المدنيين، والاتجاه الثالث، ويرى القائلون به أن المعتقلين الفلسطينيين هم رهائن أو مختطفون لدى سلطة الاحتلال الإسرائيلي[٥].

---

(١) زكريا العثامنة: أثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م على المعتقلين الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٤.

(٢) أنظر ملحق اتفاقية مناهضة التعذيب: ص٢٧٨.

(٣) المركز الفلسطيني لحقوق الانسان:

http://www.pchrgaza.org/arabic/studies/aseer2007.pdf

(٤) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص١٨٥.

(٥) نداء البرغوثي: مرجع سابق: ص٢٠٩.

وأيًا كانت الآراء والاجتهادات من قبل فقهاء القانون فيما يتعلق بالمكانة والتسمية القانونية " كأسرى أو معتقلين أو سجناء سياسيين أو رهائن أو محتجزين أو مختطفين"، فهم أسرى حرية لهم حقوق أساسية وإنسانية، ومن المنطقي أن يكون اصطلاح (الأسرى) هو الأكثر ذيوعاً وانتشاراً في الأوساط الفلسطينية، حيث يعبر عن عدالة القضية الفلسطينية، وسمو ونبل الهدف الذي يحتجز الأشخاص من أجله في سجون الاحتلال، وفي المقابل فإن سلطات الاحتلال تستخدم مصطلح السجناء كمرتكبي أفعال يعاقب عليها القانون، ولعل هذا ما يفسر في الواقع إصرار إسرائيل على استعمال هذا التعبير في اتفاقات أوسلو [١].

ثانياً–الحقوق الأساسية للأسرى والمعتقلين وفق الاتفاقيات الدولية:

هناك إجماع قانوني وقيمي وأخلاقي وإنساني يتفق عليه الجميع في معاملة (الأسرى والمعتقلين في السجون) والتأكيد على حقوقهم الإنسانية والآدمية، وفقاً للمادة الثالثة المشتركة في اتفاقيات جنيف الأربع والتي تطالب بمعاملة إنسانية لجميع الأشخاص (الأسرى والمعتقلين) سواء، وعدم تعريضهم للأذى، وتحرم على الدولة الآسرة الإيذاء أو القتل، والتشويه، والتعذيب، والمعاملة القاسية، واللاإنسانية، والمهينة، واحتجاز الرهائن، والمحاكمة غير العادلة)[٢].

وأكدت اتفاقيات جنيف الأربع على الحقوق الإنسانية والأساسية للأسرى في مكان الاعتقال وشروطه، في الغذاء والملبس، والشروط الصحية والرعاية الطبية، والدين والأنشطة الفكرية والبدنية، والملكية الشخصية والموارد المالية، والإدارة والنظام، والعلاقات مع الخارج، والعقوبات الجنائية، ونقل المعتقلين، والوفاة، والإفراج والإعادة إلى الوطن[٣].

وهناك حقوق إنسانية تضمنتها البروتوكولات والأخلاقيات المتمثلة في: المبادئ الأساسية المتعلقة بحقوق الأسرى، والمتمثلة بتوفير الطعام والشراب والكساء، توفير السكن المناسب لهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، وعدم إكراههم على تغيير معتقداتهم، وتوفير العناية الصحية والعلاجية اللازمة لهم، ومواساة أهل الأسير، وتوفير الاتصال الخارجي للأسير والمراسلات والزيارات بينه وبين أهله، وعدم قتل الأسرى مع الحفاظ على حياتهم، وعدم تعذيبهم بدنياً أو معنوياً، وحقهم في المعاملة الإنسانية، وفي احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال، وفي

(١) المصدر نفسه: ص٢٠٣.

(٢) كمال الأسطل: القانون الدولي الإنساني وقضية الأسرى الفلسطينيين، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص١١.

(٣) كمال الأسطل: مرجع سابق، ص١٥.

ممارسة الشعائر الدينية [١]، كما يحق لأسرى الحرب ممارسة نشاطهم الفكري والثقافي والرياضي، ويسمح لهم بإرسال الرسائل والبطاقات واستلامها [٢]ولقد اعتبرت اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩م أسرى الحرب وديعة لدى الدولة الحاجزة وليسوا رهائن أو مجرمين [٣].

ومن المفترض أن يتمتع الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية كطلاب حرية بكافة الامتيازات المعطاة لهم بموجب المواثيق الدولية، إلا أن سلطات الاحتلال تسعى جاهدة إلى حرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية، من خلال سياسة الاعتقال الإسرائيلية التي تبرر موقفها بأسباب واهية[٤].

وفي ظل هذا التنكر القانوني عاملت إسرائيل الأسرى الفلسطينيين بعدائية غير مسبوقة، الأمر الذي بات لا يخفى على أحد، وبناءاً عليه شدد البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة في فيينا حول الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في السابع والثامن من آذار / مارس ٢٠١١م على عدم قبول الحجة الأمنية التي تسوقها إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال كمبرر لانتهاكات حقوق الإنسان في سجونها [٥].

ثالثاً-أشكال الاعتقال:

في ظل تنكر سلطات الاحتلال للمكانة القانونية للأسرى الفلسطينيين في سجونها، قامت أجهزة الأمن بكل الانتهاكات والممارسات الجسدية والمعنوية والعقابية للأسرى والأسيرات، من خلال سوء المعاملة[٦]، بدءاً بلحظة الاعتقال، مروراً بالتعذيب والتحقيق وانتزاع الاعترافات عنوة تحت الضغط النفسي والجسدي، مروراً بالمحاكم العسكرية والأحكام الردعية، وانتهاءً بالتضييقات المعيشية خلال الاعتقال وللتفصيل أكثر:

(١) محمود عساف، سميرة خليفة: مرجع سابق، ص٨.

(٢) ناصر عبد الجواد: "الأسرى – حقوقهم – واجباتهم – أحكامهم"، ط ٢، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ص٢٩.

(٣) مصلح عبد العزيز: حقوق الأسير، بغداد، دار البداية ناشرون وموزعون، ٢٠١٢، ص١١٥.

(٤) وليد مزهر: مرجع سابق، ص٢.

(٥) مجلة مركز التخطيط الفلسطيني – العدد ٢٩: البيان الختامى لمؤتمر الأمم المتحدة حول الأسرى فى فينا، مركز التخطيط، ٢٠١١، ص٢٠٣.

(٦) فتحي كلوب: (٢٠١٣) مفاهيم حقوق الأسرى المتضمنة في محتويات مناهج التربية الوطنية المقررة على تلاميذ المرحلة الأساسية في فلسطين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين ، ص١.

١- ظروف الاعتقال:

من الصعب تقدير عدد الاعتقالات التي تتم خلال السنوات بشكل دقيق، لأن السلطات الإسرائيلية لا تزود المعنيين بالمعلومات الكاملة حول تلك الاعتقالات التي انخفضت في أعقاب اتفاقية أوسلو[١] حتى انتفاضة ٢٠٠٠م، ويعتبر الاعتقال من أهم أشكال العنف السياسي المباشر الذي يمارس ضد الشعب الفلسطيني منذ بدء الاحتلال، ويبدأ العدوان على المعتقل منذ اللحظة الأولى لاعتقاله، خاصة وأن عملية الاعتقال تتم بطريقة عنيفة ومرعبة بدءاً من الشتائم والألفاظ المسيئة للمعتقل إلى العنف الجسدي والسلوك العدائي والمهين في إجبار المعتقل على التعري، فطريقة الاعتقال تتم بطريقة وحشية لإرباك المعتقل وتخويفه، بالإضافة إلى إلحاق الأذى الجسدي، وتفريغ الحالة العدوانية في جسد الضحية التي غالباً ما تكون مكبلة الأيدي ومعصوبة العينين[٢].

فكل من دخل السجون الإسرائيلية، مورس بحقه أشكالاً متعددةً من التعذيب النفسي والجسدي، ويبدأ التعذيب منذ لحظة الاعتقال وما يصاحبه من إدخال الخوف والرعب في قلوب الأهالي؛ حيث يتعمد الاحتلال إبراز القسوة والإجرام تجاه الأسير نفسه وأمام أبنائه وأهله، كما يتعمد الاحتلال بتقديم الإهانات واللكمات (الضرب) للأسير وذويه قبل اختطافه من بيته، واستخدام المربط البلاستيكي لليدين، واستخدام القوة المبالغ فيها والبدء بالتحقيق والقمع من لحظة الاعتقال الأولى [٣].

٢- إعدام الأسرى بعد اعتقالهم:

تصاعدت سياسة إعدام الأسرى بعد الاعتقال بشكل ملحوظ خلال انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠م وأخذت غطاءً من محكمة العدل العليا الاسرائيلية التي أقرت في عام ٢٠٠٢م سياسة التصفيات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي ضد من تسميهم بالنشطاء الفلسطينيين وقامت سلطات الاحتلال بإعدام الأسرى بدم بارد بوسائل متعددة منها:

١- إطلاق النار بشكل مباشر على المعتقل عند إلقاء القبض عليه.
٢- التنكيل بالمعتقل والاعتداء عليه بالضرب القاسي والشديد مما يؤدي إلى استشهاده.

---

(١) Oslo: Before and After The Status Human Rights in the Occupied, B'TSELEM ,Jerusalem ,july, 1996,PP.15.

(٢) عايد محمد الحموز: الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض أساليب التعذيب الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين في محافظة الخليل، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٣.

(٣) تحسين الأسطل: معالجة الكاريكاتير في الصحف الفلسطينية لقضية الأسرى في السجون الإسرائيلية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٢.

٣- عدم السماح بتقديم الإسعافات الطبية للأسير الجريح بعد إلقاء القبض عليه وتركه ينزف حتى الموت، كما تقوم سلطات الاحتلال بعمليات اختطاف للجرحى من سيارات الإسعاف والمستشفيات وتعذيبهم وتركهم ينزفون حتى الموت.

٤- إطلاق النار على المطلوب للاعتقال، وقتله في حين أنه يمكن إلقاء القبض عليه واعتقاله حياً.

٥- إطلاق النار على المطلوب الاعتقال وقتله على الرغم من علم جيش الاحتلال ووحداته الخاصة أنه غير مسلح ولم يُبدِ أي مقاومة ولا يشكل خطراً على الجنود ويمكن إلقاء القبض عليه حياً[١]، الأمر الذي اتضح في انتفاضة القدس نهاية ٢٠١٥م.

رابعاً-وسائل التعذيب:

يقصد "بالتعذيب" وفق اتفاقية مناهضة التعذيب "أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسدياً كان أم عقلياً، يلحق عمداً بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أوتخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث - أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب يقوم على التمييز أيًّا كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط عن عقوبات قانونية أو الملازم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها "[٢].

ويتضح من خلال هذا التعريف أن هنالك أربعة شروط أساسية وتراكمية تجعل من أي عمل بمثابة تعذيب:

أ) يتم عن قصد.
ب) يسبب الألم أو المعاناة الشديدة.
ج) يتم لغرض تحقيق أحد الأهداف المشمولة في الميثاق، وبضمنها تخليص المعلومات.
د) يتم من قبل موظف رسمي أو بموافقته (٣).

---

(١) جمعية الأسرى والمحررين :الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان، غزة، فلسطين، دائرة الاعلام والتوثيق، ٢٠٠٥، ص١٩.

(٢) موقع الأمم المتحدة - حقوق الانسان:

http://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CAT.aspx

(٣) بتسيلم مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة:

بلا شك أن تلك الشروط معززة بما تقوم به دولة الاحتلال مع الأسرى الفلسطينيين، التي تستهدف الأسير الفلسطيني وترتكب جرم مقصود للنيل منه، وانتزاع اعتراف وتخليص معلومات ولو غير حقيقية تحت الضغط والتعذيب لتحقيق الأهداف المشمولة في الميثاق، وعلى الرغم من أن إسرائيل قد وقعت وصادقت على اتفاقية مناهضة التعذيب لعام ١٩٨٤م، فإنها تعتبر" الدولة" الوحيدة في العالم التي أجازت التعذيب وشرعته بقرار من المحكمة العليا الإسرائيلية، لتعطي بذلك رخصة للمحققين الإسرائيليين وأجهزة الأمن المختلفة في مواصلة تعذيب الأسرى والمعتقلين بأشكال وأساليب متنوعة(١)، فالأسرى في سجون الاحتلال ليسوا مجرد عدد كبير، بل هم مشهد تتجسد في كل جنباته أصناف العنصرية والإهانة والتنكيل والتعذيب واللاإنسانية التي يمارسها الاحتلال بحقهم(٢)، وإسرائيل لم تمنع التعذيب، بل على العكس فهي من الدول الاستثنائية التي شرعته ووفرت للمعذب الحماية القانونية بموجب أحكام قانونية صريحة وواضحة (٣).

وبموجب هذه التغطية تعرض المعتقلون الفلسطينيون والعرب لمختلف أشكال التعذيب والإهانة والإذلال والتحقير والمس بالكرامة الإنسانية والوطنية، وتفتقت العقلية الصهيونية عن عشرات الوسائل والأساليب في التحقيق، وطورتها سنة بعد أخرى، وتفنن المحققون في تعذيب الأسرى وإهانتهم وإلحاق الأذى بهم على مدار السنين(٤).

ولقد تحولت السجون الإسرائيلية إلى مراكز لشن العنف ضد الشعب الفلسطيني وقواه المناضلة ذاك العنف الذي يستهدف الإبادة، ولكن عبر وسيلة أخرى غير حبل المشنقة أو حد المقصلة، وسيلة للتصفية التدريجية للإنسان جسدياً ومعنوياً، لقد أريد للمناضلين الفلسطينيين أن يتحولوا في السجن إلى حطام كائنات لا تمت للبشرية بأية صلة، كائنات مفرغة من كل محتوى إنساني وتشكل عبئًا على نفسها وشعبها(٥).

---

http://www.btselem.org/arabic/torture/international-law

(١) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص٥.

(٢) فراس أبو هلال :مرجع سابق، ص١.

(٣) ربحى قطامش، نمر شعبان :تعذيب السجناء السياسيين الفلسطينيين فى السجون الاسرائيلية، رام الله، فلسطين، الضمير لرعاية الأسير وحقوق الانسان، ٢٠٠٣، ص١٠١.

(٤) زاهى وهبى: مروان البرغوثى ألف يوم فى زنزانة العزل الانفرادى، رام الله، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص٢٣٣.

(٥) د. إياد شناعة: أوضاع ومعاناة الأسيرات والأطفال الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية " ١٩٦٧م – ٢٠١٢م "، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٢.

ولقد أقدم الاحتلال على بناء المعتقلات بهدف استكمال ذبح الإنسان الفلسطيني بأشكال أخرى محاولاً قتل قيمه النضالية وتدمير إرادة التحدي فيه والمواجهة في شخصيته وجعله نادماً ومحبطاً على فعله النضالي، ولم يدخل أحد إلى السجون الإسرائيلية إلا وتعرض لصنف أو أكثر من أصناف التعذيب "الجسدي أو النفسي " وموروس بحقه أبشع أساليب التعذيب المحرمة دولياً [١]، فكل من دخل تجربة الاعتقال وموروس بحقه التحقيق والضغط والتعذيب يرى أن هناك مناوبة على " الأسير الضحية " ويكون الحال أشبه بمسرحية متكاملة الأدوار، لكل محقق وجه معين، وهم أشبه بالممثلين، محقق متخصص في التهديد والوعيد، ومحقق للشتيمة والاستهزاء والسخرية، ومحقق يمثل دور الطيب الحنون الذي يواسي ويستدرج بالكلام، وآخر ينهال بالضرب والألفاظ البذيئة القذرة [٢]، وهناك نوعان من التعذيب.

أ- التعذيب الجسدي:

تعددت وسائل وأساليب التعذيب الجسدي في زنازين الاحتلال، بدءاً بتغطية الرأس بكيس ملوث، وعدم النوم، وعدم العلاج، واستخدام الجروح في التحقيق، ووضع المعتقل في ثلاجة، والوقوف لفترات طويلة، وأسلوب العصافير وما ينتج عنه من تداعيات نفسية، واستخدام المربط البلاستيكي لليدين، رش الماء البارد والساخن على الرأس، وتعرية الأسرى، واستخدام الضرب المبرح، وربطهم من الخلف إما على كرسي صغير الحجم، أو على بلاطة متحركة بهدف إرهاق العمود الفقري للأسير وإعيائه، واستخدام القوة المبالغ فيها أثناء التحقيق والقمع، والشبح لساعات طويلة بل لأيام، إلى جانب استخدامها أساليب الهز العنيف للرأس الذي يؤدي إلى إصابة الأسير بالشلل أو إصابته بعاهة مستديمة وقد يؤدي للوفاة [٣]، و(الشبح) أنواع [٤]سواء ما تمثل في (الإجبار على الوقوف فترات طويلة)، أو (الوقوف رافعًا اليدين)،أو(ربط الأيدي بالأرجل من الخلف)[٥].

ب -التعذيب النفسي:

أجازت لجنة التحقيق لضابط الشرطة استخدام الضغط النفسي غير العنيف من خلال التحقيق الشامل والشديد باستخدام الحيل وما فيها من أعمال الخداع، والإهانة، والتحقير،

(١) رفيق حمدونة، منير شقورة: " توثيق تجربة الاعتقال الفلسطينية في السجون الإسرائيلية بين الضرورة والتنفيذ وتاريخها"، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٣.

(٢) الأسيرة المحررة روضة إبراهيم حبيب: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٢/٣، غزة.

(٣) كمال الأسطل: مرجع سابق، ص٣.

(٤) أنظر ملحق أشكال التعذيب: ص٢٨٢.

(٥) -عايد محمد الحموز: مرجع سابق، ص٢٢.

والتفتيش العاري والحرمان من النوم، والزج في زنازين معتمة رطبة، إضافة إلى الإهانات المعنوية، والتهديد بالقتل، أو النفي، أو هدم البيت، والتهديد بالقضايا اللأخلاقية، أو اعتقال الزوج أو الزوجة [١]، واسماع المعتقل أصوات مسجلة لاستغاثات وإطلاق نار، ونباح كلاب بوليسية[٢]، واستخدام الموسيقى الصاخبة، والحرمان من العبادات، وغير ذلك من ممارسات، والمحقق في الزنازين لا يتوانى من استخدام الوسائل النفسية والجسدية بحق الأطفال والنساء لخصوصيتهن على العكس فهناك شهادات تثبت استغلال المحقق لخصوصية وضعهما السيكولوجي والفسيولجي وللتفصيل أكثر.

- **تعذيب الأطفال:**

أفاد محامو هيئة شؤون الأسرى والمحررين بأن السلطات الإسرائيلية وجنودها وإدارة مصلحة سجونها، مارست واحدًا أو أكثر من أساليب التعذيب أو التنكيل النفسي والجسدي بحق ٩٩% من الأطفال القاصرين الذين يتم اعتقالهم واستجوابهم في مراكز التحقيق [٣]، وأن أطفالاً صغاراً وطلاب مدارس ابتدائية يتم اعتقالهم وضربهم وزجهم في ظروف اعتقالية وحشية وبعضهم من المصابين بالغاز أو الرصاص، ويتم التحقيق معهم لساعات طويلة وهم مشبوحون على كرسي ومقيدو اليدين والقدمين، وينهالون على القاصرين دون سن الثامنة عشر عدد من المحققين بالضرب المبرح طالبين منهم الاعتراف وأن الجميع تم ضربهم على بطونهم ووجوههم مسببين لهم آلام شديدة، وتعرض الأطفال لكل ما يتعرض له البالغين من الشبح والضرب والهز العنيف وكل أشكال التعذيب الجسدي والنفسي كالتفتيش العاري والتهديد والترهيب والضغط النفسي[٤].

(١) جيفرى ديلمان، موسى البكري، استخدام إسرائيل للتعذيب بالصدمة الكهربائية، ط١، القدس، مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، ١٩٩١، ص٢٥.

(٢) منية سمارة، محمد الظاهر: سيناريو المعتقلات الصهيونية، عمان، دار المنارات، ١٩٨٥، ص٧٧.

(٣) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية:

http://www.wafa.ps/arabic/index.php?action=detail&id=205736

(٤) وكالة معا الاخبارية:

https://www.maannews.net/Content.aspx?id=788510

- **تعذيب الأسيرات:**

لم تسلم الأسيرات رغم خصوصيتهن من كافة أشكال التعذيب الجسدي والنفسي[١] الذي يتعرض له الرجال، إضافة إلى تعرض الأسيرات الفلسطينيات للتحرش اللفظي من قبل جنود الاحتلال، وانعدام الفحوصات المخبرية والرعاية الصحية للحوامل، والضرب القاسي المهدد للاجهاض في حال الحمل، وغياب الطواقم الطبية المختصة بالأمراض النسائية، والتهديدات اللأخلاقية، بالاضافة للضغوط النفسية باعتقال الأبناء والزوج أو الوالد وهدم البيت[٢].

خامساً-أشكال التحقيق:

١- مشاركة الأطباء في التعذيب:

المكان لربما الوحيد في العالم من يشرك الطواقم الطبية العاملة لديه لتعذيب الأسرى والأسيرات بشكل متعمد، إذ أن كثيراً ما انتحل المحقق صفة الطبيب، والكثير من الأطباء ما يتحولون إلى أدوات في يد الأجهزة الأمنية، ينفذون ما يطلب منهم، أو يصمتون أمام تعذيب المخابرات الإسرائلية للمعتقلين أمامهم، متخلين بذلك عن أخلاقيات المهنة[٣].

---

(١) الأسيرة المحررة فيروز عرفة وثقت التجربة الاعتقالية بالقول " حينما لم تكتب الأسيرة اعترافاً عن انشطتها للمخابرات فى التحقيق " بدأت معى رحلة الشتم والبصق، والاهانة، والكفر، وبعد فشلهم فى كسر ارادتى بدأوا بممارسة " الاهمال " وهو أسلوب يتبعه المحققون لتحطيم معنويات المعتقل الفلسطينى، وتبدأ الهواجس والأفكار تهاجمه وتؤثر على نفسيته، معتقداً انهم نسوه، فكانوا يتركونى أيام بدون جولات تحقيق، وهنا أقر كانت تراودنى أفكار سيئة ومزعجة أوجه عشرات الأسئلة لنفسى، لماذا يفعلوا ذلك ؟ ماذا يريدون ؟ ما هى خطواتهم التالية(١) ؟

رواية أخرى تجرم دولة الاحتلال بسبب انتهاكاتها للمبادىء الانسانية التى نصعليها ملحق قائمة القواعد العرفية فى القانون الدولى الانسانى الذى أكد فى القاعدة ١٢٧ على تلبية الاحتياجات الخاصة بالنساء المتأثرات بنزاع مسلح فى الحماية والصحة والمساعدة (١) ".

شهادة الاسيرة المحررة فاطمة الزق فى وصف التعذيب، قالت: "عذبوني نفسيا وجسديا وحاولوا إجهاضي لأكثر من مرة، وقدموا لى دواء غير معروف، وأصابنى نزيف حاد كدت أفقد بسببه جنينى، وتعرضت للضرب بلكمات في وجهي من قبل ضابط المخابرات الإسرائيلي، وأخذوني في منتصف الليل سحبا بالسلاسل والقيود، وتم نقلي من زنزانة إلى أخرى بهدف إرهابى وتعاملوا معى بوحشية وقسوة دون مراعاة لخصوصيتى كمرأة أو كحامل، وحاولوا اجهاضى من خلال الدواء والعلاج غير معروف وفي كل مرة كانوا يطلبون منى فحصالجنين ليس للمساعدة طبعا، وكنت أرفض إجراء الفحصالذي يهدف لقتل جنينى، وحينما باءت محاولاتهم العديدة بالفشل رفضوا أثناء ولادتى وجود أهلي بقربي ولكن الله كان معي دائما، حيث تمت ولادتى بعد معاناة كبيرة مع الطبيبة العنصرية، وكان الإحتلال قد قيدنى خلال الولادة بالسلاسل من القدمين واليدين لثلاثة أيام متواصلة وبعد معاناة فكوا قيودى وكنت في مستشفى " مائير بكفار سابا " حيث كنت أشعر بأنى في ساحة حرب وكانت الطبيبة الإسرائيلية العنصرية تصرخ في وجهى بأنى إرهابية وسألد إرهابي.

(٢) رشاد المدني: واقع الأسيرات الفلسطينيات ومعاناتهم داخل السجون الصهيونية، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٢.

(٣) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٢١١.

٢- جهاز كشف الكذب:

ادعت دولة الاحتلال أن ما يسمى كشف جهاز الكذب بمقدوره اكتشاف كذب الأسير على المحقق برصد بعض التغيرات التي تطرأ على جسمه " كنبضات القلب وإفرازات العرق الناجمة عن توترات عصبية، فتقوم دولة الاحتلال بعرض ذلك الأسير أو الأسيرة على خبير مختص يقوم بوضع الأسلاك على الأسير من أذنه وبطنه وأطراف أصابعه والأسلاك، ويقوم المحقق بتوجيه الأسئلة إلى المعتقل مطالبه بالإجابة عليها بسرعة فعندما يحصل تغيير ترتفع الذبذبات فينتبه المحقق إلى موقع الكذب[١]، علماً بأن هذا الجهاز لا يشكل إثباتاً أمام المحكمة وكذلك ممنوع في العرف الدولي، ولا يجوز استخدامه ضد المعتقلين[٢].

٣- استخدام العملاء " غرف العار":

غرف العار تعتبر وسيلة كيدية للمعتقل الفلسطيني على يد بعض المتساقطين أمنياً ممن تعاونوا مع الاحتلال هدفهم إثبات الولاء بوسيلة الحصول على الاعتراف من المعتقلين عن طريق الخداع وتمثيلهم لأدوار وطنية، وكل مايحدث بإيعاز وإشراف رجال المخابرات الإسرائيلية، فيمثلون دور الشرف والنضال بهدف استدراج المعتقل للحديث عن العمليات أو النشاطات التي قام بها أو ممارسة الإرهاب ولإتمام عملية التمثيل فإنهم يضربون المعتقل ويهددونه بإحداث جروح في جسده بأدوات حادة[٣].

سادساً-المحاكم العسكرية والأحكام الردعية:

وقع عدد كبير من أفراد قوات منظمات المقاومة الفلسطينية في قبضة قوات الاحتلال الإسرائيلية، التي رفضت اعتبارهم أسرى حرب، واعتبرتهم سجناء وأحالتهم للمحاكمة بالمخالفة لقواعد القانون الدولي الإنساني، ولقد أصدرت بحقهم أحكاماً مختلفة[٤]، طبقاً لقوانين الطوارىء وتعديلاتها، ووفقاً للأوامر العسكرية التي أصدرتها الحكومة العسكرية للاحتلال، وغالباً ما يكون

---

(١) تقول الأسيرة المحررة روضة حبيب أنهم نقلوني إلى ما يسمى بجهاز الكذب وأبلغنى المحقق أنهم دفعوا آلاف الدولارات لتأمينه لفحصالصدق أو الكذب، تعرضت لهذا الأسلوب ثلاث مرات، وكل مرة كنت أمكث ١٥ ساعة للعملية الواحدة، كنت أشعر بعملية تحقيق قاسية، أى حركة للرأس أو الجسم يعيد الاختبار من جديد كنت أشعر بالتحنيط، كنت أذهب للخبير من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى نهاية الليل، كنت أشعر بالشلل وأنا مليئة بالأسلاك فى كل مكان على جسمى وقلبى، وفى النهاية قال لى أنت انسانة كذابة وخسرنا الكثير من المال دون فائدة، وعقبت كل القضية مسرحية شعرت أن الكرسى نفسه كذاب بالاضافة للمحققين.

(٢) وليد مزهر :مرجع سابق، ص٩٨.

(٣) محمد لطفي ياسين: مرجع سابق، ص٣٢.

(٤) نداء البرغوثى: مرجع سابق، ص٢٥٠.

الدليل الوحيد ضد المعتقل هو اعترافه أو اعتراف معتقلين آخرين عليه في حين لا يشكل استخدام التعذيب ضده سبباً كافياً لبطلان اعترافه، وإذا كان كل من مثلوا أمام المحاكم العسكرية قد أدينوا فإن ذلك يرجع إلى عدم تمكن أي هيئة دفاع من دحض أي اتهام أمام أي محكمة عسكرية، وما ذاك إلا لأنها جميعاً تتبنى موقفاً مسبقاً من المتهمين وتتلقى أوامرها من الجهات الأمنية والسياسية العليا، وتتعامل مع المعتقلين على قاعدة أن كل فلسطيني يمثل أمام المحاكم العسكرية هو مدان حتى يثبت عكس ذلك[١].

وفي جميع الحالات التي يتراجع فيها المعتقل عن أقواله التي انتزعت منه تحت الضغط ترفض المحكمة الأخذ بأقوال المعتقل في أثناء محاكمته وتعلن عنه النيابة العسكرية شاهداً معادياً وتستند المحكمة إلى ما تقدمه المخابرات من إفادات واعترافات كان المعتقل قد قدمها في أثناء التحقيق، والتي انتزعت منه بالقوة والتعذيب والتحايل، ولا تقبل المحكمة تراجع المعتقل عن أقواله [٢].

يخلص الكاتب في نهاية القسم أن هناك حالة ابداعية للأسرى والمعتقلين في ظل تلك التجربة المريرة من الاعتقال والتحقيق والسجن هي قدرتهم على التحمل وتميزهم بالقدرات والإمكانيات الشخصية وتكيفهم مع تلك الظروف، وأنهم امتلكوا من القدرات المعرفية والانفعالية، ما يؤهلهم للتصدي للمواقف الضاغطة والتخلص منها، أو ما يعطيهم القدرة على تجنب أثارها السلبية، أو التقليل منها بهدف المحافظة قدر الإمكان على التوازن الانفعالي[٣]، واستخدامهم للعديد من استراتيجيات التكيف النفسي والاجتماعي، وتمتعهم حتى ما بعد التحرر" بالقدرة على إعادة التقييم والتي تحتل المرتبة الأولى في الاستخدام في مواجهة الآثار النفسية، يليها التخطيط لحل المشاكل، ثم التحكم بالنفس، يليها الانتماء، تأتي في المرتبة الخامسة استراتيجية تحمل المسؤولية، يليها التفكير بالتمني والتجنب، وجاءت إستراتيجية الارتباك والهروب في المرتبة السابعة والأخيرة في الاستخدام من قبل الأسرى المحررين[٤].

---

(١) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٢) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص٧٦.

(٣) –عايد محمد الحموز: مرجع سابق، ص٥.

(٤) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص١٩.

تدريب:

- من خلال زيارة ميدانية لهيئة شؤون الأسرى والمحررين أو إحدى المؤسسات الفاعلة في مجال الأسرى، بيَن نشاط إحداها، ومجال عملها ؟؟

أسئلة التقويم الذاتي :

- اكتب تقريراً حول الإحصائيات الأخيرة للأسرى وأهم الانتهاكات التي يتعرضون لها من إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية ؟؟
- استخدمت دولة الاحتلال الجانب القانوني بمقترحات القوانين للتضييق على الأسرى، وضح ذلك بأمثلة ؟؟
- وضح تفاصيل حياة الأسيرات في السجون، وما يتعرضن له من انتهاكات؟
- بين أوضاع الأسرى الأطفال في السجون، وما يتعرضوان له من تضييقات واستغلال لخصوصية أعمارهم وإمكانياتهم ؟؟
- بين حقوق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين وفق الاتفاقيات الدولية وخاصة جنيف الثالثة والرابعة، ومدى تطبيقها على واقع الأسرى والمعتقلين في السجون الاسرائيلية ؟؟
- ما معنى التعذيب وفق اتفاقية مناهضة التعذيب؟ وهل تتجاوز دولة الاحتلال تلك الاتفاقية بممارستها مع الأسرى والأسيرات في السجون الاسرائيلية ؟؟ وضح ذلك ؟؟
- ما الفرق بين أسير الحرب والمعتقل وفق الاتفاقيات الدولية، وماذا ينطبق على الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين وفق القانون والتحليل ؟؟
- تأثر واقع الأسرى من حيث القوة والضعف بمجموعة من العوامل والمحطات سلباً وإيجاباً على مجمل حياته ، قم بمقارنة بين محطتين تاريخيتين أثَّرتا على الأسرى إحداهما إيجاباً، والثانية سلباً؟
- وضح خمسة أساليب متكررة للتعذيب النفسي والجسدي وفق شهادات الأسرى؟
- إسرائيل تدعى الديمقراطية، هل السجون الإسرائيلية تتمتع بظروف اعتقال شبيهة بتلك الدول ؟؟

نشاط

بطريقتك الخاصة عزيزي الطالب، مستعينًا بالقراءات السابقة أو بالمقابلات الشخصية مع الأسرى والأسيرات المحررات أكتب في أحد المواضيع التالية :

١- ظروف الاعتقال الأولى مع بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.
٢- تأثر الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة بالمتغيرات السياسية في خارج السجون.
٣- الحركة الوطنية النسوية الفلسطينة الأسيرة، واختلافها عن واقع الأسرى.
٤- أذكر ثلاثة من السجون المركزية وثلاثة منالمعتقلات الإسرائيلية، وبالتفصيل استحضر ظروف اعتقال اثنين منهما موضحاً تلك الفروقات؟

الخلاصة

يخلص الكاتب في أعقاب الأقسام الثلاثة " مراحل تطور الحركة الأسيرة ومحطاتها، والسجون والمعتقلات الإسرائيلية ونشأتها، ومواقعها الجغرافية، وانتهاكاتها، والوضع القانوني للأسرى والمعتقلين، وانتهاكات السجان بحق الأسرى في عمليات التعذيب النفسي والجسدي " إلى التالي:

- أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة متأثرة بما لا يدع المجال للشك بالواقع، والمتغيرات السياسية، والأوضاع الداخلية للمجتمع الفلسطيني، ولا مجال لانفصال الواقع الفلسطيني والسياسي وتأثيره على الحركة الأسيرة في السجون.
- أن ما يعيشه الأسرى في تلك السجون والمعتقلات هو بحد ذاته معاناة إنسانية حقيقية بكل معنى الكلمة، وما يحدث في هذه السجون هو امتهان لكرامة الإنسان الفلسطيني بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وانتهاك فاضح وجسيم للقانون الدولي الإنساني وللاتفاقيات الدولية، وترتقي في بعض الأحيان لمصاف جرائم حرب وفقا للتوصيف الدولي.
- أن أجهزة الأمن الإسرائيلية في تعاطيها مع الشعب الفلسطيني من منظور أمني وعدائي بحت، ترتكب جرائم حرب في إعدامها للمعتقلين أثناء اعتقالهم، وفي مراكز التوقيف والتحقيق وممارسة التعذيب النفسي والجسدي بغطاء من المحاكم الإسرائيلية بمغلفات ومبررات أمنية واهية، أباحت للمحقق والسجان والقاضي العسكري كل ما من شأنه تعنيف

وإرهاب المعتقلين والانتقام منهم بشتى الوسائل.

لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية "

بعد أن اطلعت عزيزي الدارس على موضوعات الوحدة الأولى التي تناولت "الحركة الأسيرة النشأة والتطور" ، فإنك في الوحدة الثانية ستتعرف على "العوائق وبناء الذات والإمكانيات ووسائل الأسرى النضالية " وكيفية بناء الذات وتطوير هذه الإمكانيات، ودور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى.

مسرد المصطلحات

- **أسرى الحرب:** حددت اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م الفئات التي يحق لها التمتع بوضع أسير الحرب، إذ تنص المادة الرابعة من الاتفاقية على أن الشخص يكتسب هذا الوضع عند وقوعه في قبضة العدو إذا كان منتمياً لإحدى الفئات التالية:

  ١- القوات المسلحة النظامية.
  ٢- الميليشيات والوحدات المتطوعة وعناصر المقاومة المنظمة.
  ٣- القوات المسلحة النظامية التابعة لطرف غير معترف به من قبل الدولة الحاجزة.
  ٤- الأشخاص الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا جزءًا منها.
  ٥- أفراد الأطقم الملاحية.
  ٦- سكان الأراضي غير المحتلة المشاركون في الهبة الجماهيرية [١].

- **الأسير أو المعتقل الفلسطيني:** هو المواطن الذي اعتقلته سلطات الاحتلال الإسرائيلي بسبب مقاومته للاحتلال على خلفيةٍ سياسية، أو تنظيمية، أو أمنية، أو عسكرية، ومنهم من

(١) نداء البرغوثى، أسرى الحرب فى القانون الدولى، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠١٥، ص٦١.

اعتقلته أجهزة الأمن والجيش الإسرائيلي ضمن ملفٍ سري وبدون لائحة اتهام لتخوفاتٍ أو مبررات أمنية واهية كالمعتقل الإداري[١]، والأسير الفلسطيني أو العربي هو كل من يقبع في سجون الاحتلال الإسرائيلي على خلفية مشاركته في النضال ضد الاحتلال" [٢].

- **الحركة الوطنية الأسيرة:** هي مجموع الأسرى والأسيرات الفلسطينيين الذين تعرضوا للاعتقال منذ بداية الاحتلال العسكري الإنجليزي لفلسطين عام ١٩١٧م، إلى الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨م، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة من قبل إسرائيل أيضاً عام ١٩٦٧م إلى الآن[٣]، وهي تطلق على مجتمع الأسرى والأسيرات من الذين عايشوا تجربة الأسر، وقد بلغ تعدادهم لما يقارب من المليون فلسطيني وفق رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين [٤].

- **مصلحة السجون الإسرائيلية العامة:** بالعربية (مصلحة السجون الإسرائيلية–الشاباص) بالعبرية (שירות בתי הסוהר) بالانجليزية (Israel Prison Service) تأسست عام ١٩٤٩م، وهي تتبع لوزارة الداخلية الإسرائيلية وتمثل الذراع التنفيذية لإنفاذ القانون في إسرائيل ويقع مقرها الرئيسي في مدينة الرملة وسط إسرائيل وهي مسؤولة عن ٣٢ سجن منتشرة في إسرائيل وتضم ٣٥ ألف سجين و٨ آلاف موظف عام ٢٠٠٩م، نسبة السجناء الأمنيين (سجناء المقاومة الفلسطينية/الباحث) بلغت ٤٠ % ونسبة السجناء الجنائيين بلغت٦٠%[٥].

- **العصافير:** وهو المصطلح الذي أطلقه المعتقلون الفلسطينيون على العملاء في سجون الاحتلال، ويرجع سبب التسمية إلى طريقة تسليم هؤلاء العملاء أنفسهم لإدارة السجون، حيث

(١) موقع مركز الأسرى للدراسات: (http://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=24374) .

(٢) إسماعيل الداعور: دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية(١٩٨٧ ٢٠٠٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، ٢٠١٣، ص١٩.

(٣) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، القدس، فلسطين، ٢٠١٤م، ص٤٣ .

(٤) موقع صحيفة رأى اليوم: http://www.raialyoum.com/?p=256617

(٥) زياد أبو زياد: تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية ١٩٩٣٢٠١٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة القدس، القدس – أبو ديس، (٢٠١٢)، ص١٠.

أنهم ينتظرون قدوم إدارة السجن من أجل العدد، أو تفتيش المعتقلين فيستغلون الموقف ويهربون إلى إدارة المعتقل كما يفر الطائر من عشه، حيث يقال للشخص الذي سلم نفسه لإدارة المعتقل " عصفر " أي أصبح عصفوراً وانضم إلى مجتمع العملاء [1].

(١) عبد الناصر فروانة: الأسرى الفلسطينيون: آلام وآمال، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، ٢٠١٥، ص٣١٧.

الوحدة الثانية

العوائق وبناء الذات والإمكانيات ووسائل الأسرى النضالية

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

أهلاً بك عزيزي الطالب في الوحدة الثانية من مقرر " تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة "، التي نأمل أن تحمل معلومات مهمة لك، ومن خلالها ستتعرف على الكثير من ممارسات الاحتلال بحق الأسرى والمعتقلين، والعوائق والعقبات التي تقوم بها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية التى من شأنها أن تعرقل استقرارهم.

وبلا شك أن المعاملة القاسية التي تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحق المعتقلين الفلسطينيين في سجونها فاقت بكثير أي شكل لمعاملة أي نظام أو حكومة أو احتلال في أي مكان من العالم، وأن الترويج لمفاهيم الديمقرطية، وحقوق الإنسان، وامتداد القيم الغربية والحريات واحترام القانون الدولي ما هي إلا أكذوبة صهيوينة باتت لا تنطلي على أحد في ظل الانتهاكات الممنهجة التي تتبعها بحق الشعب الفلسطيني عامة والأسرى خاصة، والتي كانت محل شجب وإدانة في الكثير من المؤسسات الحقوقية ومجموعات الضغط الدولية وعلى رأسها مجلس حقوق الإنسان، بل وهنالك عدد من المفكرين والكتاب الإسرائيليين من أدانوا التعامل بقانون الطوارىء المتوارث من الانتداب البريطاني من العام ١٩٤٥م، والذي بموجبه تتم معظم الانتهاكات والتجاوزات، معتقدين أنه مخالف للديمقراطية والدولة المدنية، وهناك من الطواقم الأكاديمية الإسرائيلية من أطلقت البيانات ضد سياسات إدارة مصلحة السجون وأجهزة الأمن حينما تم منع انتساب المعتقلين للجامعة المفتوحة في إسرائيل، ورفضت نقابة الأطباء الإسرائيلية العمل بالتغذية القسرية بحق الأسرى المضربين عن الطعام في أعقاب إقرار القانون في الكنيست الإسرائيلي، ووزعت نقابة المحامين الإسرائيليين في العام ٢٠٠٦م تقريراً ذكرت فيه تقصيراً كبيراً ومخالفات في ١٨ بنداً رئيسياً من الحقوق الأساسية للأسرى (١).

فاستخدام العنف والقوة المفرطة والاعتداءات الجسدية، واستخدام أسلحة وأساليب محظورة وصلت لحد القتل في بعض الأحيان، جميعها سياسات إسرائيلية ممنهجة هدفها النيل من الأسرى الفلسطينيين على كل المستويات، خاصة أن سلطات الاحتلال تحظر على وسائل الإعلام العربية والدولية ولجان التحقيق والمؤسسات الحقوقية من دخول السجون وإعداد التقارير والتحقيق

(١) مركز الميزان لحقوق الانسان: "صرخات من وراء القضبان"، الرسالة للنشر والإعلام، أم الفحم، فلسطين٢٠٠٩.، ص٦.

في الأحداث، كونهم يمتلكون القدرة والوقت والإمكانيات لإخفاء آثار الجرائم والانتهاكات التي ترتكب بحق الأسرى (١).

اشتملت الوحدة على ثلاثة أقسام رئيسية:

- القسم الأول: (عوائق سلطات الاحتلال في نيل حقوق الأسرى).
- القسم الثاني: (كيفية بناء الذات وتطوير الامكانيات).
- القسم الثالث: (دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى).

نتمنى عزيزي الطالب مرة أخرى أن تشكل هذه الوحدة ركيزة أساسية في فهم واقع الأسرى والمعتقلين ووسائلهم النضالية، وكيفية تجاوز تلك العقبات والعراقيل من خلال تضحياتهم وخطواتهم النضالية المنوعة والملائمة لكل حدث، وعملية بناء الذات لديهم رغم قلة الإمكان.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الطالب بعد مطالعتك لهذه الوحدة، ولمواد اتفاقية جنيف الثالثة والرابعة التي تتحدث عن حقوق الأسرى والمعتقلين، ومقارنة المواد بظروف الأسرى والمعتقلين، وعمليات التضييق وعرقلة التطوير في إمكانياتهم، والوسائل النضالية الاستراتيجية والتكتيكية التي اتخذوها للحفاظ على إنجازاتهم وحقوقهم، والمقابلات مع الأسرى المحررين، نأمل بأن تكون قادراً على أن تتعرف على:

٥- أشكال التضييق من قبل السجان على الأسرى والمعتقلين.
٦- وسائل مواجهة الأسرى والمعتقلين لتلك السياسات والانتهاكات.
٧- التعرف على نظرية المواجهة باحتراف من قبل الأسرى فرادى وبشكل جماعي تنظيمي.
٨- حجم التضحيات من قبل الأسرى والمعتقلين لحماية الأسرى وتحررهم مسلحين بالتجربة

(١) المصدر نفسه: ص٤٦ – ٤٨.

الأمنية والثقافية والتعليمية والاعتقالية.

3.1 أقسام الوحدة

اشتملت الوحدة على ثلاث أقسام رئيسية :

القسم الأول: عوائق سلطات الاحتلال في نيل حقوق الأسرى من حيث "العوائق على المستوى القانوني، والمعيشي والاعتقالي، وعلى صعيد السلامة النفسية والبيئية، وفي الجانب التنظيمي، والفني والذهني والرياضي، وفي الجانب المالي.

القسم الثاني: كيفية بناء الذات وتطوير الإمكانيات، من خلال بناء الجبهة الداخلية، ببناء الذات الثورية، والمؤسسة التنظيمية، وبتقوية العلاقات الفصائلية، وبتشكيل المؤسسات الاعتقالية، وبتعزيز مفهوم النقد الذاتي، الجهود الذاتية للأسرى، كالانضباط والرقابة، وتعزيز الانتماء وروح التحدي، والمنافسة في الثقافة والتعليم، والاستفادة من خبرة الكادر القادر.

القسم الثالث: دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى، من خلال التشجيع والتحفيز، واكتشاف قدرات الأسرى وتطويرها، وإيجاد بيئة اعتقالية ووسائل إبداعية ملائمة، والقوانين والضوابط لحماية بيئة الإبداع، وصياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة، الرياضة البدنية.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس حاول أن تنوع مصادر معلوماتك من خلال المصادر التالية لتتعرف أكثر على تجربة المعتقلين الفلسطينيين في أكثر من مرحلة تاريخية، ومن أدب السجون، وكتابات الأسرى وتوثيقهم، ونوصي بالعودة إلى تلك المصادر:

- إياد الرياحي: الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، فلسطين، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠٠٦م.
- جهاد البطش: "المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية"، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي،٢٠٠٧م.

- حلمى عنقاوي، المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، رام الله ، مطبعة الغد ، ١٩٩٥م
- زهير المصري، نجود أحمد(٢٠١٣م)، العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين .سلمان جاد الله: "أدب المواجهة"، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين، ٢٠٠٠م .
- عيسى قراقع: "الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو ١٩٩٣-١٩٩٩"، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٠م.
- مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: إبداعات انتصرت على القيد – المؤتمر السنوي الثالث، جامعة القدس، القدس، ٢٠١٣م .

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة :

تحتاج عزيزي الدارس لمعرفة تفاصيل حياة الأسرى والمعتقلين لعقد عدد من اللقاءات مع الأسرى والأسيرات المحررات، والتعاون مع هيئة شؤون الأسرى والمحررين والتقارير التي تصدر عنها وعن المؤسسات العاملة والفاعلة في الدفاع عن قضية الأسرى، والإجابة عن التدريب وأسئلة الوحدة.

القسم الأول

عوائق سلطات الاحتلال في نيل حقوق الأسرى الفلسطينيين

تتعامل دولة الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى الفلسطينيين كإرهابيين، لا مناضلين طلاب حرية، وأسرى حرب أو معتقلين مدنيين محتجزين على إثر قضية سياسية، واستعلت على الاتفاقيات والمواثيق الدولية في حقوقهم الإنسانية والأساسية، في هذا القسم سنتطرق إلى أبرز السياسات والعوائق التي انتهجتها سلطات الاحتلال المتمثلة بإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية للنيل من الأسرى، والحد من تطوير قدراتهم وإمكانياتهم على شتى الصعد والمستويات والجوانب، بهدف طمس الجوانب الإبداعية لديهم، ومنها عوائق على المستوى القانوني، وعوائق معيشية واعتقالية، وعلى صعيد السلامة النفسية البيئية، وعوائق فنية وذهنية ورياضية ومالية وتنظيمية.

أولاً–عوائق على المستوى القانوني:

لم تتعامل دولة الاحتلال الإسرائيلي مع الأسرى على خلفية سياسية تنطبق عليهم الاتفاقيات والمواثيق الدولية كأسرى حرب، أو مدنيين تم احتجازهم من مناطق محتلة، بل عاملتهم وفق قوانين وأنظمة إسرائيلية فقط [١]، ولم يستمر وضع الأسرى من الناحية الإسرائيلية عند هذا الحد، بل بدأت المنظومة الإسرائيلية بكاملها " حكومات متعاقبة ووزراء وأعضاء كنيست ومحاكم وصحفيين ودبلوماسيين بالتحريض عليهم داخلياً وخارجياً، واتبعوا معهم سياسة عدائية متطرفة، برز هذا الأمر بصورة جلية في الأعوام الأخيرة لحكومات نتنياهو المتطرفة والمتعاقبة، عبر تصريحات وتحريضات عدد كبير من الوزراء وأعضاء الكنيست [٢]، وسن القوانين من قبل القضاة والمحاكم الإسرائيلية التي شرعنت الكثير من الإجراءات كالتعذيب في التحقيق، والأحكام والقوانين الردعية بحق الأسرى، وعقوبات غير منطقية مخالفة للقانون الدولي الإنساني والاتفاقيات الدولية، وصوت الكنيست الإسرائيلي في جلساته لصالح قانون التغذية القسرية بالقراءة الثانية والثالثة، ولصالح قانون شاليط الذي حرم الأسرى من معظم حقوقهم الإنسانية، فمنعت

---

(١) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص٥.

(٢) ومن المحرضين على الأسرى (أفير جنلدمان الناطق باسم الحكومة الاسرائيلية والذى نعت الأسرى بالارهابيين وغير الأبطال كما يدعى الشعب الفلسطينى، وتبنى مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلى سياسة تحريضية ممنهجة عليهم فى معظم لقاءاته ومؤتمراته الصحفية، وطالب سلفان شالوم الذى شغل نائب رئيس الوزراء ووزيراً للداخلية باعدام الأسرى، ودعا نفتالي بينت "عن البيت اليهودي" الذى شغل وزيراً للتربية والتعليم ويهود الشتات إلى قتل الأسرى محاكياً دعوة أفيقدور ليبرمان الذى شغل وزير الخارجية الاسرائيلية، ووصفت ميري رغيف التى شغلت وزيرة الثقافة والرياضة الأسرى بالحيوانات البشرية، واقترح داني دانون وزير العلوم والقضاء الخارجي وعمل مندوب اسرائيل فى الأمم المتحدة قانون شاليط الذي ينصعلى مضاعفة معاناة الأسرى والتضييق عليهم، وحرمانهم من الحقوق الأساسية) .

أجهزة الأمن بمقتضاه الزيارات وخاصة أسرى قطاع غزة في أعقاب أسر الجندي جلعاد شاليط بعملية فدائية تتوجت بعملية تبادل للأسرى في العام ٢٠١١م رعاية مصرية، بين إسرائيل وحركة حماس في ١٨ أكتوبر ٢٠١١م، وفي مقابله أطلقت إسرائيل سراح (١٠٢٧) محتجزاً فلسطينياً في سجونها منهم ٩٩٤ أسيراً و ٣٣ أسيرة ولقد تمت الصفقة على مرحلتين، الأولى إطلاق سراح ٤٥٠ أسير و ٢٧ أسيرة، أما المرحلة الثانية فانفردت إسرائيل باختيار الأسماء، حيث أفرجت إسرائيل عن ٥٤٤ أسيراً و ٦ أسيرات بعد شهرين(١).

ونص هذا القانون على المزيد من التضييق بحق الأسرى، وبمقتضاه منعت إدارة السجون الثانوية العامة، وحذفت القنوات الفضائية العربية الإخبارية ، وقامت بالمزيد من التضييق في جوانب عديدة كالطعام، والعلاج، والتفتيشات والاقتحامات الليلية، والعزل الانفرادي، والعقوبات والغرامات والتشديد على الأسرى في كل مناحي حياتهم، وتلاه قانون منع الأسرى من التعليم الجامعي حتى من الجامعة المفتوحة في إسرائيل في أعقاب مقترح قانون قدمه عضو الكنيست " شارون غال"، والتي سمحت بالانتساب لها في أعقاب إضراب ١٩٩٢م، و قانون منع الأسرى من استخدام الهواتف الذي قدمه وزير الأمن الداخلي جلعاد أردان وعشرات المقترحات والقوانين.

ثانياً-عوائق معيشية واعتقالية:

شهدت السجون منذ نشأتها الكثير من مظاهر التضييق التي لا تعد ولا تحصى بحق الأسرى في كل تفاصيل حياتهم على مدار الساعة، وبشكل ممنهج ومدروس سعت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بمحاولات إعادة أوضاع الأسرى للمربعات الأولى من تجربة الاعتقال في بداية الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، محاولة بذلك تجاوز كل تاريخهم النضالي الاعتقالي، فقامت بحملات التنقل الواسعة في أوساطهم بهدف إعاقة استقرارهم، وإرباك الأهالي في موضوع الزيارات، وحاولت زرع الفتن والاضطرابات بينهم، وانتشرت الفئران والجرذان والحشرات السامة في عدد من السجون وخاصة الموجودة في معتقلات محاطة بالشبك في صحراء النقب وغيرها، وتواجدت في مناطق الانتظار والغرف ومخازن الأسرى، حتي في بعض خيامهم أو غرفهم دون اهتمام من جانب إدارة السجون لوضع حد لهذه الظاهرة، وقامت بعزل الأسرى في غياهب السجون بظروف صعبة لا تطاق مسلوبين أدنى معايير حقوقهم الإنسانية والمعيشية، وتعرض الأسرى للاعتداءات والضرب والإذلال، ومنهم من تم عزله اجتماعياً عن سائر زملائهم في

(١) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٦٧.

الأقسام وعن العالم الخارجي، وعانوا من سوء أوضاع سيارات النقل " البوسطة " وسوء ظروف أماكن الانتظار، ومن انتشار أجهزة التفتيش والتشويش ووجود الكاميرات في كل زوايا الأقسام، والاكتظاظ في الغرف، وانعدام التهوية، وعدم جمع شمل الأخوة والأقارب، ومن العقوبات الجماعية والفردية، وسوء الطعام كماً ونوعاً، والتفتيشات العارية، والغرامات، والبرودة والرطوبة في الشتاء ومن حرارة الصيف، والحرمان من زيارة المحامين وإدخال الرسائل والمس بالشعائر الدينية وعدم توفير أماكن للعبادة، وعدم التعاطي مع مطالب الأسرى في مراسيم رمضان والأعياد والمناسبات الدينية، ومنعت التعليم الجامعي وتقديم الثانوية العامة، وإدخال الكتب منافية في ذلك المادة ٩٤ من من اتفاقية جنيف الرابعة التي أكدت على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية للمعتقلين[١].

واتبعت سياسة الاستهتار الطبي وخاصة لذوي الأمراض المزمنة، ولمن يحتاجون لعمليات، وضيقت على أهالي الأسرى بالتفتيشات والتأخير على الحواجز والمنع من إدخال احتياجات الأسرى من الملابس والأحذية والأغطية، وقلصت الأوقات المسموح فيها للأسير بالمشي في الهواء وتحت الشمس، " وصادرت حسابات الأسرى الخاصة (الكنتينة) واستولت عليها بدون علم أو موافقة الأسير بحجة الغرامات التي تفرضها عليهم بلا مبرر "[٢]، وقامت بالاعتداء عليهم جسدياً أثناء القمعات والرش بالغاز المسيل للدموع والرصاص الحي والمطاطي والضرب بالهروات، وقامت باقتحام السجون والأقسام والغرف عبر الوحدات الخاصة لإجراء التفتيشات والاقتحامات الليلية المفاجئة والسيطرة على السجون، وقامت تلك الوحدات بدخول الأقسام مقنعة ومسلحة ومارست الإرهاب والصراخ والضرب وتقييد الأسرى، وقامت بإدخال الكلاب المدربة وعبثت بممتلكات الأسرى وصادرتها، " و قتلت فرقة متسادا بالرصاص الحي بين الأعوام (١٩٨٨– ٢٠١٥م) سبعة أسرى [٣] وأصابت المئات[٤]، هذا بالإضافة لشهداء التغذية

(١) اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولى: اتفاقيات جنيف، القاهرة، المركز الاقليمى الاعلامى، ٢٠١٠، ص٢٢٢.

(٢) أحمد حماد، زهير عابد: دور العلاقات العامة في التوعية بقضية الأسرى في سجون الاحتلال، غزة، فلسطين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٩.

(٣) الشهداء الذين قتلوا بالرصاصالحى داخل السجون والمعتقلات هم: (أسعد الشوا، وبسام السمودى ونضال ديب، وعبد الله أبو محروقة، وصبرى عبد ربه، وموسى عبد الرحمن، ومحمد الأشقر)، أما عن شهداء التغذية القسرية فى الاضرابات المفتوحة عن الطعام فهم (الأسير الشهيد عبد القادر أبو الفحم فى العام ١٩٧٠، والأسرى الثلاثة " راسم حلاوة وعلى الجعفرى واسحق مراغة فى اضراب ١٩٨٠ "، ومحمود فريتخ فى العام ١٩٨٤، وحسين عبيدات فى العام ١٩٩٢.

(٤) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٢٢٨.

القسرية المحرمة دولياً في الإضرابات المفتوحة عن الطعام والتي تسببت باستشهاد عدد من الأسرى[١].

ووفق الإحصائيات الرسمية لوحدة الدراسات والتوثيق في هيئة شؤون الأسرى والمحررين رصدت قائمة شهداء الحركة الأسيرة حتى نهاية العام ٢٠١٥م إلى (٢٠٧) أسيرًا ومعتقلاً منذ العام ١٩٦٧م منهم (٧١) بسبب التعذيب، و(٥٥) نتيجة الإهمال الطبي وسوء الرعاية الصحية، و(٧) آخرين سقطوا جراء إصابتهم برصاصات قاتلة، إضافة إلى (٧٤) أسيرًا استشهدوا جراء قتلهم عمداً وتصفيتهم جسدياً بعد اعتقالهم [٢]، كل تلك الانتهاكات مخالفة للقانون الدولي الإنساني التي تستوجب المسؤولية الجنائية للذين اقترفوها سواء بالفعل أو بالتقاعس عن الفعل اللازم وفق الاتفاقيات الدولية [٣].

ثالثاً-عوائق على صعيد السلامة النفسية والبيئية:

استهدفت إدارة السجون نفسية الأسير الفلسطيني منذ لحظة اعتقاله، بممارسة التعذيب النفسي، وتحت الضغط وبالتهديد والوعيد، وحاكمته بشكل جنوني لعشرات المؤبدات " الحكم مدى الحياة لمرات عديدة " فجعلته دائم التفكير بمصير الإفراج عنه،

هنالك قضية لها آثارها الكبيرة على حياة الأسرى من الناحية النفسية والجسدية كالخطر البيئي والبيولوجي للغبار الذري المنبعث من مفاعل ديمونا والذي يطال ما يقارب من نصف الأسرى في معتقل النقب، وسجن نفحة، وريمون، وايشل، " وأجمع الخبراء والعلماء الإسرائيليون والغربيون في مجال الذرة إلى مرحلة الخطر الاستراتيجي لمفاعل ديمونا بسبب انتهاء عمره الافتراضي، والمهدد بكارثة إنسانية وفق التقارير العلمية وصور الأقمار الصناعية المنشورة، والتي استندت في معلوماتها إلى صور التقطتها الأقمار الصناعية التجارية الفرنسية والروسية للمفاعل الذي يعاني من أضرار جسيمة بسبب الإشعاع النيتروني والذي يشكل عامل طرد للسكان اليهود في ذلك المحيط" الموجود به، وإصابة عدد من الأسرى بالسرطانات[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٨.

(٢) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27043

(٣) اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولى :مختارات من المجلة الدولية، برنت رايت للدعاية والاعلان، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٥.

(٤) الوكالة الوطنية للاعلام: http://www.watania.net/news/3514

رابعاً–عوائق في الجانب التنظيمي:

حاربت السلطات الإسرائيلية العمل التنظيمي الجماعي في المعتقلات منذ بدء الحركة الأسيرة، فلم تسمح للأسرى في السجون حتى بالحديث الجماعي في بداية الاعتقال، والعلاقة كانت تقوم على أساس بلدي أو عشائري أو بين مجموعات الخلايا، ومع بروز الأشكال التنظيمية في العام ١٩٦٩م بدأت ملامح العمل التنظيمي معتمدة على الشخصية القيادية بناءً على الثقة والكفاءة والقدرة والتجربة ولم يخضع هذا الاختيار لأسس ولوائح واضحة، وقامت إدارة السجون باستهداف تلك الشخصيات والاعتداء عليها وعزلها ونقلها من سجن إلى سجن، وضرب أي روح جماعية عبر زرع الفتن والمحاور والشلل والنزعات الفردية والانفلاشية والتدخلات والعمل على خلق الانقسامات و التناقضات والخلافات بين المعتقلين عبر العملاء والمندسين، وحاولت سحق أي تشكيل تنظيمي بالإجراءات القمعية القاسية، وحتى بعد إرساء القواعد والمؤسسات التنظيمية في السجون استغلت إدارة السجون حالة الانقسام الفلسطيني وصنفت الأسرى في أماكن الاعتقال وفي الأقسام وفق الانتماءات السياسية، وحاولت الالتفاف على وحدتهم الاعتقالية من خلال التمييز في المعاملة ما بين مؤيد سياسي ومعارض، وعملت على تغليب الانتماء الجغرافي في العلاقات من خلال وضع الأسرى وفق أماكن سكناهم لاستعلاء الجانب القبلي وتعزيزه على حساب الانتماء التنظيمي.

خامساً –عوائق فنية وذهنية ورياضية:

نصت اتفاقية جنيف الرابعة في المادة ٩٤ على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية والترفيهية والرياضية للمعتقلين، إلا أن إدارة مصلحة السجون قامت بمحاربة ومحاصرة تلك الأنشطة ووضعت العوائق والعراقيل لمنع الأسرى من مزاولتها، فلم توفر قاعات أو صالات رياضية، مما اضطر الأسرى للممارسة الرياضة داخل الغرف أو ساحة النزهة التي تعيق حركة الأسرى الآخرين المتواجدين في المكان، ومنعت بعض الألعاب وعاقبت من يحاول ممارستها بالغرامات والعزل كألعاب القوى والكراتيه، وصادرت زجاجات المياه التي يستخدمها الأسرى لرياضة رفع الأثقال، ولم تسمح بالجلسات والدروس التعليمية وفرضت العقوبات بسببها، وأعاقت اقتناء الأدوات الترفيهية والرياضية والأدوات والمواد اللازمة للأشغال اليدوية التي يصنعها الأسرى كالتحف والصخرات والرسومات والنحوت وغيرها.

سادساً–عوائق وعقوبات مالية:

سرقت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية أموال الأسرى بأكثر من وسيلة " بالغرامات المالية التي تفرضها المحاكم العسكرية التي تصل إلى ٨٠,٠٠٠ شيقل أي ما يعادل ٢٠ ألف دولار، بالإضافة إلى الأحكام التنفيذية الأخرى بالسجن الفعلي على الأسير، بالإضافة للغرامات المالية التي تفرضها إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على أي حجة أو ذريعة تعتبرها مخالفة للقوانين داخل السجون والتي تتراوح ما بين (٢٠٠ – ٥٠٠٠ شيقل) أي ما بين ٥٠ دولار إلى ١٤٠٠ دولار أمريكي[١].

ونظراً للنقص الحاد في كمية ونوعية الطعام المقدم للأسرى وكذلك في مواد التنظيف وغيرها، اضطر الأسرى إلى شراء احتياجاتهم من الطعام من مقصف السجن " الكنتين " من أموالهم الخاصة، إذ تبلغ نفقات الأسرى داخل السجون الإسرائيلية ما يعادل ٩٠ % من حسابهم الخاص [٢].

وأحد المظاهر للتنغيص على حياة الأسرى في السجون هو الجانب المالي وقامت إدارة مصلحة السجون بعدة إجراءات على هذا الصعيد مثل:

- إغلاق حسابات الكنتين (مقصف السجن) الخاصة ببعض الأسرى لفترة طويلة، تصل إلى سنة كاملة، وخاصة للأسرى المعزولين، الأمر الذي جعلهم يتخذون إجراءات لترشيد الإنفاق إلى أبعد الحدود.
- تقليص المبلغ المسموح به للأسير في السجون إلى ١٣٠٠ شيقل أي ما يعادل ٣٥٠ دولار شهرياً، ومن ثم تقليصه في أعقاب قانون شاليط وسياسة التضييق على الأسرى إلى (٤٠٠ شيقل) أي ما يعادل ١٠٠ دولار فقط في ظل منع كل احتياجات الأسرى من دخولها عبر الأهالي في الزيارات، واقتناءها من كنتين السجن بمبالغ تفوق ضعفي ثمنها في الخارج كحالة استغلال للأسرى في السجون.
- منعت إدارة السجون إدخال الكنتين من الأقسام الأخرى إلى أسرى العزل.
- ارتفاع أسعار المواد في الكنتين المرهقة لميزانية الأسرى، الأمر الذي جعل الأسرى يتخذون إجراءات احتجاجية مثل إرجاع وجبات الطعام ومقاطعة الكنتين لمعالجة الموضوع.

---

(١) شبكة أمين الاعلامية: http://blog.amin.org/yafa1948/2015/04/19

(٢) جمعية الأسرى والمحررين: التقرير السنوى ٢٠٠٤، دائرة الاعلام والتوثيق، فلسطين، ٢٠٠٥، ص١١.

- منعت إدارة السجون إدخال أي نوع من الأطعمة والخضراوات وزيت الزيتون وغيرها، عن طريق زيارة الأهل الأمر الذي يضطر الأسير إلى شراء كل احتياجاته من الكنتين بأسعارها المرتفعة(١)، ولمواجهة العقبات المالية(٢)، أنشأ الأسرى الصندوق الاعتقالي العام، واللجنة المالية العامة للمعتقل، واللجنة المالية الخاصة بكل فصيل، التي رشدت الصرف الاعتقالي، وحددت الأصناف الضرورية، ووفرت للأسرى احتياجاتهم الممنوع دخولها من الأهالي عبر الزيارات، ووفرت احتياجات المطبخ العامة، ووزعت المشتريات بالتساوي قدر الإمكان على المعتقلين، ومع تكاتف الجهود وصلت بعض المعتقلات في سنوات إلى وضع اتفقت فيه كافة الفصائل أو بعضها على الأقل على إقامة صندوق اعتقالي عام يدار من قبل لجنة مشتركة تشرف على عملية شراء الحاجيات وتوزيعها، ولجنة الصندوق يتم تعيينها من قبل لجنة التنسيق العامة (٣).

(١) موقع أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الانسان: http://ahrar.ps/?p=1013

(٢) بين الأسير زهير سكافي المسؤول عن إدارة الكنتينة في سجن إيشل نسبة الأرباح لشركة المبيعات فى السجون والتى وصلت في أعلى معدلاتها إلى (٥٠٠%) ولا تقل عن (٢٠٠%) وأضاف: بأنّ أرباح مصلحة السجون تبلغ (٧%) من إجمالي الأرباح، وتساوى سنوياً (٣,٦٠٠,٠٠٠ شيقل) أى ما يعادل المليون دولار أمريكى سنوياً من حسابات الأسرى على أقل تقدير، ومع أن اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ القسم الثاني / الفصل الثاني / المادة ٢٨ نصت على (استخدام الأرباح التي تحققها مقاصف المعسكرات لصالح الأسرى وينشأ صندوق خاصلهذا الغرض ويكون لممثل الأسرى الحقّ في الاشتراك في إدارة هذا الصندوق، الأمر الذى لا تلتزم به إدارة السجون الاسرائيلية، كما أن الأسير جمال الهور نفى وجود هذا الصندوق قائلاً: " نسمع عن صندوق يسمى (صندوق رفاهية الأسير) ولكن لا علاقة لنا بإدارته، ولا نملك أي معرفة حجم الواردات أو المخرجات منه وإليه، ونعتقد أنّ الجزء الأكبر من الصرف يذهب لصالح الأسرى الجنائيين على الحفلات الموسيقية والقضايا الترفيهية والفطام عن المخدرات، أما نحن أسرى المقاومة فحقنا مهضوم وضائع.

(٣) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص٢٣٧.

سابعاً–عزل الأسرى عن محيطهم الخارجي:

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية عزل الأسرى عن محيطهم الخارجي، باتباع سياسة العزل الانفرادي، وعدم تواصله مع محيطه عبر منع الزيارات وصلت في بعض المرات لما يزيد عن الخمس سنوات، وعملت على عرقلة زيارات المحامين وعدم انتظامها، ومنع المذياع والتلفاز والصحف العربية في بدايات الاعتقال، وإسماع المعتقلين ساعتين يومياً على مكبرات الصوت لإذاعة صوت إسرائيل باللغة العربية صباحاً للأخبار وفق رؤيتها ومساءً لسماع مقطوعة لأم كلثوم، والسماح بإدخال جريدة الأنباء الناطقة باسم الاحتلال الإسرائيلي، وبعد إضرابات مفتوحة عن الطعام تم السماح بالمذياع والتلفاز، ولكنها عملت على عزل الأسرى عن محيطهم العربي ولم تسمح إلا ببعض الفضائيات القليلة.

ووضعت الصعوبات والتعقيدات في إرسال وتلقي رسائل البريد، فمنعت بعض الأسرى من حق التواصل مع ذويهم عبر البريد، وغالباً ما يتم تأخير الرسائل على الجميع لدى إدارة السجن لأسابيع أو شهور " الصادر أو الوارد "، وضياع الرسائل وعدم إلحاقها بالسجين عند نقله لسجن آخر، ومنع الرسائل بين السجون، حتى الرسائل بين الأقارب إلا بعد تعقيدات مشددة، و منعت الأسرى من استلام أي طرود بريدية " كتب أو علاج أو صحف أو غذاء... الخ " [1].

وهنالك الكثير من الانتهاكات والعوائق التي وضعتها دولة الاحتلال لإعاقة الإبداع داخل السجون وأهمها:

١- منع التواصل مع العالم الخارجي " خارج السجن، مما يؤخر من معرفة الأسرى بكثير من المستجدات والمعطيات والحقائق بشكل عام.
٢- عزل بعض الأسرى المؤثرين وأصحاب التجارب والإبداعات.
٣- الحرب النفسية بحق الأسير تجعل نفسيته في حالة عدم توازن واستقرار بشكل كبير نسبياً.
٤- الأعمال اليدوية مثلاً؛ كانت جزء مهم من إبداعات الأسرى الفنية وتمنع منذ سنوات إدارة السجون الأسرى من إدخال المواد التي يستخدمها الأسرى في إبداعتهم اليدوية.
٥- حالات قليلة تستخدم إدارة السجون بعض جواسيسها لتعكير صفو الجو العام لدى الأسرى مما يربك الواقع الثقافي؛ وقد تم اكتشاف حالات كانت مهمتها تخريب الواقع

(١) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص١٤.

الثقافي من خلال إشغال الأسرى بمشكلات معينة يقوم هؤلاء المندسين بإحداثها بشكل مباشر أو غير مباشر[١].

بدون شك أن الأسرى تميزوا بمقومات وسمات الإبداع في حياتهم والتي كان أهمها:

١- الصورة الكاملة: بينما يقف معظم الناس بتفكيرهم، عند الحوادث الصغار التي لا أهمية لها يركز المبدعين تفكيرهم على الصورة الكاملة، كما الفارق بين الجندي والقائد في المعركة. بينما يركز معظم الناس على ما بأيديهم، فإن المبدعين يركزون على نجاح كل العمليات والجزئيات الأخرى، والأسير المبدع هو الأسير القائد الذي يتحلى بسعة الأفق والرؤية الشاملة للأحداث.
٢- المشاعرهم الجياشة: الأشخاص المبدعين جياشي العواطف بشكل كبير، ويتميز المبدع بقدرته الخلاقة والفريدة على تحويل المشاعر والخبرات السلبية الى "مادة"، وصهرها في شكل عمل إبداعي، وهذا ما يحدث الأسرى المبدعين الذين تحلوا بتلك الصفة التي كانت انطلاقة عملهم الوطني والإنساني.
٣- يتصفون بالمرونة، المبدع شخص يعرف ويدرك أن العالم ليس هو الخريطة، بمعنى أن الأمور لا تسير وفقاً للخطة الموضوعة دوماً، لذا يجب الارتجال والخروج عن النص، الشخص العادي لن يتعب فكره اذ هو ملتزم بوسيلة لا يجيد غيرها ولا يعرف سواها، بينما المبدع لا يقيد نفسه بالوسائل مادامت عيناه على الهدف النهائي، فالمرونة صفة لازمة لهم، المبدع شخص إذا وجد باب الدخول مغلقاً، دخل من باب الخروج ، والأسرى المبعون تحلوا بتلك الصفة كونهم قفزوا عن حيز التفكير في الغرفة وانطلقوا نحو الفضاء خارج المعتقلات والعمل لما بعد التحرر .
٤- يسكنهم الشغف: المبدع شخص شغوف جداً بما يفعله، مهما كانت المهمة التي يعالجها تجد إبداعه يظهر عليها، ويحب المبدعون دوماً أن يتركوا بصمتهم الخاصة على كل عمل قاموا به، ولا توجد لديهم مهام اعتيادية، فكل مرة يقومون فيها بالعمل تنفتح لهم آفاق رحبة للإبداع بشكل مختلف، وقد تطور العمل الإبداعي للأسرى بتغير الظروف واستثمروا صغائرها لإيجاد أعمال كبرى أفادوا أنفسهم وغيرهم بها.
٥- متمردون: المبدع ثائر ومتمرد طوال الوقت، الاستقرار الوحيد الذي يجيده هو التغيير مرة تلو الأخرى، إنهم يحلقون دوماً خارج السرب، ويخرجون عن نطاق المألوف، وغير قابلين للترويض بأي شكلٍ من الأشكال، هوائهم حريتهم كي يبدعوا، لا شئ يثيرهم

(١) الأسير المحرر رائد خالد غباين: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٨/١٩، غزة.

ويحفزهم قدر الخروج عن القواعد، وصنع قواعد أخرى جديدة، والأسرى تمردوا على الاحتلال وضحوا من أجل حريتهم وكرامتهم، وأوجدوا المعادلات مع إدارة السجون التي تؤهلهم لاستغلال الوقت، وعدم القبول بالتحنيط وسياسية الموت والإذلال التي تمارسها إدارة مصلحة السجون عليهم.

٦- يبحثوا عن إجابات: بقدر ما يميل الشخص العادي الى الإجابات المحفوظة والمعلبة، الجاهزة التي لا تتعبه وتضطره للتفكير، بقدر ما لا يرضى بهذا المبدع، إنهم فضوليين بطبعهم ولا يقبلون بشئ على علاته، لذا يسأل ويسأل ليحصل على إجابات تُرضي فضوله، يتأمل الموضوع من زوايا عدة ليرى ما فات الآخرين رؤيته، والأسرى المبدعون تميزوا بالبحث عن الاجابات على شتى الصعد، ووضعوا البدائل والخيارات رفضاً للاستكانة وارتقوا بأنفسهم وواقعم رغم قلة الامكان[١] .

وتشير كافة التقارير والدراسات والإفادات إلى أن" أوضاع الأسرى والأسيرات المعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي وزنازين التحقيق تزداد سُوءاً نتيجة لما يعانون من انتهاكات لحقوقهم المكفولة لهم بموجب القانون الدولي والاتفاقيات الدولية والإنسانية، ولأسباب تغاضى المجتمع الدولي للانتهاكات الإسرائيلية لحقوقهم ؛ الأمر الذي يجبر ويلزم الأسرة الدولية على التحرك الفوري والجاد للضغط على الحكومة الإسرائيلية للتوقف عن الإمعان بانتهاك إدارات سجونها وأجهزتها الأمنية إزاء الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب وتشكيل لجان تحقيق دولية للوقوف على حقيقة الانتهاكات والجرائم التي ترتكب بحقهم " [٢].

(١) موقع اراجيك. الكاتب: حازم سويلم في: رياد أعمال، مصدر سمات المبدع

http://www.arageek.com/2014/06/27/creative-people-characteristics.htm- ٢٠١٤/٦/٢٧

(٢) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص١.

في نهاية القسم نجد أن الأسرى أبدعوا في مواجهة مخططات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، وتغلبوا على معظم العوائق التي أوجدها السجان من خلال الخطوات النضالية عبر مشاورات جماعية في داخل المؤسسات الاعتقالية التي أوجدوها، فلم يصمتوا ويستكينوا أمام تلك التجاوزات، بل تسلحوا بإيمانهم بقضيتهم، وقراءتهم المعمقة لمخططات عدوهم، وتفاؤلهم وأملهم بالحرية.

واستطاع الأسرى أن يحققوا الكثير من الحقوق من خلال استخدامهم للكثير من الوسائل النضالية، فهرّبوا الهواتف النقالة لداخل السجون لكسر منع الزيارات والتواصل مع الخارج، ونقلوا معاناتهم للجهات والمؤسسات ولوسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة، وتم السماح بالفضائيات العربية والإخبارية، ولازالت المعركة قائمة بين التثبيت والمصادرة فيها، وأغلقوا أقسام العزل الانفرادي كعزل نيتسان الرملة في أعقاب إضراب ١٩٩٣/٩/٢٧م، وقبل السماح بإدخال المذياع استطاع الأسرى تهريبه في العام ١٩٧٥م في سجن بئر السبع، وأصبحوا يواكبون الأخبار المحلية والعربية والعالمية، بعدما فُرض عليهم سماعها من صوت إسرائيل باللغة العربية وبالرواية الإسرائيلية [١].

(١) مفيد عرقوب: "بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية"، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة عين شمس، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية. ، ص٢١.

القسم الثاني

كيفية بناء الذات وتطوير الإمكانيات

اتضح للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة منذ نشأتها أن هنالك عملية تصفية لقدراتهم البدنية والنفسية والنضالية من قبل إدارة مصلحة السجون، وأدركوا أن الحياة الكريمة لن تقدم لهم هدية على مائدة من ذهب، أو بحسن نوايا من الاحتلال، على العكس فقد أعدت الأخيرة لهم الهياكل والنظم والخبراء ومراكز الأبحاث للتفنن في القضاء على كل إمكانياتهم، وكان لابد من التعبئة الفردية وتقوية الجبهة الداخلية كشرط رئيسي للحفاظ على الذات، ومن ثم ابتداع الوسائل كأدوات مواجهة، وبالفعل تمكنت الحركة الفلسطينية الأسيرة عبر الكثير من التضحيات من تجميع قواها والانتصاب أمام عوامل الإحباط والتيئيس.

إن إنجازات الحركة الوطنية الأسيرة في أوائلها عبّدت الطريق أمام مئات آلاف المناضلين الذين خاضوا تجربة الاعتقال للاستفادة منها، وأتاحت للبقية المتبقية في السجون من أن يراكموا المزيد عليها، ومثلت رصيداً نضالياً لا يمكن القفز عنه حتى عند قيام احتجاجات أو خطوات نضالية أخرى، وأصبح وعي الحركة الأسيرة يدرك أن المطالبة بالجديد أو بالإصلاح والتغيير، لا يعني العودة إلى البداية وإنما الاستمرار من النقطة التي تم الوصول اليها[1].

في هذا القسم سنتناول أهم الأدوات التي تسلح بها الأسرى كعوامل ساهمت في تنمية الإبداع في السجون، كبناء الجبهة الداخلية، والوحدة الفصائلية، والعمل الجماعي، والشعور بالانتماء لقضية عادلة تستحق التضحية، وتحدي السجان ومخططاته، والمنافسة بين الأسرى، والاطلاع على العالم الخارجي، والبحث عن التخصص في المطالعة الفردية، والانتساب للجامعات سعياً للحصول على الشهادات الأكاديمية، والقراءة المعمقة والمطالعة الفردية، ودور الأسرى القدامى من ذوي الخبرة والتجربة واستغلال الوقت وغير ذلك من العوامل.

أولاً–بناء الجبهة الداخلية:

١ –بناء الذات الثورية:

درس الأسرى الكثير من التخصصات في شتى المجالات " في علم الاجتماع وعلم النفس، والعلوم الإنسانية، والعلوم الإدارية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والدينية "، واستغلوا ما تعلموه

(١) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص٨٢.

في معركتهم المستمرة والشرسة ليل نهار مع إدارة مصلحة السجون، واستفادوا من علماء الاجتماع الذين أولوا تماسك الجبهة الداخلية أهمية كبرى لنجاح أي معركة، وبدأوا بالنواة الأولى في المجتمع الاعتقالي المتمثل بالعنصر التنظيمي، وبالفرد الأسير، الذي يجب أن يدرك ظروفه، والتحديات التي تواجهه، والأعباء الملقاة على عاتقه، وطبيعة العدو وقسوته وعدم إنسانيته، والوسائل غير الإنسانية التي ممكن أن يستخدمها في معاركه.

فشحذت قيادة الحركة الأسيرة الهمم وتعزيز الصمود والإرادة في وجه السجان عبر الجلسات الثقافية، والتعاميم الاعتقالية الموجهة للقاعدة التنظيمية، واعتبر الأسرى في توجيهاتهم أن إدارة مصلحة السجون تسعى لتفسيخ الوحدة الداخلية من أجل تسهيل تمرير مخططاتها التصفوية، ونجاح أي خطوة اعتقالية مرهون بالإرادة الصلبة المعبئة بالنضال، الذي يتطلب الوحدة والتلاحم، وتطوير العلاقات الأخوية والفصائلية، وتلمس الوسائل النضالية المدروسة لإفشال مخططاتها، والتأكيد على الإرادة كسلاح فتَّاك في المواجهة، وكأساس للنجاح، وتقوية العزائم لدى الأسير [١].

ولتنظيم حياة الأسرى وضبطها أوجدوا اللوائح الداخلية التي تفصل ما هو مسموح به للفرد عن ما هو ممنوع عليه، كما تم عقد الكثير من الجلسات التربوية التي تعزز قيم الطاعة والانضباط الحزبي، وتعزز الضوابط التي عوملت كمقياس لأخلاقيات الفرد، وبُني عليها الكثير من التقييمات التي تتعلق بالفرد وتطوره داخل التنظيم [٢].

وكانت الوسيلة المتبعة في السجون للإرشاد والانضباط والتوجيه ما أطلقوا عليه " التعميم الاعتقالي " الذي يخدم عدة أهداف منها " التعميم السياسي، وهو التعميم الإخباري الذي يتضمن الأحداث التي تحدث في المعتقل، والتعميم الذي يعالج المشاكل المسلكية ويسعى إلى تحقيق أهداف تربوية من خلال تعميم المشاكل التي تحصل بين الأفراد وكيفية حلها والعقوبات المفروضة على أطرافها لكي تخدم أهداف التربية المسلكية، وهناك تعاميم كانت تسعى إلى محاربة الظواهر السلبية والتأكيد وتعزيز المسلكية الإيجابية في مجتمع المعتقل [٣] "

(١) عبد الحق شحادة: أوراق من خلف جدران الأسر، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ٢٠١٠، ص١١.

(٢) اياد الرياحى: الواقع التنظيمى للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، فلسطين، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠٠٦، ص١٨.

(٣) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ابداعات انتصرت على القيد – المؤتمر السنوى الثالث، جامعة القدس، القدس، ٢٠١٣، ص٥٣.

٢-بناء المؤسسة التنظيمية:

لقد تحمل الأسرى الكثير من العذابات في السجون الإسرائيلية، وسقط منهم عشرات الشهداء من أجل بلورة أشكال وهياكل تنظيمية، وسعوا للحفاظ على الذات التنظيمية وتطويرها، وكانوا على يقين أن تماسكهم وتنظيمهم يمنحهم قوة في مواجهة إدارة السجون [١].

وبالرغم من الاضطهاد والمضايقات التي تعرضوا لها، استطاعوا أن يشكلوا هياكل وأطر تنظيمية، ومن صياغة لوائح تنظم حركة وحياة المعتقلين وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، والفصائلية، وعلاقاتهم مع إدارة المعتقلات، ونجحت الفصائل في تقديم نموذج في تنظيم شؤونها بأكثر دقة وتنظيماً من بعض تجارب حركات المقاومة خارج السجون[٢].

استطاع الأسرى بناء جبهة داخلية بطريقة فريدة ورائعة، شهد لها العدو قبل الصديق، وأفرزوا قيادات منتخبة خاصة بكل فصيل من الفصائل، وتعاونت هذه القيادات مع نظرائها في نفس السجن ومع باقي القيادات في السجون الأخرى، وأداروا شؤونهم الثقافية والنضالية والمالية والأمنية والرياضية بكل كفاءة [٣].

اختصر الموقع العبري "حقي" الحياة النضالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بالقول "استطاعت التنظيمات الفلسطينية داخل السجون في أعقاب الكثير من الخطوات الاحتجاجية للضغط على مصلحة السجون بطرق ووسائل متعددة كالإضرابات المفتوحة عن الطعام والتمردات ورفض الخروج للفورات وغيرها على تحسين شروط حياتها لتحقيق أهدافها[٤].

---

(١) محمد أبو شريعة : مرجع سابق، ص٥٢ .

(٢) فتحي كلوب: مرجع سابق، ص٢٤.

(٣) ناصر عبد الجواد: مرجع سابق، ص٣١.

(٤) זכויות: זכויות אסירים ביטחוניים، http://www.myrights.co.il/

٤- تقوية العلاقات الفصائلية:

لم يهتم الأسرى الفلسطينيون في بداية الحياة الاعتقالية بالانتماء الفصائلي، لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بنائها الإداري وهيكلها التنظيمي، وكذلك كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء حركة وطنية فلسطينية واحدة ومتميزين عن السجناء الجنائيين[١].

في المقابل لم تكن إدارة السجون تفرق بين انتماءاتهم السياسية، لذلك لم يكن أمام المعتقلين الفلسطينيين إلا أن يشكلوا جبهة واحدة في مواجهة إدارة السجون التي كانت تعاملهم بقسوة وعنف وتنكيل، حيث أنهم أدركوا وحدة المصير بين جدران السجون، وكان لابد من العمل لإيجاد الأطر التنظيمية القادرة على تنظيم حياتهم بعيداً عن الفوضى والعشوائية، ومع مرور الأيام وازدياد عدد المعتقلين اكتسبوا الخبرة والوعي بالممارسة، ووضعوا التفاهمات والأسس لإرساء دعائم الوضع التنظيمي في السجون، ومن ثم الارتقاء بالهياكل الإدارية التي ظهرت بشكل بدائي، ثم تطورت حتى وصلت إلى شكل راق ومستقر [٢]يشهد في تنظيمه وترتيبه وقوته وتفاهمه القاصي والداني.

٤-تشكيل المؤسسات الاعتقالية:

لقد تمكنت الحركة الاعتقالية خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية الوطنية، والتي اعتبرت الإطار القيادى للمعتقلات، وبدأ الإعداد للميثاق أو الدستور الاعتقالي الذي ينظم الحياة الاعتقالية في العام ١٩٧٦م، ووجدت التفاهمات النظرية والمراسلات المكتوبة والشفوية لتنسيق المواقف وتنظيم العلاقة بين الأطر، وتشكيل الهياكل والمؤسسات والمسميات والضوابط للأفراد والتنظيمات في السجون، وأشكال اتخاذ القرارات ومرجعياتها، وكانت على رأس تلك المؤسسات " اللجنة الوطنية أو النضالية العامة " التي تشرف على اللجان العامة في السجون" كاللجنة الثقافية، والأمنية، والرياضية، والصندوق المالي الاعتقالي العام.

٥-تعزيز مفهوم النقد الذاتي:

أكدت الحركة الأسيرة في السجون على مبدأ النقد للسلوك والظواهر الخاطئة لتقويمها، وعلى الخطوات النضالية التي تتبعها اللجنة الوطنية العامة وتقييمها، لتراكم النجاحات

(١) زهير المصري، نجود أحمد(٢٠١٣)، العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين ، ص٧.

(٢) نفس المصدر، ص٦.

والإنجازات، واستثمار نقاط القوة وتجاوز مواطن الضعف وأسباب التراجع، وعززت القوى والفصائل تلك العملية في أدبياتها التي اعتبرت أن أي نجاح لأي عمل تنظيمي يكمن فى كيفية ممارسة مفهوم النقد، ومعرفة أهمية هذه الممارسة في بناء وتصليب الذات والإطار التنظيمي القائم على مرتكزات مبدأية سليمة.

واعتبرت الحركة الأسيرة عبر تثقيفها للأسرى أن النقد البناء ومراجعة الذات هما مسألتان مهمتان وضروريتان في سبيل تخطي الأخطاء، وكذلك الاستفادة من عملية النقد الموجهة في سبيل بناء الذات وتقويم المسلكية والرقي إلى واقع أفضل [١].

ثانياً-الجهود الذاتية للأسرى:

في أعقاب بناء الجبهة الداخلية للأسرى الفلسطينيين والتي أخذت طابعاً جماعياً لحماية الأسرى من الداخل، بدأ الأسرى جماعات وفرادى ببناء الذات الثورية، وتعزيز مكانتها الكفاحية، عبر مجموعة من الحوافز والمنطلقات النظرية والأنشطة والجهود العملية على كل الصعد مثل:

الجهود الذاتية للأسرى:الإبداع في هذا الجانب هو محاولة نقل الوقت من نطاق سيطرة السجان إلى نطاق سيطرة الأسير[٢]، فلقد كان أخطر ما واجه الأسير الفلسطيني مشكلة ملء الفراغ الناجم عن واقع الأسر، هذا الفراغ الذي بلغ علماء الهندسة البشرية الصهاينة منذ بداية الاحتلال كل ما في وسعهم لتحويله بالكامل لصالحهم، ولملئه بالثقافة كونهما مرتبطان[٣]، فعنصر الوقت يعطى فرصة ديناميكية العملية الثقافية[٤]، ولإشباعه بمفاهيم ورؤى تخدم واقع الاحتلال وأهدافه في إفراغ الإنسان الفلسطيني من محتواه الوطني، وقتل روح التمرد والتحدي فيه، ولقد استدرك مبدعو الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أبعاد هذا الأمر وعملوا على تفويت الفرصة على دوائر القمع الصهيونية، وكان هذا الوعي بداية للمبدعين الأسرى للبدء في حملة ثورية للاستفادة من الفراغ الطويل وتحويله من عامل سلبي يولد الملل ويضاعف التوتر ويخلق الأزمات، إلى عامل إيجابي يوفر الإمكانيات لبناء الذات، وإعادة إصلاح وصياغة الوعي وبناء منطلقات ثقافية وتربوية تنبثق عنها إعادة

(١) عبد الحق شحادة: مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) سامى الأخرس، كامل مسعود: رحيق الوطن، غزة، فلسطين، مكتبة الأندلس، ٢٠١٥، ص٦٩.

(٣) غادة موسى: أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٤.

(٤) Bernardi,Bernardo,The concept and dynamics of culture, (1977), World Anthropology, The Hague: Mouton, , pp.83.

الصياغة الفكرية والنفسية الاجتماعية على أسس ثورية [١]، وبذلك سعى الأسرى إلى الفائدة، والتفكير والمبادرة، والمعرفة، والقدرة على التحكم في الظرف والبيئة، والتخطيط والتنظيم والتقويم، والاندفاع نحو الثقافة والتعليم، وبذلك أصبح الفراغ الذي تمنت إسرائيل منه أن يقتل الأسير الفلسطيني ويدمره من عامل سلبي يولد الملل والرتابة، ويخلق التوتر والإرهاق، إلى عامل إيجابي يولد الإبداع و يعمل على بناء الذات، وتركيم الوعي الوطني الذي يعتمد على قوة الحق، مقابل غطرسة القوة لدى العدو الظالم [٢].

١ – الانضباط والرقابة:

حاربت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية منذ بداية الاعتقال قضية الانضباط والتنظيم، بل على العكس هي غذت "عدم الانضباط" أو ما أطلق عليه الأسرى بمصطلح " الانفلاش " الذي عرفه الأسرى بتنصل الأسير من التزاماته اتجاه المجموع، وتحلله من أصول الحياة الجماعية، وعدم التقيد بالأنظمة التي وضعوها، وعدم حضور اجتماعاتهم، وعدم تنفيذ القرارات الناجمة عنها [٣].

ومن ظواهر الإبداع في السجون التعبئة والإقناع للأسرى للالتزام بالحياة الجماعية المنظمة، والرقابة على سلوكياتهم، ولفظ لمجرد التفكير أي حالة اختارت الحياة المزاجية غير التنظيمية، وألزمت كل المعتقلين باختيار فصيل للعيش في إطاره وضمن قوانينه، وأوجدت الحركة الأسيرة الضوابط التي تحكم الأسير بإطاره التنظيمي وبتحديد حقوقه وواجباته، والتي تحكم الأسير بالكل الاعتقالي، والتي حددت شكل العلاقات، والتعريف بما هو مسموح وما هو ممنوع منها.

وأوجدت الحركة الأسيرة اللوائح والمواثيق التي تحكم عمل المؤسسات الاعتقالية، وجرمت الأعمال الفردية غير المنظمة وغير المغطاة ولو ضمنياً من الأطر التنظيمية والمؤسسات الاعتقالية، وأكدت على الالتزام بالقرارات التي تصدرها القيادة لكل فصيل، والالتزام بالقرارات الصادرة عن المؤسسات الاعتقالية في كل معتقل، والالتزام بالنظم والقرارات الإدارية والثقافية والأمنية والمالية، وتحمل المسؤولية الكاملة عن كل ممارسة، وأوجدت نظام المكافئة للمتميزين، والعقوبات للمتسيبين والخارجين عن القانون الاعتقالي، وتشكيل اللجان لدراسة المخالفات وإقرار العقوبة التي تتراوح ما بين التأنيب والمراجعة اللفظية إلى أن تصل للإعدام في حال الخيانة

(١) سلمان جاد الله: "أدب المواجهة"، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين، ٢٠٠٠م ، ص٥١.

(٢) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٧ .

الوطنية، مروراً بعقوبات أخرى كالحرمان من التدخين، أو الجلد، أو غسل أواني الطعام لأيام أو وجبات، وعقوبات أخرى " وفق قوانين تعارف عليها الأسرى اعتقالياً، ومثبتة في اللوائح التنظيمية الداخلية لكل فصيل ".

٢- تعزيز الانتماء وروح التحدي:

من إبداعات الأسرى التي صلبت مواقفهم، ورسخت إراداتهم، وقوت عزائمهم أمام سياسات إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية وطواقمها الحاقدة، إيمانهم العميق بعدالة قضيتهم والعمل على حريتهم التي كفلتها كل الشرائع السماوية والاتفاقيات والمواثيق الدولية، فحملوا تلك القناعة، وضحوا بالغالي والنفيس لتحقيق أهدافهم الوطنية والقومية، وواجباتهم الدينية.

هذه الروح النضالية تجذرت بعد تراكم الوعي والقناعة والتجربة النضالية وخاصة بعد الممارسات غير الإنسانية التي مروا بها في أقبية التحقيق ووسائل التعذيب التي زادتهم إيماناً بقضيتهم، وتحدياً لجلادهم.

لم يقتصر الموضوع عند هذا الحد بل عملت التنظيمات في السجون على مضاعفة الانتماء وروح التحدي عند الأسرى بالبرامج التوعوية، والجلسات الثقافية، وبممارسة الخطوات النضالية، ورفعت المستوى السياسي والأمني والثقافي للمعتقلين، وعملت على تجذير انتمائهم لثورتهم وأهدافهم التي حملوها، فتأسست في السجون المدارس الثورية، لتخريج الكوادر السياسية والوطنية، وحولت المعتقلات إلى قلاع صامدة ونابضة بالحيوية والنشاط والفعل الثوري والوطني[١]، ورفعت جاهزيتهم النضالية ومعنوياتهم ونفوسهم وهممهم استعداداً لأي مواجهة تفرض عليهم بتحدي وعناد، فواجه الأسير سجانه بعقيدة، وصبر وصمود، جميعها كانت ركائز المعركة مع السجون والانتصار عليه، فالعناد على الحق هنا هو الإرادة القوية التي تلد النصر، والنصر حليف الإرادة المجبولة بالإيمان والقوة على الاحتمال، والاحتمال ميزة يتصف بها المؤمنون بقضاياهم [٢].

(١)حلمى عنقاوى، المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، رام الله ، مطبعة الغد ، ١٩٩٥ م ، ص٢٩.

(٢) جميل السلحوت: أدب السجون، القدس، دار الجندى للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص١٣.

ويلاحظ أن الوضع داخل السجون لم يستقر يوماً، فهو في حالة مواجهة دائمة ومتواصلة، ولذلك فالحركة الأسيرة لم تلق سلاح المواجهة والتعبئة والاستنفار النفسي في أي لحظة لأن أمامها عدوًا لا يريد لها سوى أن تدفن في الظلمة، والانصياع لقوانينه العسكرية الظالمة [١].

٣- الثقافة والتعليم والمنافسة فيهما:

منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة فرضت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على الأسرى حصاراً ثقافياً محكماً، ولكن الأسرى أدركوا خطورة هذا الظرف وكانوا على استعداد للتضحية من أجل كسره، الأمر الذي تجسد في إضراب عسقلان ٥/٧/ ١٩٧٠م.

ومع إدخال الكتاب كإنجاز، تعددت الجلسات الثقافية داخل الغرفة الواحدة، وتبادلت الغرف المعلومات فيما بينها، وتوسع الحوار السياسي بين السجناء، وازداد نطاق تبادل المعلومات بين الغرف بسبب تخفيف القيود المفروضة على حركة الأسرى، فأصبح هناك مجال لإعداد مجلات تنظيمية شهرية، وهكذا تحولت غرف السجون إلى صفوف دراسية وثقافية، فاهتم الأسرى بتحصيلهم الدراسي، وإغناء ثقافتهم عبر النشرات والبيانات التي كانت تقرأ عليهم، وشيئاً فشيئاً تحولت هذه الجلسات اليومية إلى تقليد ما زال متبعاً حتى يومنا هذا[٢].

أما عن الجانب التعليمي فقد انتزعت الحركة الأسيرة حق التعليم "تقديم الثانوية العامة"، والانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل بعد إضراب ١٩٩٣/٩/٢٧م التي أبت فيه إدارة السجون الانتساب للجامعات العربية والفلسطينية والدولية، وفي أعقاب منعها في العام ٢٠١٢م تطبيقاً لسياسة التضييق، استطاع الأسرى الانتساب للجامعات خفية، في عملية معقدة ولكنها مبدعة، مليئة بحالة المنافسة، وتوسع الأسرى فى الثقافة العامة، والتخصص فى المجالات المختلفة، وفي تعلم اللغات، وحفظ القرآن الكريم، والتفسير، والكتابة والإنتاج الأدبي في كافة المجالات الثقافية والتعليمية على حد سواء.

(١) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص٢١.

٤- الاستفادة من خبرة الكادر القادر:

الحياة داخل المعتقلات تقوم على التنظيم والتكاملية، التنظيم في كل شؤون الحياة الاعتقالية للأسير والفصائل ومع إدارة السجون، وتقوم على التكاملية والتعاون في العلم والتعلم " الثقافي والتعليمي والتنظيمي" على حد سواء، وتنتقل التجارب والثقافات والعلوم المختلفة بين الأسرى باللقاءات والجلسات الجماعية الفردية والتنظيمية، وللأسرى القدامى الكثير من التأثير على الأسرى الجدد بما اكتسبوه من علوم ولغات وتجارب نضالية واعتقالية، لذا يقوم الكثير من الأسرى القدامى من ذوي الخبرات وحملة الشهادات وما امتلكوه من ثقافات عبر مطالعة عشرات بل مئات الكتب على مدار فترة سجنهم الطويلة التي تتراوح ما بين ١٠ سنوات إلى ما يزيد عن ٢٥ عام وبعضهم وصل إلى أكثر من ثلاثين عاماً متواصلة.

فتلك الشخصيات القيادية عملت في السجون على بث الروح الجماعية بين المعتقلين والعمل على تحجيم الولاءات البلدية والشللية والشخصية وغيرها، كما عملت على ترسيخ التربية التنظيمية الهادفة إلى الالتزام والانضباط، ونشر التوعية الأمنية والعمل على إحباط ومواجهة مؤامرات العملاء، وتقوية روح الانتماء الفصائلي، ومواجهة إدارة المعتقل، وتهيئة المعتقلين لمراحل نضالية ضد إدارة مصلحة السجون[١].

إن الأسرى القدامى بإمكانياتهم الثقافية والنضالية، وبإرشاداتهم الأمنية، وتجاربهم الاعتقالية، وضعوا الأسرى الجدد على السكة الصحيحة للوصول إلى بر الأمان، وحماية الذات، ونقل الخبرات والتجارب، لبناء كوادر واعية قادرة على نقل التجربة، والإفادة والاستفادة منها فى آن واحد.

٥- التفاؤل بالحرية والعمل لما بعدها:

"السجن لا يُبنى على أحد " هذه هي المقولة التي عبر بها الأسرى دوما عن تفاؤلهم بالحرية والعودة للحياة مستندين إلى تجارب زملائهم الماضية ممن حوكموا بالمؤبدات لمدى الحياة وتم الإفراج عنهم في عمليات تبادل للأسرى، من هذا المنطلق المحب للحياة والمتطلع للأمل، استعد الأسرى لما بعد الحرية، حتى أن عشرات منهم من بنوا بيوتاً، وتقدموا بالخطبة واقترنوا بعرائس أثناء الاعتقال رغم أنهم محكومون لمدى الحياة، وخرجوا من السجون وتزوجوا من اختاروا بعد سنوات، هذه الروح

(١) زهيرالمصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص٣.

المؤمنة بقضاء الله وقدره، وبالعقيدة الثورية والنضالية، والمؤمنة بأهدافها وعدالة قضيتها، والمتسلحة بالإرادة والقوة والثبات، والتفاؤل جعلت الأسرى يستثمرون أوقاتهم، ويناضلون لانتزاع الموافقة من السجان على تعليمهم الأكاديمي، ويبحرون في ثقافتهم، وإنتاجهم الأدبي، وأبدعوا على كل الصعد، وجهزوا أنفسهم لما بعد التحرر.

نخلص القول في نهاية القسم إلى أن الأسرى أبدعوا بمقاومتهم لمخططات إدارة مصلحة السجون، وعبر سلسلة طويلة ومتراكمة من التفكير والتخطيط تحقق الإنجاز تلو الإنجاز، في أعقاب سلسلة طويلة من النضالات التكتيكية والاستراتيجية التي جبلت بالألم والمعاناة، بدءاً بوحدة الحركة الأسيرة، مروراً بانتظام العمل الاعتقالي والمأسسة بكافة أشكالها، وعبر تقوية الجبهة الداخلية والالتزام بكل القوانين والقرارات التنظيمية، وتنفيذ المهام التي تلقى على عاتقه، والمساهمة في النضال ضد إدارة السجن، والعمل على توفير المناخ الملائم لحياة اجتماعية خالية من المشاكل والتعقيدات عمادها المحبة [١]، وتغليب المصلحة العامة على الشخصية، والحرص على الوحدة الوطنية.

واتضحت عملية الإبداع من خلال وضع نظريات للمقاومة والعمل بمقتضاها، كنظريتي (المواجهة والاحتراف، وأدب المواجهة)، ووفق النظرية الأولى دعت الحركة الأسيرة جموع المعتقلين للانصهار المطلق في قضيته الوطنية التي يعايشها، والوصول للجاهزية الدائمة لإفناء ذاته في سبيل الأهداف التي يؤمن بها أمام الخطر الداهم عليه وعلى الحركة الأسيرة برمتها والقائمة على ثلاث محاور هي: "التأقلم مع الخطر، وتراكم الوعي، وإعادة الصياغة التربوية الأخلاقية [٢]".

والنظرية الثانية: تقوم على أربعة فروض، الأول: المواجهة الواعية تتناسب طردياً مع سلامة الانضباط التنظيمي، والعكس صحيح، والثاني: تحت ظروف معيشية مشتركة يؤدي الالتزام بالانضباط التنظيمي دوراً هاماً في تسريع عملية إصلاح وتركيم الوعي، والثالث: الظروف المعيشية المشتركة في حقل معادٍ تسوده عوامل ضغط ومواجهة يلعب التوجيه الأيدلوجي الثوري عاملاً مؤثراً لإعادة صياغة سيكلوجيا أكثر ثورية للوسط الاجتماعي، والرابعة،

(١) زهير المصري، نجود أحمد مرجع سابق، ص٦.

(٢) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص٤.

في ظل الاستنفار وإمكانية الانفجار هنالك ضرورة لضبط وتوجيه التوازن الانفعالي تبعاً لمتغيرات اللحظة المحتملة [١].

(١) المصدر نفسه، ص٣٩.

القسم الثالث

دور الحركة الأسيرة فى تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى

لم يستسلم الأسرى الفلسطينيون لسياسة إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، التي سعت جاهدة لتحطيم إمكانيات الأسرى وقتل روح الإبداع في داخلهم، وتحويلهم إلى مجموعات يائسة وبائسة ومحبطة ونادمة، فمن مرحلة الحرمان من الورقة والقلم استطاع الأسرى بتحديهم وإصرارهم إلى تهريب أنابيب الأقلام، وطوردت هذه الأنابيب كما تطارد العبوات الناسفة، وعوقب من ضبط بحوزته أنبوباً بالزنزانة لما يقرب من الأسبوعين، أما بالنسبة للورق، فقد استخدم المعتقلون ورق لف البرتقال وورق علب اللبن، وقطع المرجرين بعد تجفيفها، وكانت الورقة تجزأ إلى أقسام مختلفة، وتوزع على مختلف أنواع المحاضرات وعلى مختلف الفئات، وكانت تستوعب الكثير من المعلومات للكتابة عليها بخط صغير جداً يكاد يرى بصعوبة [١].

ولقد أدرك الأسرى حجم المعركة وأهميتها، فعملت القيادات التي تقف على رأس المؤسسات الاعتقالية، واللجان العاملة في الأطر التنظيمية لتنمية الإبداع للأسرى من خلال عمليات التشجيع والتحفيز لهم، واكتشاف قدراتهم وتطويرها، وإيجاد بيئة اعتقالية ملائمة، ووضع القوانين والضوابط لحمايتها، ولتوفير وسائل الإبداع، وصياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة، وحث الأسرى على الرياضة البدنية كونها تغذي الرياضة الفكرية والثقافية من خلال العقول السليمة في الأجسام السليمة التي تسعى طواقم إدارة السجون لتقويضها وجعلها فريسة المرض والوهن والعجز، والعمل على طباعة إنتاجات الأسرى الأدبية والثقافية من خلال التواصل مع المؤسسات التعليمية والقوى الفلسطينية ودور النشر خارج السجون والمعتقلات بتهريب الهواتف النقالة وعبر الزيارات والمحامين، في هذا القسم سنتناول دور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى في السجون الإسرائيلية من خلال:

١ – التشجيع والتحفيز:

قامت الأطر التنظيمية واللجان الثقافية بالعناية بالمعتقلين الجدد، وفتح دورات فكرية وثقافية خاصة بأدبيات تنظيماتهم، وأنشطة أخرى مصممة لرفع القدرة التحليلية لدى الأسرى الجدد، وتعريفهم بالأوضاع الاعتقالية القائمة، والبرامج المتوفرة لخلق حياة اعتقالية فاعلة،

(١) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص١٦٨.

ويطلب من الجدد بعد إتمام الدورة، الاطلاع على بعض الكتب والأعمال الثقافية، وذلك لزيادة سعة اطلاعهم ليسمح لهم بعدها بدراسة اللغات، والقيام بأي نشاط أكاديمي متاح يرغبون به، الأمر الذي يؤهلهم للمشاركة بأعمال الثقافة كالندوات والمحاضرات والكتابة في المجلات، والمساهمة في المهمات الثقافية المطلوبة من الجهات المسؤولة، هذا وتشمل السياسة الثقافية العامة عملية التطوير الفردي، فيتم تشجيع الأسرى على المشاركة في النقاشات التي تدور في الجلسات أو خارج إطارها، وتحفزهم للبوح بآراءهم وتصوراتهم، ويكلف الفرد أحياناً بكتابة ملخص عن المواضيع التي تطرح أثناء الجلسات، وبكتابة مواضيع تُعنى بالشؤون السياسية المختلفة، ويتاح للفرد أيضاً القيام بإلقاء محاضرات من شأنها تنمية قدراته على صعيد السياسة والخطابة والإلقاء الجيد[١].

وجدنا علاقة بين الحالة النضالية وإدخال المواد التعليمية والثقافية للسجون وبين نشوء حالة الإبداع للأسرى، واعتبروا أن التشجيع على الكتابة وإنشاء المجلات الأدبية التي أشرف عليها أساتذة في اللغة العربية والنقد الأدبي، تعتبر وسائل محفزة للأسرى الجدد على التطور[٢].

٢- اكتشاف قدرات الأسرى وتطويرها:

مجتمع المعتقلات مطالب وبصورة ملحة برفع مستوى المشاركة الثقافية الفاعلة، والفرصة مهيأة أمام الجميع، إلا أنه ليس من الملاحظ أن الجميع يندمجون بشكل جدي في عنفوان النشاط الثقافي، صحيح أن الناس تختلف في مدى استيعابها أو رغباتها في العمل والمشاركة، إلا أنه من المفروض خلق ظروف مواتية وبصورة أفضل لتحميس الجميع على العطاء والبذل، وهنا يأتي دور اللجان المختصة بالعمل على كشف قيادات وكفاءات في مختلف المجالات، وإتاحة الفرص لها وتدريبها وتعميق تجربتها في مجال العمل السياسي والإداري[٣].

إن عملية التصنيف مهمة داخل المعتقلات، وتأخذ الكثير من النقاش والتدريب والتوجيه والإرشاد والتحفيز في هذا الجانب، ومع مرور الوقت تتم عمليات التقييم للأسرى الجدد، ويتم تحديد الميول والرغبات والطموحات لدى الأسرى، ويتم توزيعهم على دورات وجلسات عامة وخاصة، شبيهة بنظام الجامعات، في الثقافة العامة والدينية والوطنية والقضايا الاعتقالية

(١) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص١١٠.

(٢) الأسير المحرر عبد الحق رمضان شحادة: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٤/٢/١٥، غزة.

(٣) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص١٤٩.

والحزبية، وفي مجال الأمن أو الإدارة أو اللغة أو الأدب أو التعليم الأكاديمي وتخصصات في شتى المجالات.

ويتميز مجتمع الأسرى في داخل السجون الإسرائيلية عن غيره من المجتمعات المغلقة رغم المعاناة اليومية في عدة قضايا من أهمها الجانب الإبداعي، وهناك الكثير من تلك الجوانب التي تخص الأسرى في كثير من المجالات الفكرية والأدبية المختلفة كالشعر وكتابة القصة والرواية، وأيضاً الأعمال الفنية كالتمثيل والرسم وعمل المطرزات وكذلك الجانب الرياضي، وهناك عملية اكتشاف لتلك المواهب عبر اللجنة الثقافية المختصة، وبعد ذلك يتم فرز المواهب إلى اللجان لتنمية القدرات وصقل المواهب في إطار محدد، وبعد ذلك تتم عملية التقييم والمتابعة من أجل بلوغ الأسير إلى مراتب متقدمة في تخصص معين(١).

وهناك دور بارز للأطر التنظيمية في عملية التوعية داخل السجون من خلال إعداد غرف خاصة لمحو الأمية، وأخرى لإعداد كادر من خلال برنامج ثقافي متقدم، وتتبنى اللجنة الثقافية تطوير بعض النخب المبدعة والمتميزة من الأسرى لتأهيلها للعمل التنظيمي في مجالات متعددة، ولوحظت قدرة الأسرى المحررين في أعقاب إنهاء الكثير من الدورات خلال اعتقالهم، وذلك في ورش العمل والكلمات خلال الاستقبال أو في الاعتصامات مع الأسرى المضربين في خيام التضامن والمسيرات بعد تحررهم(٢).

هنالك الكثير من الظواهر التقليدية خلال النقاشات، أو القاء المحاضرات، أو السؤال في قضايا متنوعة يشار إليها بالبنان لبعض الشخصيات كمرجعيات متخصصة في السجون(٣)، وبرزت في المعتقلات المرجعيات المتخصصة من الأسرى في العلوم المختلفة عند الحاجة لسؤال، أو الحسم لقضية عند خلاف أو جدل أو نقاش.

(١) يحيى محمود يحيى: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/١٠/٢، جباليا.

(٢) موفق عبد الرحمن حميد: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/١٠/٢٥ ،غزة.

(٣) هنالك أسرى تخصصوا فى مجالات محددة كالقرآن والتفسير والسيرة النبوية، وغيره فى التاريخ القديم والمعاصر، وتاريخ الثورات العالمية، والمستجدات السياسية والدولية، والثورات والمتغيرات العربية، وفى الفلسفة والأدب الفلسطينى والعربى والدولى.

٣- إيجاد بيئة اعتقالية ووسائل إبداعية ملائمة:

أدرك الأسرى منذ السنوات الأولى للاعتقال أنه من المستحيل أن يتحقق الإبداع والتطوير لكفاءات الأسرى واستغلال سنوات الاعتقال بالنافع والمفيد إلا من خلال إيجاد بيئة اعتقالية ملائمة، بيئة مضبوطة بالأخلاق والقوانين، وموفرة للوسائل الإبداعية، في ظل محاولة الاحتلال الحيلولة بين الفلسطيني وبين التنمية الفكرية والثقافية، وكان على الفلسطيني أن يدفع ضريبة كل خطوة يخطوها إلى الأمام في هذا المجال، كما هو الحال في كل ما أنجزه الفلسطيني في معتقله، كان عليه أن يتضور جوعاً، بل ويستشهد من أجل أن يحصل على قلم أو كتاب وأن يرتقي في مستواه الثقافي(١).

واستطاع الأسرى الفلسطينيون بعد العديد من الإضرابات بانتزاع حقهم في إتمام مرحلة التعليم الثانوي "التوجيهى" وفقاً للنظام التعليمي خارج السجن، فنجح الآلاف منهم وحصلوا على شهادة الثانوية العامة، وانتزعوا في أيلول سبتمبر ١٩٩٢م الحق في التعليم الجامعي بالانتساب عبر المراسلة للجامعة المفتوحة في إسرائيل باللغة العبرية ضمن شروط صعبة ورسوم مادية عالية كانت تتحمل نفقاتها وزارة الأسرى(٢).

واستخدام الأسرى الإضرابات المفتوحه عن الطعام والخطوات التكتيكية لتحقيق وسائل الإبداع من إدخال الكتب، وتقنين التفتيشات وعدم مصادرة الإنتاجات الأدبية، والتعليم الجامعي، والاستمرار في البناء الفكري والثقافي وتخريج المفكر والكاتب والروائي والشاعر والقائد من السجون، واستطاع الأسرى أن يبدعوا على مستوى الحياة اليومية سواء في مجال الفن أو اختراع أدوات ووسائل بسيطة يستطيعون العيش أو التعايش بها، فعلى مستوى التلفاز استطاع الأسرى تحويل جهاز الراديو إلى بث ذبذبات التلفاز ليلتقطها الأسرى من خلال أجهزة المذياع أو السماعات دون أن يتم التشويش على باقي الأسرى في الغرفة، ومن إبداعاتهم إخفاء أجهزة الهواتف المهربة في غرفهم رغم ضيق المكان ومحدوديته، والذي أصبح من أهم الأدوات في مقارعة السجان من خلال الاتصال بباقي السجون وتنسيق المواقف والتواصل مع أهالي الأسرى، كما أبدع الأسرى في التواصل ما بين السجون للتواصل والتنسيق للخطوات النضالية من خلال كبسولات صغيرة ممكن تهريبها بطرق معقدة ببلعها عند النقل للأسرى أو الحرية وتكون مكتوبة بحجم صغير، هذه المواقف الجماعية للحركة الأسيرة كانت تفاجئ السجان في كيفية التواصل

(١) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٠٤.

والترتيب والتنسيق للخطوات الجماعية علي الرغم من بعد السجون عن بعضها البعض، جميع هذه الإبداعات وغيرها بنيت على الإرادة الصلبة، والعزيمة القوية التي تتحطهم عليها مؤامرات إدارة مصلحة السجون، من أجل أن يحيوا بعزة وكرامة داخل سجون الاحتلال[1].

وركز الأسرى على تعزيز الجوانب الإبداعية للأسرى وإيجاد مناخ تطويري لقدراتهم بوسائل متعددة مثل:

١- إضراب الأسرى لفترات طويلة من أجل الدفاع عن حقوقهم وتحقيق إنجازاتهم، وقد ارتقى العديد من الأسرى شهداء لكي يحققوا الإنجازات لباقي الأسرى.
٢- كتابة الكراسات التنظيمية والأمنية لكل فصيل وتثقيف وتوعية الأسرى الجدد على الثقافة الوطنية وثقافة الوعي الأمني من خلال الجلسات التنظيمية، بحيث تحولت السجون إلى جامعات تمد الشارع الفلسطيني بجيل جديد يتميز بالوعي ومعرفة تاريخه وتاريخ قضيته.
٣- تنظيم دوارت أحكام تجويد وحفظ القرآن الكريم كاملاً من قبل العديد من الأسرى.
٤- عقد دورات لتعليم اللغات وخاصة اللغة العبرية امتثالاً لقوله صل الله عليه وسلم "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"
٥- إكمال الأسرى لتحصيلهم العلمي سواء الثانوية العامة أاو البكالوريوس أو الماجستير ومنهم من حصل على شهادة الدكتوراه.
٦- تميز الأسرى بكتابة الشعر والروايات وأدب السجون والرسم ورفد المجتمع بهذا الشعر والروايات.
٧- تشكيل الأسرى لممثلين لهم للمحافظة على حقوقهم والصمود في وجه السجان وعدم النيل من كرامة الأسرى.
٨- إدخال الكتب إلى السجون والتي كان لها الأثر الأكبر في إثراء الوعي عند الأسرى.
٩- محاولة التغلب على مصاعب السجن عبر ابتكار أدوات كان الاحتلال يمنع دخولها للأسرى مثل الإبر التي كانت تستخدم في الخياطة والتي كان يصنعها الأسرى من الأسلاك الشائكة الموجودة حول السجن، وكذلك عمل غلايات الشاي أو المقالي من المعلبات أو علب المربى التي كان يحضرها الأسرى عن طريق المطبخ، والسكاكين من أغطية المعلبات بثنيها وحدها كالشفرة.

(١) فؤاد قاسم الرازم: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/١١/٣، غزة.

١٠- أعمال التطريز والنحت على الأحجار وعمل المجسمات من الأغراض المتوفرة والبسيطة داخل السجن.
١١- المحافظة على اللياقة البدنية وممارسة الألعاب الرياضية.
١٢- تنظيم احتفالات تنظيمية وتأبين للشهداء وإقامة صلاة الجمعة في ساحات السجن.
١٣- عمليات الهروب التي كان يقوم بها الأسرى من السجون.
١٤- شكل الأسرى قيادة للانتفاضات الموالية التي مر بها شعبنا وكان الأسرى أهم رافد لهذه الانتفاضات.
١٥- تهريب وسائل الاتصال مثل الهواتف والتواصل مع الخارج علما بأن الاحتلال يحظر على الأسرى الاتصال بالخارج (١).

٤- القوانين والضوابط لحماية بيئة الإبداع:

تؤكد الحركة الأسيرة قبل أي اعتبار على الأخلاق، فالأخلاق في المجتمع الاعتقالي تشمل كل ميادين النشاط والعلاقات المتبادلة بين الأعضاء، وبمفهوم الثقافة الوطنية تأتي الأخلاق نتيجة اكتساب التربية الأخلاقية ومعرفة العادات والتقاليد الثورية، لذلك فالمجتمع الاعتقالي منظم يطالب العضو بمطالب أخلاقية معينة [٢]، والمرحلة الثانية حماية بيئة الإبداع بالقوانين والضوابط، فالأعراف الاعتقالية العامة ضمن الميثاق الضمني الشفهي أو المكتوب بين الأسرى يجرم الأفعال المخلة بالنظام العام للمجتمع الاعتقالي، وحددت الحقوق والواجبات للأسير والضوابط التي تحكم تصرفاته والحدود والخطوط التي ينبغى عدم تخطيها، كما أن كل لائحة اعتقالية للأطر التنظيمية شملت بنود نصت على العقوبات وأنواعها وتدرجها للفوضويين، والمؤثرين سلباً على البيئة الإبداعية للحركة الأسيرة.

والنشاط الإداري يلعب دوراً مهماً في هذا الجانب كونه يكفل تنظيم الحياة حسب قوانين الدستور التنظيمي، حيث تعالج من خلاله كل المخالفات اللامسئولة ويوقع العقاب على مخاليفيها، ولكن جوهر الحياة التنظيمية ليس العقاب، ولا فرض السلطة بل التوجيه والعمل بكافة الطرق على خلق القناعة الذاتية بالقيم التي عمادها المساواة، والأخوة النضالية، واحترام الآخرين وطاعة القوانين والمراتب العليا، التي عليها أن تحترم أيضاً عناصر التنظيم وتعاملهم على أساس

(١) فهمى محمد كنعان: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/١١/٣، قطاع غزة.

(٢) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص١٥٢.

الأخوة التنظيمية، لا فرض السلطة، فلا فرض بلا قناعة وإيمان وجهد مشترك، ومن أهم القوانين السلوكية التي يجب عدم مخالفتها الالتزام بنظام الغرف كالهدوء، فعلى الجميع التقيد بأوقات تحددها الغرفة[١]، والجلسات التنظيمية في موعدها، والحديث بصوت منخفض لإتاحة المجال للمطالعة والتفكير والحفظ والتعلم، وسماع المذياع أو التلفاز عبر السماعات الخاصة ضمن شبكة كهربائية أعدها الأسرى بطريقة مهنية وعبقرية رائعة، جعلت الغرفة في حال من الهدوء وتهيئة الظروف الملائمة للدراسة على مدار الساعة.

لذلك فالنشاط الإداري والقوانين واللوائح تكرس النظام في المجتمع الاعتقالي، وبهذا تنعدم الفوضى لأن عناصر التنظيم يعرفون ما لهم وما عليهم، ولا يتدخل أحدهم إطلاقاً في شؤون غيره، ففي الغرفة الموجه هو المسؤول المباشر ويتخذ إجراءاته المقبولة من الجميع دون تدخل ولا يتصرف أحد دون مشاورته وموافقته، لذلك تسير الحياة بنظام وهدوء [٢].

٥- صياغة البرامج لتخريج الكوادر والكفاءات المبدعة:

حقيقة لا يوجد في المعتقل جهاز ثقافي وإنما أجهزة حيث يمتلك كل فصيل، خاصة الفصائل الكبيرة، جهازه الخاص، وعلى الرغم من تعدد الأجهزة إلا أنها تتوافق في الترتيب والوظيفة[٣]، وهنالك خطوط عريضة لتلك الأجهزة تتمثل بالاهتمام أولاً بمحو الأمية والأمية السياسية، والتركيز بشكل أولي ومبدئي على الطموحات التنظيمية ورؤية التنظيم للواقع، وعلى التجارب الثورية العالمية، ويعمل التنظيم على أن تكون الدراسة جماعية ومنظمة، هذا بالإضافة إلى الدراسة الذاتية، والاهتمام ببناء عناصر التنظيم على أساس الرؤية الوطنية، لذلك تتمحور الحركة الفكرية في ثلاثة محاور " معرفة الذات التي تشمل الواقع القطري كجزء من الواقع القومي وتطوره التاريخي، مركزين على البعد الوطني لهذا التطور ومعرفة العدو التي تشمل الحركة الصهيونية وتطورها وفكرها والكيان الصهيوني بكل جوانب الحياة فيه، والمعرفة الإنسانية وهي تشمل الأفكار العالمية، مركزين على الجانب الإنساني والثوري والأدبي فيه، بشكل لا يتناقض مع الثورة الوطنية وأسسها، بمعنى حق القراءة والمعرفة وعدم التعارض مع البرنامج الوطني

(١) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص١٦٦.

(٣) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص١٠٨.

المطروح، وتشجيع البحث والدراسة والنقاش، بشرط الالتزام بقواعد الديمقراطية – والدراسات الخاصة الأخرى[١]، كدراسة اللغات وأهمها العبرية والانجليزية [٢].

٦- الرياضة البدنية:

يمكن ملاحظة النشاط الرياضي بوضوح في المعتقلات المركزية، حيث ساحات كبيرة وفيها ملاعب كرة طائرة وسلة، فمثلما يهتم المجتمع الاعتقالي بالبناء العقلي للثوار، يهتم بنفس الدرجة بالبناء الجسدي، فالمقاتل النموذجي هو المسلح بوعي سياسي وقدرة جسدية ممكنة من تنفيذ المهام الصعبة بكفاءة عالية، ومن جهة أخرى الجلوس لفترات طويلة والانحسار داخل الغرف يضعف الجسد ويسبب العديد من الأمراض(٣) .

ولقد اهتم الأسرى والمعتقلون الفلسطينيون بشكل بالغ بالمشهد الرياضي الفلسطيني والعربي والدولي، وإلى اهتمامهم البالغ بممارسة الرياضة في السجون للحفاظ على صحتهم ولياقتهم والوقاية من الأمراض، إلا أن إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية عرقلت كل ما له علاقة بممارسة الرياضة في السجون من توفير صالات وأدوات ومنح وقت كافي وألعاب منوعة، الأمر الذي يخالف اتفاقيتي جنيف الثالثة والرابعة التي تؤكد على تشجيع الدولة الحاجزة للأسرى على ممارسة الأنشطة الذهنية، والتعليمية، والترفيهية والرياضية، وتتخذ التدابير الكفيلة بضمان ممارستها، بتوفير الأماكن الملائمة والأدوات اللازمة لهم ، وتوفر فرص القيام بالتمارين الرياضية، بما في ذلك الألعاب والمسابقات والخروج إلى الهواء الطلق ، وتخصيص مساحات فضاء كافية لهذا الغرض في جميع أماكن الاعتقال .

وتعاقب إدارة السجون الإسرائيلية الاسرى على ممارستهم لألعاب القوى " كالكراتيه والجودو ، والمصارعة والأثقال وبناء الأجسام " وتمنع كرة القدم ، و أدوات رفع الأثقال ، مما يضطر الأسرى لاستخدام بديلها من زجاجات المياه المليئة بالماء أو الملح ، وفقط تسمح بكرة الطائرة والسلة ، وتنس الطاولة ، وممارسة الرياضة في الفترة الصباحية التي تمتد من الساعة السادسة

---

(١) أحمد أبو غوش وآخرون: مرجع سابق، ص١٤٢.

(٢) تحدث الأسير المحرر محمد أبو جلالة الذى أمضى ٢١ عاماً متواصلة فى السجون عن عملية تأهيل وتخريج الكوادر والقيادات قائلاً (يقوم الأسير الجديد بتوجيه من اللجان الثقافية بدراسة متطلبات الكادر التنظيمي، بدءاً باللغة العربية كتابة وقراءة ونحو وصرف وبلاغة، وتصل لحد تعلم فن الإلقاء والخطابة ولغة الجسم، والإجازة فى العلوم الدينية والدنيوية، ومن ثم يبدأ بتعلم اللغة العبرية لأهميتها، وتلحق معها في مرحلة متقدمة اللغة الانجليزية،، ودراسة التاريخ، خاصة تاريخ القضية الفلسطينية، والصراع العربي الإسرائيلي، والقضايا الفكرية والحركية، ومنطلقات الفصائل الوطنية والإسلامية مع نبذة عن قياداتها وثوابتها وأهدافها، والتدريب على العمل الإداري، وعملية التدرج فى الهيكل التنظيمي، وممارسة العمل الحركي، بعد عملية البناء الروحى والجسدى والإيمان والوعى والثورة.

(٣) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص١٧٦.

والنصف صباحاً حتى السابعة والنصف يتخللها تمارين اللياقة البدنية الخفيفة ، كالهرولة والسويدي وتمارين الضغط والمعدة وغيرها ، وقفز الحبل ، والشطرنج والزهر والدمونوز.
ومع ذلك أقام الاسرى في السجون المباريات والدوريات المختلفة بين الغرف والتنظيمات وسابقاً بين الأقسام في السجن الواحد، وذلك في المناسبات الوطنية والدينية وانطلاقات الفصائل، وتقوم اللجنة الرياضية بتوزيع الهدايا والجوائز على الفائزين.

٧- التواصل مع الخارج:

بدد الأسرى في السجون مخططات أجهزة الأمن الإسرائيلية بعزلهم عن محيطهم الخارجي، وتجميد الزمن عند لحظة اعتقالهم، ففي البدايات كانت أداة التواصل بين الأسرى في السجون، ومع ذويهم، والمؤسسات الإعلامية والقوى والتعليمية عبر زيارات الأهالي غير المنتظمة بفعل انتهاكات الاحتلال والعقابات المستمرة، وعبر المحامين المراقبة والمحصورة زياراتهم بعدد قليل جداً وعلى فترات متباعدة والذين يتعرضون للمنع في مناسبات وظروف كثيرة، وعبر الكبسولة التي تنتقل مع المنقولين والمحررين والتي لاحقت الشرطة حامليها، وعاملتهم بالقوة وبأساليب عنيفة.

ونتيجة لتطور التقنيات ووسائل الاتصال، أصبحت رسائل المعتقلين تصل لدائرة أوسع بكثير من دائرة الأهل والأصدقاء، عن طريق تعميم الرسائل جماهيرياً، بحيث يتم استثمار وسائل إعلامية متطورة، بغية إيصال مضامين الرسائل إلى مجتمع بأسره، وربما إلى مجتمعات، فقد استفاد المعتقلون في الانتفاضة الأولى من "إذاعة الأسرى" التي تبث من غزة، لكي تذاع رسائلهم ويستمع إليها أكبر عدد ممكن من الناس لتحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

١- كسر الحصار المفروض على المعتقلين.
٢- تعميم التجربة والتعبير عن مواقف وتوجيهات، وبذلك تكون الرسالة فرصة مناسبة، لترويج طروحات ومفاهيم الأسرى.
٣- حملت الرسائل المذاعة الكثير من المعلومات والحقائق عن واقع المعتقلين الفلسطينيين والعرب.
٤- قدم المعتقلون من خلال الإذاعة " هدايا معنوية " للأهل والأصدقاء في المناسبات.
٥- أظهرت بعض الرسائل المذاعة جمالية أدبية ومستوى متطور لدى الأسرى، الأمر الذي أعطى للمستمع الفلسطيني والعربي المتابع "لإذاعة القدس" فكرة عن نتاجات المعتقلين الأدبية والثقافية والسياسية [١].

(١) حسن عبد الله: أثر الرسالة فى حياة المعتقل الفلسطينى، رام الله، مركز المشرق للدراسات، ٢٠٠٤، ص١٢٦-١٢٧.

وفي منتصف التسعينات هرَّب الأسرى بعض أجهزة الهواتف النقالة لكسر عزلتهم عن العالم الخارجي، وقد أبدع الأسرى وخاصة الجدد منهم في تهريب هذه الأجهزة لدرجة وصلت أعدادها إلى المئات، ولربما في مرحلة لاحقة إلى الآلاف[١].

وربطت الهواتف النقالة الأسرى بذويهم زمن الانتفاضة، عندما كانوا محرومين من الزيارات جراء المنع الإسرائيلي، وأحدث ذلك اتصالاً إنسانياً واجتماعياً لأسرى أمضوا سنوات طويلة، وما كان ممكناً الحديث معهم دون توافر هذه الأجهزة، وأقاموا الصلات مع أسرهم وأقاربهم ومع أسرهم ومع تنظيماتهم أيضاً، فأحدث الهاتف مشاركة اجتماعية، فكثيراً ما شارك الأسير في حل إشكالات العائلة، أو ساعد على حلها، لاسيما تعليم الأبناء، أو تقديم العزاء أو التهاني في المناسبات، حتى في إصدار البيانات السياسية والجماهيرية في مناسبات عديدة والوصول إلى الإعلام لشرح الكثير عن أحوال الأسرى وما كان يحدث عندهم أولاً بأول[٢].

ولم يتوقف الأمر عند حد الراديو والتلفزيون والهاتف، بل إن بعض المعتقلين دخلوا على خط الإنترنت، من خلال مواقع أنشئت لهم قبل انتقالهم وخلاله، وصاروا يكتبون الرسائل، ويطلبون من الأهل نشرها عبر مواقعهم لتصل إلى الأصدقاء ويردون عليها، لينقل الأهل إلى ابنهم المعتقل مرةً أخرى، الردود على الرسائل وهكذا، وحاول بعض المعتقلين استثمار الإنترنت للوصول إلى أصدقاء ومعارف وربما جمعيات ومؤسسات في الخارج، حقوقية وإنسانية، وذلك لشرح ظروف المعتقلين المأساوية، واختراق الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لاتفاقية جنيف بخصوص الأسرى، والحقيقة أن اختراق الحصار عن طريق الإنترنت، ولو بواسطة الأهل، هو إبداع بحد ذاته، وتأكيد على أن المعتقلين لا يعدمون الوسيلة لإيصال أفكارهم وتوجهاتهم إلى الناس[٣].

في نهاية القسم نعتقد أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة سعت منذ بلورتها إلى تكوين وتطوير الجوانب الإبداعية للأسرى، فعقدت الجلسات الثقافية ذات الأبعاد المختلفة، منها ما يختص بالتوعية الأمنية وأخرى تتعلق بالجانب الإداري السلوكي داخل المعتقل أو السجن، وثالثة لها علاقة بالجانب التنظيمي والوطني، هذا بالإضافة إلى الجوانب الثقافية[٤].

وشجعت الحركة الأسيرة المعتقلين من خلال التدرج في المراتب التنظيمية، ومنح الهدايا الرمزية، وتكريم المتفوقين منهم في حفل تكريمي على مستوى غرفة أو خلية أو أي مستوى تقره

---

(١) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص١٤٩- ١٥٠.

(٢) أحمد أبو السعود: مرجع سابق، ص٨٢.

(٣) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص١٢٧_١٢٨..

(٤) الأسير المحرر رامى جمال عزارة: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/١١/٣، غزة.

الجهات المسؤولة وفق حالة الإبداع والتطور، ومنح الشهادات التقديرية، والإشادات بالمتميزين من خلال البيانات الاعتقالية[1].

نعتقد أن أهم ما حققه الأسرى، كتحدي لإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية في القضايا التعليمية في أعقاب منع الثانوية العامة والجامعة المفتوحة في إسرائيل، هو الحصول على الموافقات على إنشاء فروع جامعات في السجون من الجامعات الفلسطينية، وتشكيل طواقم مشرفين ومدرسين وموجهين وإداريين والتواصل مع الجامعات في نقل الدرجات، وكتابة الامتحانات ورفع العلامات، والاعتراف بالشهادات من المؤسسات التعليمية والتربية والتعليم العالي الفلسطيني، وكذلك نقل معاناتهم التي وصلت في كثير من الأحيان لنقل معاناتهم بالصوت والصورة وبشكل ميداني لحظة اقتحام الأقسام، وبذلك كشفوا زيف ادعاء إسرائيل للعالم بالالتزام بحقوق الإنسان، واستطاعوا أيضاً التأثير على القوى الفلسطينية والمؤسسات العاملة في مجال الثقافة والأسرى بالتوصية لطباعة عشرات إنتاجات الأسرى المهمة ضمن قوائم نشر أدب السجون والكتب التوثيقية الأخرى في مجالات متعددة، كل ذلك عبر وسائل اتصال أبدعوا في استخدامها من أجل التقدم والتطور والبناء على مستوى الأفراد والجماعات.

تدريب

- مر عدد من الأسرى والمعتقلين بتجربة العزل الانفرادي، اكتب في هذا الموضوع استناداً إلى التقارير والأبحاث والمراجع، وبالتعاون مع أحد المحررين الذين مورس بحقهم هذا الانتهاك؟؟

أسئلة التقويم الذاتي :

- عملت إدارة السجون على عرقلة تطوير امكانيات الأسرى والمعتقلين، اذكر مع الشرح مثالاً على ذلك ؟؟
- استثمار الوقت من جانب الأسرى، وعملية التشجيع والتحفيز من قبل قيادة الحركة الأسيرة أوجدت نماذج مبدعة من الأسرى في السجون، اشرح ذلك ؟؟
- عملية البناء في السجون على الصعيد الفردي والجماعي متراكمة، وكيف عزز كل منهما

(١) فهد أبو الحاج: "التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة ١٩٦٧-٢٠٠٧"، القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، فلسطين، ٢٠١٤، ص١٤٠.

الآخر؟؟

- الحركة الأسيرة لها دور كبير فى تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى، وضح ذلك؟

الخلاصة

قامت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بمحاولات التضييق على الأسرى على كل الصعد، ولم تستسلم الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة لتلك السياسات، بل سعت جاهدة لتحصين الأسرى أمنياً، وتطويرهم ثقافياً وتعليميًا، واستطاعت رغم كل المعيقات بمجمعة من الوسائل النضالية المتنوعة التي تعمدت بالكثير من الشهداء والتضحيات، أن تحقق الكثير من الإنجازات التي أجبرت إدارة مصلحة السجون للاعتراف بالكثير من حقوقهم التي راودتهم عليها، واستغلت الظروف والمتغيرات السياسية الخارجية للنيل منهم.

والتجربة أثبتت أن الحركة الأسيرة تمكنت من الحفاظ على هياكلها وتجربتها عبر كل الفترات والمتغيرات، قد تمر الحركة الأسيرة بمحطات من المد والجزر، والقوة والضعف، وحالات من التقدم والتراجع، ولكنها لم تفقد لحظة الجاهزية النضالية والعزيمة القوية، والإرادة الصلبة التي سرعان ما تستفيق بعد غفوة، أو تترجل بعد كبوة، واستطاعت بقلة الإمكانيات أن تحافظ على إرثها النضالي وتجربتها الاعتقالية، وهيبتها أمام إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ومكانتها الرمزية أمام الجماهير الفلسطينية وأحرار وشرفاء العالم.

واستطاع الأسرى عبر تجربة مبدعة وغنية أن تخرج أجيالاً من القادة، وشكلوا بعد خروجهم من السجون والمعتقلات رافداً للمجتمع بشكل عام، ولحركاتهم وأحزابهم بشكل خاص، وأثروها بخبرات وكفاءات وطنية ونضالية متقدمة، لذلك استطاع الأسرى أن يتغلغلوا في صفوف أحزابهم وتنظيماتهم، وأن يتقلدوا أعلى المناصب التنظيمية، كما أنهم أصبحوا مشاركين أساسيين في عملية صناعة واتخاذ القرار السياسي والتنظيمي داخل أحزابهم وحركاتهم السياسية [1].

(١) إسماعيل الداعور: (٢٠١٣)، دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (١٩٨٧- ٢٠٠٦)، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين ، ص٩٤.

لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة "

بعد أن اطلعت عزيزي الدارس على عوائق سلطات الاحتلال في نيل حقوق الأسرى، وكيفية بناء الذات وتطوير الإمكانيات، ودور الحركة الأسيرة في تعزيز الجوانب الإبداعية لدى الأسرى " فإنك في الوحدة الثالثة ستتعرف على أهم مظاهر الإبداع للحركة الأسيرة في السجون والمتمثلة بالتجربة الديمقراطية والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون، نأمل أن تسعد بمطالعتك وقرائتك الواعية لهذه الوحدة الممتعة.

مسرد المصطلحات

- **اتفاقيات جنيف:** انصرفت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى وضع اتفاقية لحماية المدنيين في زمن الحرب، حيث التقت ٦٣ دولة عام ١٩٤٩م في جنيف وتبنت أربع اتفاقيات [١]: الأولى: حول تحسين مصير الجرحى والمرضى في القوات المسلحة، والثانية: حول القوات البحرية، والثالثة: حول معاملة أسرى الحرب، والرابعة: حول حماية المدنيين[٢] وعلى الرغم من مصادقة إسرائيل على اتفاقيات جنيف الأربعة فهي لم تعترف بالأسرى الفلسطينيين كأسرى حرب [٣] رغم دعوة المنظمات الدولية والحقوقية لها باحترام الاتفاقيات الدولية والقانون في معاملة السجناء يتعلق بتلك الحقوق الفلسطينيين لديها[٤].
- **اللوائح والأنظمة الداخلية:** هي قوانين ونظم ترقي لمرتبة الدستور " الناظم لحياة الدول والمجتمعات الطبيعية، وتحظى اللوائح والأنظمة الداخلية باحترام وتقدير كبيرين من كافة الأسرى، وتشكل مرجعيتهم المتعاقد عليها لفض المشكلات التي تواجههم[٥] واللوائح الداخلية للتنظيمات داخل السجون تبين أسس الحياة في المجتمع الاعتقالي وبعض جوانب سلطته الثورية من جانب آخر تتبنى التنظيمات المختلفة نظاماً داخلياً أو دستوراً اعتقالياً يحكم علاقات التنظيم الواحد ويوضح أسس التنظيم الاعتقالي ورؤيته الفكرية والهيكل التنظيمي بهيئاته والقوانين التي تحكم نشاطها، كما يوضح الأخطاء وكيفية معالجتها[٦].

(١) أنظر لملحق اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى: ص٢٦٦.

(٢) ناصر عبد الجواد، الأسرى (حقوقهم واجباتهم أحكامهم)، ط ٢، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ص٢٨.

(٣) غادة فريد بدر: أسرانا فى سجون الاحتلال الاسرائيلى، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص١٧٧.

(٤) مركز التخطيط الفلسطينى: البيان الختامى لمؤتمر الامم المتحدة فى فينا، مجلة المركز، العدد ٢٩، غزة، ٢٠١١، ص٢٠٤.

(٥) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص٥٨.

(٦) قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، عمان، دار الجليل للنشر،، ١٩٨٩، ص١٦١.

- **القيادة الجماعية:** وتعني تصريف أمور الأسرى وشؤونهم من قبل الهيئات المنتخبة، من خلال التشاور الحثيث فيما بينها وبين قواعدها التنظيمية، سواء داخل كل فصيل من فصائل العمل الوطني أو بين الفصائل كافة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمصير الأسرى ككل[١].
- **الصندوق الاعتقالي العام:** هو مصطلح افتراضي لمهمة حساسة تتكون من إدارة الواردات من "دكان الأسير – الكنتين " بعد عدها وحصرها وتقييدها في سجل خاص يكون في عهدة الأسير المكلف بالقيام بهذه العملية، وهو أسير يتم التوافق عليه من قبل الفصائل المتواجدة في المعتقل، لأن دوره وصلاحياته تشمل الاتصال بالأسرى كافة، وللأسير المكلف مساعدين يسمى كل منهم أمين الصندوق الاعتقالي لقسمه [٢].
- **العزل:** يعتبر العزل عقاباً من أقسى أنواع العقوبات التي تلجأ اليه سلطات الاحتلال الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين والعرب فتضعهم في زنازين معتمة ضيقة ولفترات طويلة من الزمن، ويحرم الأسير المعزول من أبسط الحقوق الإنسانية والأساسية[٣].

(١) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، فلسطين، القدس، ٢٠١٤م، ص٥٧.

(٢) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس: مرجع سابق، ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٧.

الوحدة الثالثة

التجربة الديمقراطية والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

أهلاً بك عزيزي الدارس في الوحدة الثالثة من مقرر " تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة "، التي نأمل من خلالها التعرف على أبرز مظاهر الإبداع للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة " التجربة الديمقراطية والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون " متمنين أن تكون وحدة تجعلنا أكثر فخراً وانتماءً للحركة الأسيرة التي تألقت قياساً بحركات التحرر العالمية.

ورغم محاولة السجان بكل الإمكانيات قتل التجربة الديمقراطية للأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، من خلال عزل القيادات والنقليات، وعرقلة الانتخابات، ومعاقبة المسؤولين بشتى أنواع العقاب، إلا أنها فشلت بإرادة الأسرى وعزيمتهم.

واستطاعوا من خلال برامجهم وأنظمتهم وقوانينهم من تحويل السجون من مكان للإبادة المعنوية الجماعية وتحطيم العزيمة النضالية، إلى انصهار الكل في بوتقة الأكاديمية الاعتقالية التربوية والوطنية والثقافية والأدبية والتعليمية، وتمكنوا رغم كل الضغوط والتعذيب الجسدي والنفسي والحرمان من كل الشروط المعيشية الممكنة، التي تتنافى وأبسط الحقوق الإنسانية، على كل الصعد " في تقديم العلاج والطعام بكمية ونوعية لائقة ببني البشر، وزيارة الأهل، ومواصلة التعليم، و تأدية الشعائر الدينية بحرية وغيرها من الحقوق.

قسمت الوحدة إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي " التجربة الديمقراطية في السجون الإسرائيلية، والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون الإسرائيلية " .

أهلاً بك عزيزي الطالب مرة أخرى في وحدة " التجربة الديمقراطية والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون"، ونأمل أن تشكل هذه الوحدة ركيزة أساسية في التعرف على كيفية قلب السجون إلى مجالس ومؤسسات ديمقراطية، تقوم على تداول السلطة، وحرية التعبير، والنقد الذاتي، وتحويل غرف الأسرى إلى فصول دراسية وتحصيل الثانوية العامة والبكالريوس والشهادات الأكاديمية العليا .

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الطالب بعد دراستك لهذه الوحدة، والتمعن في الحياة التظيمية في السجون، واكتساب الأسرى والمعتقلين التجربة الديمقراطية، والشهادات الأكاديمية، وتعقب مسيرة المحررين بعد الإفراج وخاصة القدامى منهم، ومتابعة نجاح القيادات بعد التحرر نأمل بأ تكون قادراً على أن:

تتعرف على:

- مفهوم الديمقراطية الاعتقالية وممارستها وفق البيئة الاعتقالية وظروفها .
- انعكاس الشكل الديمقراطي على حياة الفرد والجماعة والمجتمع الاعتقالي، والقرارات التي يتم اتخاذها في المؤسسة الاعتقالية لمواجهة السجان .
- المسيرة الثقافية وأشكالها، وطرق اكتسابها، ومعيقات السجان لإنجاحها.
- المسيرة التعليمية، وأنواعها، والقرارات التي تم اتخاذها من قبل السجان ومقترحات القوانين من قبل الحكومة الإسرائيلية وخاصة فيما يتعلق بمنع الثانوية العامة والجامعة، وأساليب الأسرى للتغلب عليها.
- دور هيئة شؤون الأسرى والمحررين لتربية والتعليم في إنجاح المسيرة التعليمية في السجون في ظل التضييق من قبل السجان.

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس تتكون هذه الوحدة من ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

القسم الأول: التجربة الديمقراطية في السجون الاسرائيلية .

القسم الثاني: المسيرة الثقافية في السجون الاسرائيلية .

القسم الثالث: المسيرة التعليمية في السجون الاسرائيلية .

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس حاول أن تنوع مصادر معلوماتك من خلال المصادر التالية لتتعرف أكثر على الشكل الديمقراطي والثقافي والتعليمي للأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية.

- إبراهيم أبو الهيجا: المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، مصر، الجيزة، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٤م.
- إياد الرياحي: الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، فلسطين، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠٠٦م .
- خالد الهندي: التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة، رام الله، مؤسسة نادياً للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
- عبد الحق شحادة: أوراق من خلف جدران الأسر، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ٢٠١٠م .
- فهد أبو الحاج: التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة ١٩٦٧-٢٠٠٧م، القدس، فلسطين، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، ٢٠١٤م.
- محمد صبحة : التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب إعلام الأسرى، ٢٠١٥ .
- مفيد عرقوب: "بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية"، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة عين شمس، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة :

تحتاج عزيزي الدارس للاطلاع على التجربة الديمقراطية للأسرى في السجون والمعتقلات من خلال الأدبيات التي خرجت من كتابات الأسرى، ومطالعة اللوائح الداخلية للقوى الوطنية والإسلامية في السجون وموادها التفصيلية، وقراءة واسعة لأدب السجون الذي تناول التجربة الاعتقالية وإبداعات الأسرى التعليمية والثقافية، وأجب على التدريب وأسئلة الوحدة، لتحقيق الفائدة المرجوة، بالإضافة لزيارة مؤسسات الأسرى.

القسم الأول

التجربة الديمقراطية في السجون

قد يكون من الغرابة الحديث عن تجربة ديمقراطية للأسرى بين جدران سجون مغلقة، وممارسات قمعية قهرية غير معقولة من قبل سلطات الاحتلال، من حيث تجريم مبدأ التجمع على أساس تنظيمي أو بتكوين نواة مجتمع اعتقالي قائم على الحد الأدنى من القيم والشراكة والعقد الاجتماعي في أدنى صوره وشكله، وتقييد الحريات وتكميم الأفواه والعقابات على أتفه القضايا، والرقابة الشديدة على حركة الأسرى بكل أشكالها الحياتية والثقافية والتنظيمية والأمنية، ومنع عقد اللقاءات بين أعضاء الكوادر التنظيمية المنتخبة، ونقلهم المتواصل لإيجاد حالة من عدم الاستقرار التنظيمي الذي يرسي دعائم الممارسة الديمقراطية وثقافتها على أيدي نخب تألقت وأبدعت في استيعاب الأسرى الجدد وزرع مبادئها بهم منذ لحظات الاعتقال الأولى [١].

وعلى الرغم من كل تلك العوائق فقد تجاوز الأسرى تلك العقبات ببدائل، وتطورت المسيرة الديمقراطية في السجون مع تطور الأوضاع الداخلية للأسرى مرحلة بعد أخرى، كل كان لها خصائصها وظروفها في شكل الإمكانيات، والروابط، واللوائح الداخلية، وإفراز القيادات وكيفية اتخاذ القرارات، والرقابة، والمحاسبة، والمساواة، والحقوق، والحريات.

ويمكن القول أن الممارسة الديمقراطية في السجون تبقى نسبية، قائمة على المشاركة في صناعة القرار السياسى والكفاحي، أكثر من الحديث عن العلاقة بين الحكم والمواطن، وقوانين وتشريعات وأنظمة وحريات وتعددية سياسية وثقافية وحقوق للفئات الاجتماعية المهمشة والضعيفة وغير ذلك من أهداف وقيم ومبادىء [٢].

بدايات الديمقراطية في السجون:

يستنتج ميشيل فوكو في كتابه (المراقبة والمعاقبة – ولادة السجن) أن السجن ليس مصدره القانون الجنائى بل هو سبق القانون وجاء هذا فيما بعد لينظمه، إن السجن بمؤسسته الخاصة وطريقة نشوئه وهيكليته المتعلقة به وحده كما لو كان سلطة مضافة إلى الدولة والمجتمع، ويعتبر السجن بهندسته وجاهزيته مكاناً مثالياً لإنتاج الجسد الانضباطي، ويرى أيضاً

(١) الأسير محمد صبحة : التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب اعلام الأسرى، ٢٠١٥، ص٥٢– ٥٧.

(٢) محسن أبو رمضان: التحول الديمقراطى فى فلسطين، رام الله، فلسطين، مركز رام الله للدراسات وحقوق الانسان، ٢٠٠٨، ص٨.

أنه " أصبح للشرعيات حوامل جماعية وشعبية وأهداف سياسية واضحة، واشتد الالتباس بين المعارض السياسي والمتهم الجنائي، وقد أفادت السلطات طويلاً من هذا الالتباس بحيث سنت قوانين كثيرة ذات صبغة جنائية موجهة إلى أشكال المعارضة السياسية الخالصة والأيدلوجية المعينة "[١].

ولقد مارس الأسرى الديمقراطية وتوسعوا فيها بالنضال الدؤوب، وإعمال الفكر في التجارب التي كانوا يخوضونها، وباكتساب عوامل الثقافة من خلال الإبداع والاطلاع على ثقافة الآخرين، وتطوير مهاراتهم من خلال تجارب الديمقراطية فيما يصل إليهم من دراسات وحوار حولها، وكان للنهوض الأدبي دوره فى الإبداع والحوار حول الشكل الأفضل الذي يجب أن يبلغه الأسرى في اكتساب المزايا الديمقراطية في التعامل والارتقاء الإنساني إلى العلاقة الأفضل فيما بينهم، فقد ثبت أنه حتى في غياب الأيدلوجيا الموحدة للمعتقلين السياسيين (بصفتهم معتقلين سياسيين) كان هناك نقاش وحوار يتسم بالروح الديمقراطية بين الأسرى [٢].

منذ بداية الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة عاملت السلطات الإسرائيلية الأسرى بالكثير من أشكال السطوة والقوة، وحاربت كل أشكال ومظاهر الديمقراطية في السجون، فانتقت مصلحة السجون قوانين قهرية طبقتها على الأسرى السياسيين أسوة بالجنائيين اليهود كونهم تحت نفس المسئولية والإدارة، متجاوزة الفارق الجوهري في أسباب الاعتقال والنظام والخصوصية بهدف الانتقام وعدم الاعتراف بالمسؤولية القانونية الدولية لهم كأسرى حرب، ومع هذا منعت الفلسطينيين السياسيين من كل امتياز إيجابي منحته للجنائيين، على سبيل المثال لا الحصر: طبقت على الأسرى الفلسطينيين السياسيين نظام التفتيش العاري بسبب تهريب الجنائيين للمخدرات والسموم، وفي المقابل منعت الأسرى الفلسطينيين من تحديد حكم المؤبد بعشرين عاماً، وإفراجات ثلثي المدة، والاتصالات الهاتفية مع الأهالي، وحق الإنجاب، وغير ذلك من الامتيازات التي منحتها للجنائيين، فتعاملت مع الطرفين بشكل انتقائي لصالح الجنائيين اليهود.

برزت الديمقراطية في السجون في ثلاثة مركبات، الأول: على المستوى الفردي بالثقافة والسلوك والممارسة، والثاني: على صعيد بنية التنظيم الواحد وهياكله ولجانه وشكل القرارات فيه، والثالث:

---

(١) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص٩.

(٢) فهد أبو الحاج:، نفس المصدر، ص٩٤.

تجلى بشكل واسع على صعيد العلاقة التي تحكم الفصائل والمؤسسات الاعتقالية العامة في كل سجن، وبين السجون لحظة اتخاذ القرارات الجماعية الاستراتيجية العامة، وللتفصيل أكثر [١]:

١- على الصعيد الفردي:

المجتمع الاعتقالي عمل على صهر الأسرى بالمفاهيم والأفكار الوطنية، وبتغليب المصالح العليا على الأنانيات والحاجات الشخصية، ويعمل على استيعابهم من خلال التدرج في تربيتهم وصقلهم من الناحية النظرية بالمفاهيم والمعرفة والمباديء الديمقراطية، ومن الناحية العملية بتمرينهم وتدريبهم على السلوك القويم والنضالي والجماعي المنضبط.

ولقد اكتسب الأسرى المفاهيم الديمقراطية من خلال انتمائه للفصائل الفلسطينية قبل الاعتقال والتي مارست العملية الديمقراطية في مؤسساتها بنسب متفاوتة، والتي حملت نويات ديمقراطية غير مكتملة تحتاج للمزيد من النمو من أجل حسم نقاط هامة ومفصلية في تفكيرها بهذا الشأن [٢]، ويرجع هذا الأمر لعملية النضال الطويل مع الاحتلال وظروف الشتات والاعتقال، والتي شكلت عائقاً ضخماً في مواجهة تطوير الممارسة الديمقراطية[٣] .

فبدأت التنظيمات داخل المعتقلات بالقيام بأعباء وظيفتها الاجتماعية الريادية، وذلك ببناء أسير متشبث بالثوابت الوطنية، والمقدر لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، والمتمسك بهويته بشتى روافدها، والمعتز بانتمائه لقضيته، والمدرك لواجباته وحقوقه، بالإضافة إلى تربيته على التحلي بفضيلة الاجتهاد المثمر، وتعريفه بالتزاماته تجاه نفسه ومجتمعه الاعتقالي، وعلى التشبع بقيم التسامح والتضامن والتعايش، ليساهم في الحياة الديمقراطية كحاجة أساسية في مواجهة المحتل بثقة وتفاؤل، في اعتماد على الذات وتشبع بروح المبادرة.

كما أن السجن كمجتمع صغير، يعد الورشة الحقيقية التي يتمرن فيها الأسير على الحياة الفضلى وعلى التعاون الاجتماعي وعلى السلوك المدني بصفة عامة، ويعمق من خلالها

---

(١) للمزيد من التفصيل أنظر إلى دراسة كل من :

خالد الهندى:مرجع سابق

فهد أبو الحاج: التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة ١٩٦٧-٢٠٠٧، القدس، فلسطين، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، ٢٠١٤م.

الأسير محمد صبحة: التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون، غزة، فلسطين، مكتب اعلام الأسرى، ٢٠١٥.

(٢) وليد سالم: المسألة الوطنية الديمقراطية فى فلسطين، رام الله، فلسطين، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ص١٥٧.

(٣) محمد خالد الأزعر: النظام السياسى والتحول الديمقراطى فى فلسطين، رام الله، فلسطين، مواطن – المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ١٩٩٦، ص١٢.

الممارسة الفعلية في حدود التعايش والتقبل المتاحين، وبذلك ينتج معتقلاً حداثياً قوياً بعلمه وغزارة معارفه وبسلوكه المدني الموجه بداهة نحو البناء لا الهدم[١].

واجتهد المجتمع الاعتقالي بتكريس مبدأ المسئولية لدى الأسرى، مبدأ قام على المفاعلة، أي علاقة تفاعل متبادل، أو منظومة علاقات: علاقة بين الأسير والأسرى الآخرين، والعلاقة بين الأسير والمجتمع الاعتقالي، والعلاقة التي تضبط الأسير بالتنظيم الذي ينتمي إليه ويعيش في كنفه وتحت مظلته، وبذلك يتحول الأسير من شخص باحث عن الذات والمصالح الشخصية إلى شخص يتطلع للأهداف الكبرى والمصالح العليا للمجموع الاعتقالي[٢].

ومارس المعتقلون مرتكزات ومبادىء الديمقراطية في السجون، في إطار الفصيل والمجتمع الاعتقالي العام، في الكثير من المجالات، كحق الانتخاب والترشيح، والحقوق والواجبات، وتقبل التعددية الاعتقالية واحترام الأطر الأخرى وعناصرهم وأفكارهم ومعتقداتهم الفكرية والسياسية والدينية، وبالإنصياع لمفهوم الأغلبية في التمثيل الاعتقالي، وتداول التوجيه النضالي " الموجه العام "، واللجان التنظيمية بناءاً على أرضية تداول السلطة، وممارسة الحرية على قاعدة أن الحرية الشخصية تنتهي عند حدود حرية الآخرين، فمارس الأسير حريته في ظل حدود الانضباط، دون تعكير صفو ومزاج زملاءه، في النوم والسهر والرياضة، وحتى على صعيد الصوت والضوء والحركة داخل الغرفة، لإدراكه أن الحرية لا تعني أن يفعل الإنسان كل ما يريده، لأن أشد الدول ديمقراطية تضع حدوداً لحريات الأفراد دون أن يقصد من ذلك القضاء على الحريات أو التقليل من شأنها، بل تنظيمها بغية الحفاظ على مصالح الجماعة وحقوق الآخرين والنظام العام[٣]، ولم يستعل الأسرى على بعضهم أو يفضلوا بعضاً منهم على غيرهم، والتزم الكل منهم بالمواثيق والدساتير واللوائح الداخلية والإعتقالية، ونظام المكافآت والعقوبات والقانون على قاعدة المساواة، أما ما ساعد الأسرى على قناعاتهم بقيم الديمقراطية، إحاطتهم بحجم التحديات من حولهم، ومعرفتهم بنفسهم التي تحتاج للآخرين في بيئة العداء والقهر، لأن العلاقة بين الفرد والبيئة هي علاقة متبادلة، واذا لم يستطع الإنسان أن يعي هذه العلاقة لن

---

(١) موقع مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=27480

(٢) موقع أخبار الديمقراطية:

http://www.siironline.org/alabwab/akhbar_aldimocrati(15) /akhbar_aldimocrati(15) /390.htm

(٣) داوود الباز: النظم السياسية للدولة والحكومة فى ضوء الشريعة الاسلامية، الاسكندرية، دار الفكر الجامعى، ٢٠٠٦، ص٢٠٣.

يكون بمقدوره اتخاذ القرارات الصحيحة، ولا كيف يمكن أن يتخذها، لأن أحد مفاهيم الديمقراطية أن تختار وأن تتخذ قرارات صحيحة [١].

٢-على الصعيد التنظيمي الداخلي:

تجسدت الروح والممارسة الديمقراطية في أبهى صورها داخل الفصائل الفلسطينية في السجون، ولعل أبرزها، في توزيع وتشكيل الهياكل واللجان التنظيمية، وفي فصل السلطات (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، حيث أن كل منها يمارس وظائف معينة ومحددة وتكون كل سلطة مستقلة عن الأخرى مع تعاون السلطات فيما بينها [٢]، وفي وجود القوانين التي تتضمنها اللوائح الداخلية والتنظيمية لكل فصيل[٣]، التي تحدد الصلاحيات والمهام وكذلك الحدود للأمير أو الموجه العام، واللجان التنفيذية والمركزية والمؤتمرات الحركية، ومجالس الشورى واللجان، وتحدد صلاحيات وحدود كل اللجان ورؤسائها " الإدارية، والثقافية، والخارجية، والأمنية، والثقافية، والمالية، والقضائية "، ونظام العقوبات العامة، وتجعل الديمقراطية من المشاركة حقاً لكل مواطن [٤]، كل ذلك تَجَسَدَ في واقع السجون، بالانتخابات وتداول السلطة السلمي المنتظم كل ستة شهور، ومحاسبة المسؤولين دورياً في لجان وصناديق الانتخابات .

ولعل أبرز تجليات العملية الديمقراطية تكمن في طريقة الانتخابات التي تمر بعدة مراحل في السجون، وتختلف في الشكل والطريقة والمسميات من تنظيم إلى آخر وفق النظام الداخلي المتفق عليه بتصويت فصائلي بثلثي الأعضاء في القلعة، والمتشابهة في مضمونها وأهدافها بين كل الفصائل، ففي المرحلة الأولى من الانتخابات يتم تعيين اللجنة المشرفة، ويتم الإعلان عنها بالتزامن مع استقالة المؤسسة التنظيمية السابقة، وإفراز مؤسسة تنظيمية جديدة ضمن ضوابط.

---

(١) المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات: نحو مجتمع ديمقراطي، القدس، فلسطين، جامعة بئر زيت، ١٩٩٤، ص٢٠٣.

(٢) أحمد سعيد نوفل، وأحمد جمال الظاهر: الوطن العربى والتحديات المعاصرة، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، ٢٠٠٨، ص٢٩.

(٣) للتوسع أكثر فى الديمقراطية الحزبية أنظر :

بيبا نوريس: بناء الاحزاب السياسية: اصلاح الضوابط القانونية والقواعد الداخلية (ستوكهولم: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات ٢٠٠٤) .

سوزان سكارو: تنفيذ الديمقراطية الداخلية الحزبية، سلسلة الاحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن: المعهد الوطني الديمقراطي ٢٠٠٥) .

كينيث جاندا: تبني القانون الحزبي، سلسلة الاحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن: المعهد الوطني الديمقراطي ٢٠٠٥) .

(٤) جيلين تندر: الفكر السياسى – الأسئلة الأبدية، ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣، ص١٠٨.

ويبدأ المنتخبون الجدد عملهم بعد ذلك، وتعتبر جميع مؤسسات التنظيم السابق مُنْحَلَّة، بينما تبقى اللجان التنفيذية الأخرى (الثقافية، المالية، الإدارية،...الخ) عاملة بشكل مؤقت إلى حين تشكيل لجان جديدة خلال مدة زمنية محددة وفق النظام العام أو اللائحة الداخلية [١].

أهمية العملية الانتخابية في السجون:

العملية الانتخابية في السجون تعد أحد أهم مظاهر التجربة الديمقراطية ، كونها تحدث في ظروف قاسية وتنغيصية من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية وإدارة مصلحة السجون، كما أنها عملية إبداعية راقية، ممَّا لها من انعكاس على حياة الأسرى وتنظيم حياتهم، وتحقيق استقرارهم، وتحقيق القوة النسبية مع السجان، وبالتالي إيجاد معادلة الرعب بين الطرفين.

ومما لاشك فيه أن إشراك القواعد في اختيار ممثليهم، ومساهمتهم في اتخاذ القرارات التي تخص حياتهم الاعتقالية يجعلهم جميعا جزءاً من الواقع بكل جزئياته، وليس مجرد أرقام تعيش داخل الأسر لا يملكون من أمورهم شيئاً، وهذا لا يأتي إلا عبر الانتخابات التي تحقق هذا الغرض، فتؤدي إلى آثار إيجابية أهمها: (تجعل التنظيم القائم على الحياة الاعتقالية شرعيًا كونه منتخب من قواعد الأسرى، والتزام الأسرى بالقرارات التنظيمية، والامتثال للسياسة الصادرة عن اللجان المنتخبة حتى ولو كانت مخالفة لرغبتهم الشخصية، كما أن أسلوب الانتخاب يجعل الناخب رقيباً على عمل المرشح الفائز، قادراً على محاسبته عبر صناديق الاقتراع في الدورة الانتخابية القادمة التي لا تتعدى في السجن أكثر من ستة أشهر، هذه الرقابة تشكل محفزاً للمكلف بإدارة العمل التنظيمي بشكل مسؤول، كما أن نتائج الانتخابات تكشف غالباً عن توجهات الناخب، وبالتالي يمكن للهيئة التنظيمية التعرف على ما يرضي القاعدة وما يسخطها، وما الذي أدى إلى هذه النتائج، وأخيراً، فالانتخابات نوع من التفاعل مع الواقع، وشعور لكل مشارك أنه جزء من صناعة القرار، الأمر الذي يعطيه شيئاً من الثقة، ويشعره بنوع من الأمانة والمسؤولية ويدفعه إلى مزيد من المساهمة في تيسير الحياة الاعتقالية [٢].

وبلا شك أن التجربة الديمقراطية في السجون حافظت الوحدة الوطنية (وحدة من خلال التعدد والعمل الديمقراطي) التي لم تعد موضوعاً للجدل بين الأسرى، ولقد وجد مبدأ الوحدة

(١) الأسير محمد صبحة : مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص٣٢.

الوطنيـة تعبيـراً منظمـاً لـه فـي إطـار اعتقـالي مـنظم ومنضـبط، عبَّـر عـن أمـاني وتطلعـات المعتقلين[١].

بهذه الآليات تميزت الحركة الفلسطينية الأسيرة بالعديد من المميزات كممارسات منحتها القوة والأصـالة علـى قاعـدة الديمقراطيـة التـي اتسـم بهـا المجتمـع الاعتقـالي علـى صـعيد الفـرد والفصيل والمجموع، ولقد كان واقع الأسر عند الأسرى منظماً تنظيماً دقيقاً وشاملاً، فكل تنظيم له لوائحه ودساتيره، وقوانينه التي يسير عليها، وهناك لوائح وقوانين تنظم العلاقة بين هذه الفصـائل بعضها ببعض، وكذلك بينها وبين إدارة السجون في كل ناحية تهم المعتقلين، وبناءاً عليه شكلت المؤسسات واللجان التنظيمية والاعتقالية التي تعالج شؤون المعتقلين الإدارية والنضالية والثقافية والماليـة وغيرها، بحيث لا تجد أي مجال كان أو أي نقطـة ليس لها حل أو قاعدة تفاهم عند المعتقلين[٢]، مجتمع قائم على القانون كنظام عدالة أو ممارسة سلطة أو قدرة في الحفاظ على الحق[٣]، والحرية والعدل والمساواة، وكان أحد تعبيرات الحرية في السجون ضمان اختيار الانتماء للتنظيم الذي يرغب فيه المعتقل الجديد منذ لحظة دخوله السجن بعملية فرز حرة للعيش أينما شـاء لـدى التنظيمـات دون إكـراه، وحريـة الـرأي دون قمـع أوتكمـيم للأفـواه، فلـم توجـد سياسـة للتنظيمات بمنع أي أسير من أن يعبر عن رأيه بشكل حر وديمقراطي، وأن ينتقد ويرفع شكواه أو رأيه أو وجهة نظره في كل الأمور، ويشارك في عملية التقييم الدورية الشاملة التي تجرى لمجمل الحياة الاعتقالية[٤]، ويمارس الأسرى الحرية فيما بينهم، كونهم أكثر الناس توقاً إليها، ولكونهم فـي الأصل طـلاب حريـة، فالحريـة مطلـب فطري قامت ثورات الشعوب من أجلها، وكانت هي الشرارة التي أشعلت الشواظ للخلاص من شعور العبودية، ولهذا احتلت كلمة الحرية مقاماً رفيعاً، فليس في كل اللغات كلمة تخفق لها القلوب بقدر ما تخفق لكلمة الحرية [٥]، والواقع أن الحقوق والحريات لا تختصر بمبدأ واحد، وإنما هي مباديء عدة تتمثل في حرية الرأي والمعتقد والحريات الشخصية المختلفة.

---

(١) قدرى أبو بكر: مرجع سابق، ص١٤٧.

(٢) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص٩.

(٣) أحمد بكار: الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٧ ،ص٤٠.

(٤) خالد الهندى: مرجع سابق، ص١٢٤ .

(٥) داوود الباز: الشورى والديمقراطية النيابية، الاسكندرية، دار الفكر الجامعى، ٢٠٠٤، ص٢٢.

ثالثاً-الرقابة والمساءلة والمحاسبة في السجون:

تشكل كلاً من الرقابة والمساءلة والمحاسبة أهم الأدوات الديمقراطية لضمان سلامة التجربة الديمقراطية في كل مكان وكل واقع، ولقد تحققت تلك الأهداف بعدة وسائل داخل السجون ولعل أهمها:

١- الرقابة الذاتية بدافع ديني أو أخلاقي أو وطني تمنعه من ممارسة الأخطاء.
٢- التقارير الإلزامية من قبل الموجهين ومسؤولي اللجان والمؤسسات.
٣- اللجان الرقابية التي يتم تكوينها في أعقاب حدوث خلل تنظيمي أو اعتقالي عام.
٤- والانتخابات إحدى صور المساءلة والمحاسبة للمسؤولين من قبل القاعدة التنظيمية.
٥- بواسطة الأعمال الفنية عبر المجلات، والمسرحيات السامرة، والكاريكاتورات الناقدة والأعمال الفنية الأخرى.
٦- اللقاءات الإدارية: كأسلوب اعتمدته الحركة الأسيرة منذ نشأتها عبر اللقاءات المباشرة الدورية في الغرف وفي الساحات تحت شعار (النقد والنقد الذاتي) عبر جلسات مكاشفة مفتوحة، يسأل فيها الأسرى المسؤولين بكل ما يخطر ببالهم، وعلى المسؤول الإجابة والتوضيح، وكان هذا الأسلوب الأبرز من بين أسباب الرقابة والمساءلة الجماعية التي تمارسه القاعدة التنظيمية [١].

رابعاً-مواجهة إدارة مصلحة السجون للتجربة الديمقراطية في السجون:

تحمل الثقافة الصهيونية العنصرية ثقافة سلبية اتجاه العربي بشكل عام، فاستكثرت واستهجنت عليه إمكانيات الوعي والتقدم والتطور والمفاهيم الديمقراطية، ومن خلال تتبعنا للكثير من محاولات الاحتلال وجد الكثير من الوسائل التي وضعها لإحباط المسيرة الديمقراطية الفلسطينية خارج السجون، على اعتبار أنها تشكل حالة نضالية مؤثرة على صعيد وحدة فصائل المقاومة، وسلامة اتخاذ القرار السياسي والعسكري، والطريق لنبذ الخلافات والانقسامات وقبول التعددية السياسية والفكرية، والتنسيق فيما بينها في كل مراحل النضال العسكري والسياسي والقانوني، فاتخذ الكثير من الإجراءات التعسفية بحق الشخصيات والقادة والمفكرين الفلسطينيين من دعاة الحوار والوحدة والتعايش وقبول مبادىء الديمقراطية بعمليات الاغتيال والإبعاد والاعتقال، وحرض العالم "باطلاً" لتصنيف القوى الوطنية والإسلامية المقاومة "بالإرهابية"، وأغلق المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية، وحاول بكل الوسائل ضرب البنى التحتية للمقاومة.

(١) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص٤٣ ٤٨.

الأمر الذي تكرر بصورة مصغرة في السجون، حيث أن الاحتلال اعتبر أن ممارسة الديمقراطية في السجون تشكل خطراً على سياساته ومخططاته ومؤامراته التي انهارت بفعل وعي الأسرى في مواجهتها ديمقراطياً، ومن خلال دراسة دقيقة لخبراء اجتماعيين اطلعوا وراقبوا السلوك الديمقراطي في السجون حاولوا ببعض الوسائل "كنقل القادة وعزل الكوادر المجربة، وزرع الفتنة والمحاور والشلليات والفوضى[١]، وفي أعقاب الانقسام الفلسطيني خارج السجون استغلت أجهزة الأمن الإسرائيلية هذا الواقع لضرب مصادر القوة لدى الأسرى بوحدة قرارهم، فقامت بفصل الأسرى في الأقسام على أساس فصائلي في محاولة لضرب البنية الأساسية المتمثلة بوحدة موقفهم وسر صلابتهم وصمودهم طوال التجربة الاعتقالية، الأمر الذي لم يتحقق – رغم أنه تأثر بفعل الانقسام – لأن الحوار والتنسيق بين الأسرى لم يتوقف في أي فترة كانت، مهما اختلفت الظروف[٢].

(١) الأسير المحرر المبعد سامر أبو سير، مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٦/٢٣، قطاع غزة.

(٢) الأسير المحرر المبعد ابراهيم عليان، مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٦/٢٣، قطاع غزة.

في نهاية القسم نجد أن التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين بعد أربعين عاماً في السجون الإسرائيلية أضحت ثقافة متداولة عبر البرامج التنظيمية، وتربية اعتقالية من القدامى إلى الجدد منذ بدء الاعتقال، وقيم ومعاملة يمارسها الأسرى في شؤون حياتهم اليومية، قبل أن تكون ممارسة وسلوك ومؤسسات وقرارات، واعتبر الأسرى أن الكثير من تلك القيم مستوحاة من دينهم كالتسامح والحريات والحقوق والمساواة وقبول الآخر وسيادة القانون والشورى فيما بينهم.

ويمكن القول إن التجربة الديمقراطية في المعتقلات تدرجت ومرت في مخاضات ومحطات، وشهدت تفاعلاً في إطار جدلية العلاقة بين العامل الذاتي والموضوعي، حيث أن الواقع المعيشي بتحدياته ومتطلباته وفر ظرفاً موضوعياً للعامل الذاتي، سواءاً على مستوى الفصيل أو الفصائل للارتقاء بمفاهيمها وممارستها الديمقراطية، ومعلوم أن نضج العامل الذاتي قد أسهم في تحسين العامل الموضوعي وتطويره، والموضوعي بدوره ارتد في علاقة تأثيرية بناءاً على الذاتي.

ولو لم يجترح المعتقلون الفلسطينيون التجربة الديمقراطية لتحول الواقع الاعتقال إلى مسرح للصراع والتنافس داخل الفصيل الواحد وعلى صعيد الفصائل الأخرى، ولأصبح الحوار باليد والأدوات الحادة بدل الحوار الإنساني الواعي والهادف، وتوجد تجارب كثيرة في بعض المعتقلات الصغيرة، فحينما غابت العلاقات الديمقراطية تحول المعتقل لساحة للصراع.

القسم الثاني

المسيرة الثقافية في السجون

القلم في السجون يمثل بندقية الأسير بعد الاعتقال، والورقة هي ساحة المعركة الاعتقالية على كل الجبهات، معركة إظهار المشاعر النبيلة مقابل ثقافة الحقد والكراهية وتحطيم القيمة الإنسانية، معركة العلم والمعرفة مقابل سياسة التجهيل والأمية، معركة الأمل والتفاؤل مقابل سياسات التشاؤم والتيئيس والإحباط، معركة الفرح والحرية مقابل واقع الحزن والقتامة والقيد.

وكلما ضغط واقع الزمن على الأسير، وجد طريقته للهروب والتخلص مع ظبى الخيال، وللخيال قوة الهروب من حصار زمن الانتظار بزمن الانشغال، ولكن ليس كل تخيل هو ميكانيزم هروب من واقع بل أحياناً ما يكون التخيل ضرباً من الإبداع، أو أن يكون له طبيعة تخطيطية لما يمكن أن يؤدي إلى واقع، فيه صناعة للحدث اليومي على مستوى السجن والمستوى الاستراتيجي " كالدراسة والتثقف، والتعلم، وفي العمل التنظيمي، والتفاعل الوطني والاجتماعي مع السجناء، وممارسة الهواية من نحت في الصخر ورسم اللوحات الفنية، والنشاط الرياضي، وخوض معركة الإضراب المفتوح عن الطعام، كل ما سبق زمن لانشغال السجين، وإشغال للوقت بعيداً عن الانتظار [١].

وتعتبر الحياة الثقافية للأسرى الفلسطينيين داخل معتقلات الاحتلال من أهم معالم الحياة الاعتقالية، التي صاغتها الحركة الأسيرة منذ نشأتها، ولقد برزت حاجة الأسرى لبلورة جو ثقافي منذ بدايات تشكل نواة الحركة الأسيرة، من خلال ملء الفراغ الناجم عن اعتقالهم والاستفادة من الوقت، واهتمام الأسرى بنشر الوعي التنظيمي والتعبئة الفكرية بخاصة مع ارتفاع وتيرة النقاشات الفكرية والسياسية بين التيارات الفلسطينية المختلفة داخل السجون " [٢].

في هذا القسم سنتناول الأوضاع الثقافية، والأشكال والخطط والبرامج والوسائل، التي رسختها الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في مواجهة سياسة السجان التفريغية والتجهيلية.

أولاً–طبيعة المعركة الثقافية في السجون:

(١) فايز أبو شمّالة: السجن في الشعر الفلسطيني المعاصر، رام الله، المؤسسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، ٢٠٠٣، ص٢٤٢.

(٢) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة : (٢٠١٣)، إبداعات انتصرت على القيد، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين، ص٥٤.

الثقافة: هي المكونات الرمزية والمتعلمة مثل اللغة والدين والمعتقدات والعادات، وهي التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الطبيعية [١]، وهي عملية إنسانية متعددة الأبعاد والممارسات ومكانها المجتمع، فهي تشق وجودها من تطوير معان مشتركة ومن قدرة البشر على تفهم بعضهم البعض، وتعتبر اللغة هي أداة التعبير عنها [٢]، والثقافة السياسية تمثل البيئة الثقافية للعمل السياسي[٣]، والتي يكتسبها الإنسان من خلال عملية التنشأة الاجتماعية والسياسية التي تقوم بها الأسرة والمدرسة والجامعة والحزب والنقابة والمؤسسات الدينية [٤]، وفي قسمنا هذا سنجد أن الثقافة السياسية تجسدت بشكلها الواعي والواسع والمدرك والمخطط له لدى الأسرى أثناء الاعتقال وفي السجون، لوجود معركة ثقافية محتدمة في هذا الواقع بين طرفين، بين سجان يحبس كل ما يشير لأي معنى للحياة، ويسعى لقتل الإنسان الفلسطيني جسدياً ونفسياً ومعنوياً وثقافياً، وبين الأسرى الذين أدركوا مبكراً تلك المخططات فواجهوها بكل الوسائل الممكنة، فانتصروا على جلاديهم بعد سجالات متواصلة، كان ضحية مسيرتها العشرات من الشهداء، ممن أرسوا دعائم الثبات والصمود، وحققوا العزة والكرامة لمن بعدهم من المعتقلين الذين انشغلوا بأوقاتهم وبناء ذواتهم لما بعد الحرية.

في هذه المعركة أدرك السجان الإسرائيلي قيمة ودور وأثر الإبداع في السجون، بوصفه مظهراً حضارياً وإنسانياً، ولأنه يرى الأسير الفلسطيني ويقدمه للعالم كإرهابي فارغ من الإنسانية والحضارة، وعدواً لهما، لذا لا يستطيع أن يسمح للأسير بالسلوك بما يخالف هذه الصورة التي أعدها له بدقة، وأينما أظهر الأسير سلوكاً أو تفكيراً أو إنتاجاً يخالف هذه الصورة، يبذل السجان قصارى جهده لإعادته قسراً لداخل إطار الصورة، صورة الإرهابي القاتل، كما أن السجان يعي أن الإبداع عامل قوة للأسير، وعامل تعزيز لصموده، وتعميق ثقته بنفسه، التي يسعى السجان ضمن برنامجه اليومي إلى تحطيمها[٥].

في مقابل، صورتان للسجن لا تفارقان وجدان الأسرى:

---

(١) Mannheim,karl: Essayson the sociology of culture , london,routledge,1994,P: 14.

(٢) Prus,Robert,Subcultural mosaice and intersubjeective realties :An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university of new York press , 1997 ,P 4.

(٣) Verba,Sidny,Gabriel Almond: the civic culture political attitudes and democracy in five nations , Princeton university press , 1963,P: 12.

(٤) Inglehart,Ronald: The silent revolution changing values and political styles among western publics , Princeton university press , 1977, p: 25.

(٥) سامى الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص٦٨.

١- ما يريده السجان وما يهدف إليه من إيقاع بالإنسان وتفريغه من محتواه ليمسي جثة بلا روح، تلك الصورة القاتمة التي شكل أجزاءها الخوف والقلق واليأس والحزن والحرمان والاغتراب، تلك الصورة الإحباطية المنفرة من الحياة، القاتلة لبهجتها.
٢- ما يهدف إليه الإنسان في هذا المعركة، هو اجتياز هذا الامتحان الصعب الذي زج به مرغماً، ساعياً لاستثمار الوقت، وحشد طاقة الانتماء والوفاء ليحتمل مكونات الإحباط بل والخروج من الصورة القاتمة إلى الصورة المشرقة باعثة الأمل والفخر والاعتزاز والثقة بالنفس، والإيمان بحتمية الانتصار وشروق شمس الحق مهما واجه من صعاب[١].

وفي أعقاب دراسة المفردات التي استخدمها الأسير الفلسطيني، مقابل المفردات التي استخدمها السجان باتجاهه هنالك مفارقة حادة بينهما في معركة الثقافة والأخلاق، سجان لا يتحدث إلا بلغة عدوانية " يديك إلى أعلى، يديك إلى الخلف، لا تقاوم إلا قتلتك، سر أمامي، أدخل الزنزانة، أسكت، انت أسير، لا علاج، والكثير من المفردات الطافحة بالعدوانية واللاإنسانية، مقابل لغة أسير " صباح الخير، كيف حالك، شكراً، من فضلك، وعشرات من هذه المفردات المتوهجة بالحياة العامرة بالإنسانية[٢].

ثانياً-تطور الأوضاع الثقافية في السجون:

أدرك المعتقلون في وقت مبكر أن الاحتلال يستهدف ثقافتهم وتراثهم، فانكبوا على تعبئة أنفسهم ثقافياً وفكرياً، عن طريق القراءة الذاتية، والدورات التي كانت تشرف عليها الفصائل مجتمعة أو كل على حدة[٣]، وتطورت الحالة الثقافية في السجون ومرت بأربع مراحل:

١- **مرحلة القمع الثقافي ١٩٦٧ – ١٩٧٢م:** كل شيء كان ممنوعاً في هذه المرحلة، الأوراق والأقلام والكتب كانت ممنوعة، ولم يكن للثقافة الفكرية مكان، وكل التفكير كان مركزاً على الدفاع عن النفس جسدياً ومعنوياً.
٢- **مرحلة النضال والتمرد ١٩٧٢ – ١٩٨٠م:** في هذه المرحلة بدأ الأسرى يمسكون بزمام المبادرة، بعد خطوات نضالية استراتيجية كالإضرابات الجماعية المفتوحة عن الطعام، كان أهم إنجاز فيها السماح بإدخال القرطاسيات والكتب بأنواعها، مما أحدث نمو ثقافي هائل.

---

(١) فايز أبو شمّالة: مرجع سابق، ص١٣٧.

(٢) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص٦٤.

(٣) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية :، مرجع سابق، ص٢١.

٣- **مرحلة الازدهار ١٩٨٠-١٩٩٢م:** مرحلة الانتصار وإقامة السلطة الثورية داخل المعتقلات، فكان الأسرى منظمين، ويمتلكون التجربة الطويلة، والحياة الثقافية والفكرية بلغت ذروتها، وانتصرت في هذه المرحلة إرادة الأسرى على إرادة القمع والحرمان والقتل.

٤- **مرحلة التذبذب ١٩٩٣ – ٢٠١٥م:** بسبب اتفاقية أوسلو[١]، وما تلاها من اهتمامات للأسرى بالحرية، ودخول الانتفاضة والهجمة الشرسة على الأسرى في ٢٠٠٠م، واستغلال حالة الانقسام الفلسطيني في ٢٠٠٧م، ظهرت حالة من التذبذب على مستوى الحالة الثقافية.

ثالثاً-التحديات الثقافية وتنظيمها:

أدرك الأسرى أن (تحقيق الأهداف والقوة ولغة التقارب والتماسك) اقترنت بالمجتمع المثقف، لأن الثقافة والقوة مرتبطتان بشكل وثيق، فالثقافة هي التي تعطي القوة في الأفعال والسلوك [٢]، وهي التي تساهم في تعبئة الأفراد نحو تحقيق الأهداف[٣]، وهي التي توجد القواسم المشتركة التي تؤدى إلى قدرة البشر على تفهم بعضهم البعض ومن ثم تحقيق التفاهم والتقارب والتماسك [٤]، ولقد أدرك المجتمع الاعتقالي ذلك الارتباط، فأولت التنظيمات الفلسطينية في السجون أهمية خاصة للنشاط الثقافي كأحد أهم التحديات التي يجب أن تكون منظمة أمام إدارة وطواقم ومؤسسات تستهدفهم على كل الصعد والاتجاهات، لذلك أجمعت كافة اللوائح الداخلية للتنظيمات الفلسطينية في السجون على أهداف المسيرة الثقافية[٥]، على اعتبار أن هذا النشاط يشارك في دعم كافة النشاطات التنظيمية الأخرى للمعتقلين [١].

---

(١) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص١٧.

(٢) Johnston,Hank &Bert Klandermans , eds., social movement and culure , university of minneapolist , 1995,P: 31.

(٣) Ibid P:164.

(٤) Prus,Robert,Subcultural mosaice and intersubjeective realties :An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university of new York press , 1997 ,P 4.

(٥) تمثلت أهداف البرامج الثقافية فى السجون بالتالي:

محو الأمية إذا وجدت، حيث يكلف كادر متعلم، أو أكثر بتدريس الأمى حتى يستطيع الاعتماد على نفسه، ومن الأسرى من دخل " أمى لا يعرف القراءة والكتابة " وخرج يحمل شهادات عليا أو على درجة عالية من الثقافة.

محو الأمية السياسية، حيث يترتب لهذا الغرض البرامج الثقافية، آخذة بعين الاعتبار المستوى الثقافى للمعتقلين، وتتخصصفى هذا المجال جلسات مصغرة للجدد، للنهوض بوعيهم السياسى عدا الجلسات العامة.

تقوية الانتماء الوطنى عبر الجلسات الخاصة بتاريخ القضية الفلسطينية، والحركة الصهيونية، وحركات التحرر العالمية، وجلسات لتقوية الانتماء الحزبى بما ينسجم مع أفكار كل فصيل.

خامساً-الوسائل الثقافية:

١- الجلسات:

تعد الجلسات في السجون والمعتقلات الإسرائيلية بمثابة البارومیتر لقياس قوة الحركة الأسيرة، والأوضاع الداخلية للفصائل الفلسطينية، ولمدى اهتمام المعتقلين كأشخاص بذواتهم، فأينما تواجدت الجلسات الثقافية، والتعليمية، والإدارية، والأمنية، على صعيد السجن، والتنظيم، والأسرى بشكل تطوعي، تواجدت بمعيتها الصلابة، والعافية، والقوة التنظيمية، والعكس صحيح.

قضى المعتقلون الفلسطينيون الكثير من وقتهم اليومي في الجلسات الثقافية، فقد كانت جلسة الصباح تعتبر بمثابة جلسة تنظيمية تبدأ بالقسم ولذلك كان حضورها إجباري لجميع أبناء التنظيم بغض النظر عن مراتبهم التنظيمية أو وعيهم، أما جلسات المساء فكانت للنشاطات العلمية فهي اختيارية حسب تسجيل المعتقل لأي نشاط معين[٢] .

٢- المطالعة الذاتية:

اهتم الأسرى بشكل كبير بالمطالعة مع دخول الكتاب السجون، وتنوع الكتاب في المكتبات، هذا التنوع الذي أشبع ميول واهتمامات آلاف الأسرى ممن دخلوا السجون، وأبحروا في مكتباتها وتخصصوا في علومها، ولقد شجعت الحركة الأسيرة القراءة الذاتية، فخصصت في كثير

عقد جلسات التحليل السياسى فى أعقاب متابعة آخر المستجدات على الساحة السياسية " الفلسطينية والعربية والدولية " وتخصيصجلسة أسبوعية لمناقشة أبرز القضايا، الأمر الذى يحفز المعتقلين على المواظبة اليومية على قراءة الصحف، والاستماع للنشرات الإخبارية، ولنفس الغرض تعمم نشرات سياسية تصدرها اللجنة الثقافية.

تشجيع الحلقات الدراسية بكافة أنواعها، والتركيز على التاريخ السياسى، والتاريخ الاسلامى،، وشروط النهضة، وسنن الانتصارات، وظهور القوميات وتقلب الحضارات.

تشجيع تعلم اللغات " كالعبرية، والانجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية والروسية ".

تشجيع إعداد البحوث والدراسات، وإعداد المسابقات، والمنافسة فى أدب السجون بكافة أنواعه، وتدويره عبر المجلات التنظيمية والعامة.

عقد دورات التجويد والتلاوة، والتشجيع على حفظ القرآن الكريم، وقد حصل المجتازون لهذه الدورات، وحفظة القرآن الكريم على شهادات معترف فيها من وزارة الأوقاف والتربية والتعليم.

دورات فى مجالات أخرى: حيث كان يتم تنظيم دورات إختيارية فى النحو، والخطابة، والقاء المحاضرات، وإدارة التنظيم، والقيادة، والأمن، والفقه، والسيرة، والتاريخ، وإدارة المشاريع، والإسعافات الأولية، والخط العربى وغيرها.

(١) جهاد البطش: "المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية"، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي،٢٠٠٧، ص١٣٩.

(٢) جهاد البطش: مرجع سابق، ص١٤٥.

من السجون ساعة هدوء يومية للقراءة الذاتية، ومن الأسرى من استطاع أن يقرأ كتاباً أو روايةً في يوم واحد.

وبهذا صار الكتاب في حياة المعتقل الفلسطيني زاداً ثقافياً يومياً، لتسود القراءة والنقاش وتلخيصات الكتب والتعليق عليها في المجلات الاعتقالية والجلسات والحوارات الثنائية والجماعية، إلى أن ترسخت قاعدة عادة القراءة في المعتقلات، وأصبح المألوف، أن يلازم الكتاب المناضل المعتقل معظم ساعات يومه[١].

٣-المجلات:

أطلق بعض الكتاب على المجلات الاعتقالية مصطلح " الصحافة الاعتقالية " كون المجلات في السجون تقوم بدور الصحافة، ولها رئيس ولجنة تحرير ورقابة، ولقد صدرت "المجلات" في السجون بشكل منتظم أو متقطع، وتكتب بخط اليد، وعلى دفاتر يتم قصها وترتيبها لتأخذ أشكالاً جميلة، وتصدر بلوحات فنية من نتاجات فنانين معتقلين، ودرجت العادة أن تتضمن المجلات الاعتقالية، زوايا سياسية وتنظيمية وتربوية وأدبية واجتماعية ونضالية[٢].

ولقد أسهمت مجموعة من العوامل في التأسيس للصحافة الاعتقالية " المجلات"[٣] وبلورتها، منها: توافر الخبرات لدى المعتقلين، فقد أفرزت التجربة كفاءات ثقافية وفكرية وإبداعية وأفرزت أيضاً تخصصات، في السياسة والثقافة والفكر والاقتصاد... الخ، وفرة المواد السياسية والتنظيمية والثقافية المهربة من الفصائل في الخارج إلى المعتقلين معلومات أغنت الكتابة الصحفية ووضعت الكتاب في صورة ما يجري في الخارج[٤].

وعامًا بعد عام، بعد نضالات كلفت الأسرى الشهداء والمعاناة، والسماح باقتناء الأقلام الملونة والأوراق المسطرة والرسم، والألوان بأنواع متعددة زيتية ومائية وخشبية وغيرها، والسماح بالدباسات والصمغ، والقرطاسيات، ومع تقدم الخبرة عدد من الكتاب، والمفكرين والإعلاميين،

---

(١) حسن عبد الله: ، مرجع سابق، ص٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٣) ذكرت شهادات الأسرى أن الأسير فاضل يونس، كان من رواد الحركة الأدبية فى السجون، وكان أول من اخترع " مجلة السجن "، وذلك فى العام ١٩٧١، حيث لم يكن لدى المعتقلين أوراق أو أقلام، ولكن فاضل يونس، كان يلجأ إلى الأوراق الملفوفة على علب اللبن، ينظفها ويلصقها على الحائط، ليعمل منها مجلة متواضعة، وهذه المجلة المتواضعة بشكلها وموادها، كانت عنصر إثارة وتشويق، وكسرت الركود والروتين اليومى فى حياة المعتقلين. وفتحت عيونهم على الجانب الثقافى الذى كان شبه مهمل قبل صدورها.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٠.

وبرز على فترات، الصحافيين، والشعراء، والروائيين، والرسامين، فأبدعوا إبداعات رائعة تعالج قضايا الوطن على هذا الصعيد [١].

وتطورت في المعتقلات مجلات تنظيمية مختلفة تعنى بمختلف النواحي الثقافية، والتطورات السياسية، والمبادىء الحزبية والفصائلية، وقد عمد المعتقلون إلى تطويرها من أجل التعبير عن مواقفهم وتصوراتهم وعن الأبعاد والأسس التي كانت تحكمها، وكذلك من أجل صياغة تحليلات سياسية أو اقتصادية لم تتطرق الجلسات إليها أو طرقتها بدون تفصيل أو دون الأخذ بمختلف وجهات النظر [٢].

٤-الفنون:

تجشم الأسرى كجماعة منظمة أخضعت لشروط حرمان رهيبة الكد المضني، وبذلوا جهوداً جبارة في محيطهم المادي، واستنبطوا منه الوسائل التي تساعدهم على التعبير عن أحاسيسهم وأفكارهم، وتحويلها إلى خطوط تشكل المادة المختارة لتغدو قطعة فنية تتجلى فيها القدرة الإبداعية الطالعة من أتون الحرمان النفسي والاجتماعي[٣]، فامتاز المعتقلون في كل السجون بالأشغال اليدوية التي تسمح ظروفهم بإنتاجها، والتي تتحكم في ذلك عوامل البيئة وطبيعة المكان إضافة إلى العامل الزمني، كغيرها من المظاهر الثقافية فقد كان إبداع المعتقلين يزيد مع الزيادة التي تطرأ على تطور النشاط الثقافي بشكل عام [٤]، فالذي عاش التجربة الاعتقالية، لابد وأن يتذكر أولئك الفنانين الرائعين، مجموعة كسرت بأقلام مهربة وبقطع من القماش انتزعت من ملابس المعتقلين الخاصة، كسرت أقفال الأبواب الحديدية الثقيلة وحلقت في عالم الإبداع، وأكدت أن الحرية هي معرفة بالضرورة، وأن الفنان بمقدوره أن يكون طليقاً حراً يرفرف بجناحيه الإبداعيين حتى لو أدمى القيد معصميه [٥].

كما مارس المعتقلون الفلسطينيون مهارة الرسم التي ابتدأت من الرسم على جدران الزنزانة انتهاءً بالرسم الملون على المناديل والمتتبع لهذه الرسوم يجد أنها تتعلق بعدة مواضيع أهمها

---

(١) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة ، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص١٠٤.

(٣) سلمان جاد الله: ، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٤) جهاد البطش: مرجع سابق، ص١٤٨.

(٥) المركز الفلسطينى لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص٢٢.

المرأة، وأسوار القدس وقبة الصخرة [١]، والقضبان الحديدية، وكانت نجاعة وطبيعة الألوان من أهم السمات التي يمكن أن نربطها بعامل الزمن ابتداءً من بداية السبعينات [٢]، حيث إن المعتقلين حصلوا على مواد الرسم خاصة الألوان والمناديل أثناء وضعها في مطالبهم في الإضرابات عن الطعام [٣].

واتخذ الإبداع خلف القضبان أنماطاً عديدة[٤]، منها صناعة المراكب ذات الأشرعة، ومجسمات قبة الصخرة، ومزهريات الزهور، والبراويز، وأعمال التطريز، وتجليد الدفاتر بالمطرزات للمذكرات والتي صنعت من (الغراء والكرتون المقوى وخيوط الحرير وعبوات معجون الأسنان، وقد بدأ الأسرى الفلسطينيون يمارسون هذه الأنماط الإبداعية منذ منتصف السبعينيات[٥]، وتطورت مع السماح للمعتقلين بإدخال أو شراء أدوات صناعة التحف عبر الأهالي ومن الكانتين [٦]، كما أن إبداعات الحركة الوطنية الأسيرة التي جلبت الانتباه وحازت على الإعجاب، وأهديت إلى القائد الأممي الرئيس الكوبي فيدل كاسترو[٧].

---

(١) أنظر ملحق تحف وفنون خرجت من السجون: ص٢٩٣ .

(٢) اشتهر معتقلو سجن بئر السبع بالأعمال الفنية في وقت مبكر عن بقية السجون نظراً للخبرة التي اكتسبوها من مرافق العمل في السجن والتي افتتحت فور افتتاح السجن، وكذلك استخدام المركز اليهودي للفنون للمعتقلين في العمل كأيدي عاملة في عمل أشكال خشبية وطلائها لصالح المركز(٢)، على أن العامل الأهم هو توفر مواد نشاط الأشغال اليدوية – حسب طبيعة المنطقةففي سجن بئر السبع توفر الحرير والحجر الذي كان يأخذه المعتقلون من ساحة الفسحة، وخشب النجارة.

(٣) جهاد البطش: مرجع سابق، ص١٤٩.

(٤) نحت الأسرى عجم الزيتون ولونوه بالأصفر والبني بعد أن أوجدوا هذه الألوان من إذابة بعض أقراصالدواء بالماء والزيت، كما صنعوا عقد الزينة من الخرز، وحفروا على عجم (الأفوكاتو)، كما حفروا على علب (الدمينو) (٤)، وقد امتاز المعتقلون في الحفر على حجارة الصخر الصغيرة في تعبيرات لزوجاتهم وأطفالهم، وقد كانت تحفة " العالم لنا " المحفورة على الرخام للفنان الأسير " على النجار ".

(٥) سامى الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص٦٨.

(٦) جدير بالذكر أن للباحث تجربة فى هذا المجال، إذ أنه تعلم " الخط الكوفى " فى العام ١٩٩٢ وأتقنه، ورغم انشغاله الدائم بالثقافة والمطالعة، وتعلم اللغات، والتعليم الجامعى، إلا أنه كان عنواناً للأسرى أينما حل فى السجون لكتابة أول آية من سورة الإسراء على " مجسم قبة الصخرة "، ورسم عشرات بل مئات البطاقات التى زينت بالورود والعصافير، كبطاقات معايدة للأمهات والزوجات فى يوم الأم والأعياد.

(٧) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص١٤٤.

في نهاية القسم نرى أن الأسرى تميزوا بعشقهم للجمال، كما عشقهم للوطن الذين ضحوا بزهرات شبابهم لتحريره، وأنهم حملوا قلباً وحباً كفيلاً بقلب العالم إلى واحة حب وسلام، وأنهم اهتموا في سجنهم بكل ما هو جميل، ويعوض واقع الحرمان والجمود الذي فرضته إدارة السجون عليهم برسومات الزهور والطيور والرموز المعبرة عن الحب والحرية والحياة.

لقد استطاعت الحركة الوطنية الأسيرة من خلال مسيرتها الثقافية أن تخرج الكثير من المناضلين الأشاوس والمقاومين الأشداء، الذين كانوا جنوداً للوطن، ووقوداً للثورة، وخرجت القادة السياسيين، الأفذاذ الذين كانت لهم أدوار كبيرة ولافتة ومؤثرة في قيادة الجماهير الفلسطينية، بالإضافة إلى مئات القادة من ذوي الخبرة والكفاءة، وبذا فقد شكلت السجون رافداً مهماً وأساسياً للثورة، وبناء الوطن والدولة، ولم يكن لكل هذا أن يتحقق لولا الإرادة والعزيمة التي تحلى بها الأسرى، والخطوات النضالية التي خاضوها، والإضرابات عن الطعام والتضحيات الجسام التي قدموها [1].

(١) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٠٥ .

القسم الثالث

المسيرة التعليمية في السجون

"الحفلة انتهت" هذه عبارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في أعقاب سياسة التضييق على الأسرى، التي بدأها بمنع الثانوية العامة، والانتساب للجامعة المفتوحة في إسرائيل في الثالث والعشرين من حزيران ٢٠٠١م، الأمر الذي شكل عدواناً على المعتقلين وانتهاكاً للمادة ٢٨ من اتفاقية جنيف الثالثة التي أكدت على تشجيع الأنشطة الذهنية والتعليمية للأسرى من قبل الدولة الحاجزة [١].

لا يقف الأمر على عدم التزام إسرائيل بتلك الاتفاقيات، بل تعدت ذلك بمحاربة وعرقلة تلك الجهود بمنع إدخال الكتب التعليمية بكل مراحلها، ورفضت توفير القاعات والصفوف الدراسية، وعاقبت من يقوم بالدروس والمحاضرات، ومنعت دخول الكتب المنهجية والمجلات والأبحاث والدراسات العلمية، ومنعت الالتحاق بأي مدارس أو جامعات أو مؤسسات تعليمية أو أكاديمية، ومنعت إيجاد معلمين من الأسرى الفلسطينيين للأشبال القاصرين، ومنعت الأدوات الدراسية والقرطاسيات والألواح، وقامت بالكثير من الخطوات التي تهدف لتجهيل الأسرى وعدم الاستفادة من أوقاتهم [٢].

وبالرغم من الظروف القاسية والمضايقات المريرة في السجون، نجح الأسرى بإصرارهم وتضحياتهم ونضالهم المستمر، تدريجياً وبشكل تراكمي في تحويل السجون والمعتقلات الإسرائيلية من محنة إلى منحة يستفاد منها، ومن مدافن للرجال والطاقات، وأمكنة مظلمة، إلى قلاع ثورية مشرقة، وجعلوا من سجونهم مدارس وجامعات فكرية متعددة ومتنوعة، خرجت أجيالاً متعاقبة من المتعلمين والمثقفين ومن حفظة القرآن والمبدعين [٣].

في هذا القسم سنتناول الخطوات النضالية التي انتصرت على القيد بتحقيق الحد الأدنى من المتطلبات والاحتياجات، وصولاً للانتساب للجامعات الفلسطينية والعربية والدولية، وأشكال التعليم في السجون، بدءاً ببرامج محو الأمية حتى الحصول على الدراسات العليا، وتعلم اللغات وعلى رأسها "العبرية والإنجليزية"، وشكل الجلسات وحلقات العلم والدراسة في القرآن والعلوم الأخرى.

---

(١) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص١٣.

(٢) مركز الميزان لحقوق الانسان: مرجع سابق، ص٣٦ – ٣٧.

(٣) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٠٥ .

كثيرة هي الوسائل التعليمية التي اتبعها الأسرى في السجون تحدياً للسجان، حتى حولوا مفهوم السجن من بديل لحبل المشنقة إلى أكاديمية ثورية وفكرية وتربوية وتعليمية من خلالها يتم تكريس ثقافة الحق الفلسطيني في وجه الظلم الإسرائيلي، في ذلك الصراع الأشد بين الجدران والزنازين، حيث يقاتل الجسد والوعي معاً، في اشتباك فكري يومي دفاعاً عن الأمل والبقاء والحرية[١]، وعلى الصعيد التعليمي فهنالك مفاصل أساسية استطاع الأسرى تحقيق نجاحات ملفتة ومبدعة فيها ومنها:

أولاً–محو الأمية:

اعتقل في السجون الإسرائيلية ما يقارب من المليون من كل شرائح المجتمع الفلسطيني من حملة الشهادات العليا والمثقفين والأكاديميين والموظفين، ومنهم من طبقة الفلاحين والصيادين ومن رعاة الأغنام في القرى النائية والبادية ممن خرجوا من المدارس في سن مبكرة، والأطفال بعمر ١٤ عام وأقل، والأسيرات من ربات البيوت والقاصرات، ممن هن بحاجة للبدء معهم من المراحل الأساسية للتعليم، حتى من مرحلة محو الأمية.

ركزت اللجان الثقافية في السجون على متابعة تلك الشريحة على قلتها، وكلفت الكوادر المتعلمة[٢] ذات القدرة والكفاءة بتدريسهم من خلال جلسات جانبية، واستطاعت الحركة الأسيرة أن تقضي على هذه الظاهرة من خلال التشجيع [٣]، وأحياناً الإجبار للاعتماد على ذواتهم

(١) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: ص١١.

(٢) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) وهنالك نماذج إبداعية مرت بتلك المرحلة وكان لها الأثر الكبير فى قضية الأسرى بعد التحرر أمثال مدير عام مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة فى جامعة القدس – أبو ديس الدكتور فهد أبو الحاج الذى دخل السجون أمياً، حتى حصل درجة الدكتوراة، وقال فى كلمته فى افتتاح مؤتمر إبداعات انتصرت على القيد فى الخامس والعشرين من العام ٢٠١١ " زج بى أمياً خلف القضبان، لكنى وجدت فى التجربة محركاً ودافعاً لكى استثمر سنوات الاعتقال فى تطوير إمكانياتى وقدراتى، فاستكملت كل البرامج والمقررات الدراسية، لأتخرج وألتحق بالجامعة وها أنا أنجزت رسالة الدكتوراة، وأعترف لولا تجربة الاعتقال لما تسنى لى تحقيق كل ذلك، وأقف أمامكم لأعبر عن إمتنانى لكل من علمنى حرفاً أو أبدى لى مشورة أو نصيحة فى الاعتقال.

نموذج آخر المناضلة المرحومة زكية شموط التي قامت قبل أن تُعتقل بـ ٧ عمليات فدائية كبيرة كبدت اسرائيل خسائر مادية وبشرية ضخمة، من الستينات وحتى عام ١٩٧٢ يوم تم اعتقالها(٣)، التى حوكمت بالمؤبد مدى الحياة وتم الافراج عنها فى تبادل ١٩٨٥م، دخلت السجن أمية ولكنها تعلمت بمساعدة رفيقاتها المناضلات فى سجن نفى تريتسا بسجن الرملة، ووصلت إلى الصف الخامس ابتدائى فى فترة وجيزة (٣) .

ومن طرائف السجن فى برنامج محو الأمية قصة معتقل بدوى، بدأ ببرنامج التعليم من ألف باء، كان يقول له معلمه الأسير (ج) و (م)، فيقول: جم، فيتابع معه المعلم: و (م) فيقول: بطرافة بعير، ولكنه تعلم العربية والعبرية والانجليزية وعلمها للأخرين من المعتقلين.

وتطويرها خلال سنوات الاعتقال الطويلة، وهكذا تحولت غرف السجون إلى صفوف دراسية وثقافية، فاهتم الأسرى بتحصيلهم الدراسي[١].

ثانياً–منجزات اعتقالية لتحصيل شهادة الثانوية:

بدأ تقديم امتحان الثانوية العامة " التوجيهي " في بعض السجون في العام ١٩٧١م، واشترطت حينها إدارة السجون أن يمضي الأسير أكثر من عام في الاعتقال، ورفضت إدارة سجن عسقلان منح الموافقة لغير العاملين في المرافق العامة لنيل الموافقة، الأمر الذي اعتبره الأسرى نوع من الابتزاز وقرروا اتخاذ موقف جماعي بمقاطعة الامتحانات[٢]، وعلى صعيد الأسيرات ربطت إدارة المعتقل بين سلوك المعتقلة وبين إعطاءها الحق في تقديم امتحانات الثانوية العامة ووضعت العراقيل من أجل تعطيل الأمر [٣].

ومع ذلك استطاع الأسرى والأسيرات بعد العديد من الإضرابات المفتوحة عن الطعام من انتزاع حقهم في التعليم وفقاً للنظام التعليمي خارج السجون، ونجح الآلاف منهم وحصلوا على أكثر من شهادة للثانوية العامة [٤] في الفرعين " العلمي والأدبي" خلال اعتقالهم.

في السابع عشر من مارس ٢٠٠٩م قررت الحكومة الإسرائيلية، في سياق الجهود للإفراج عن الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، بمناقشة عدد من الاقتراحات للتضييق على الأسرى الأمنيين المسجونين في إسرائيل، كوسيلة للضغط على حركة حماس، وتم تعيين لجنة لهذا الغرض برئاسة وزير الأمن الداخلي، ووزير الزراعة، ونائب رئيس الوزراء، على أن تقوم اللجنة بتقديم عدد من الخطوات على هذا الصعيد، كوقف الزيارات، ووقف زيارات منظمة الصليب الأحمر الدولي للأسرى الفلسطينيين حتى السماح بزيارة الصليب للجندي شاليط، ووقف تحويل الأموال لحسابات الأسرى، وتقنين المشتريات عن طريق كانتين السجن، ووقف القنوات الفضائية ووسائل الترفيه، ووقف زيارة المحامين والمؤسسات الأخرى باستثناء زيارة المحامي الخاص الموكل في القضية للأسير[٥].

---

(١) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص٢١.

(٢) محمد لطفى ياسين: مرجع سابق، ص١١١.

(٣) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص١٩٦.

(٤) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٠٤ .

(٥) רונן יניב: אסירים ביטחוניים בבתי כלא בישראל , מרכז המחקר והמידע בכנסת , ירושלים ,2009 , עמ" 11.

ومن إجراءات التضييق أوقفت إسرائيل المسيرة التعليمية في السجون وعلى رأسها منع الثانوية العامة، إلا أن الأطراف الثلاثة الرئيسية (الأسرى وهيئة شؤون الأسرى والمحررين ووزارة التربية والتعليم العالي)، وضمن منظومة متكاملة من الخطوات والإجراءات المدروسة نجحوا في تجاوز الرفض الإسرائيلي وتخطي المعيقات الموضوعية، بما لا يتعارض والنظام التعليمي في فلسطين، فاتفقوا على نظام يضمن التعليم، ومصداقية وشفافية الامتحانات برقابة مشرفين أكفاء من الأسرى في الأقسام، عبر لجنة يتم تشكيلها من قبل قيادة الأسرى مكونة من أسرى أكاديميين يحملون شهادات عليا تقدم أسماءهم وشهاداتهم هيئة شئون الأسرى والمحررين لوزارة التربية والتعليم العالي والتي تقوم باعتمادهم كلجنة امتحانات مهمتها إعداد وتجهيز الامتحانات والتصليح والمراقبة ووضع العلامات والنتائج، وترسل النتائج عبر مسؤول اللجنة داخل السجن الى هيئة شؤون الأسرى والمحررين والتي بدورها ترسل النتائج إلى التربية والتعليم للمصادقة عليها واعتمادها [١]، وبموجب هذا الاتفاق تم تقديم امتحانات الثانوية العامة في السجون التي توافر فيها المشرفون للعام ٢٠١٤م، حيث من تقدم للامتحانات ١٢٠٠ طالب أسير، نجح منهم ٤١١ طالب أسير، و ٣٢١ أسير لم تنطبق عليهم الشروط التي وضعتها وزارة التربية والتعليم، والباقي لم يحالفهم الحظ بالنجاح وفق مدير بنامج التعليم في هيئة شؤون الأسرى وائل السعدوني[٢]، و في العام ٢٠١٥م تقدم للامتحانات (٩٦٢) طالب أسير نجح منهم (٦٦٥) [٣]، من ضمنهم ٣٠ أسيراً من أصل ٥٨ من أسرى قطاع غزة، وبهذا لم تتوقف المسيرة التعليمية في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ عقود وبقيت مستمرة رغم أنف السجان [٤].

ثالثاً–خطوات نضالية تحقق طموح الدراسات الأكاديمة:

تطلع الأسرى بالكثير من الشغف والطموح لتحقيق مطلب الانتساب والتعليم في الجامعات، والحصول على شهادات تنفعهم بعد تحررهم، وتكون مادة لتحدي السجان للاستفادة من سنين اعتقالهم بالنافع المفيد، وكانوا على استعداد للدخول في أكثر المعارك شراسة مع المحتل ولو كلفهم الأمر ما كلف من أجل تحقيق هذا الطموح، وكانت المعركة الأقوى مع الاحتلال بخطوة الاضراب المفتوح عن الطعام في ١٩٩٢/٩/٢٧م، والتي استغلها الأسرى لطرح قضية التعليم الجامعي والانتساب للجامعات الفلسطينية والعربية والدولية، وفي نهاية المطاف

(١) بسام المجدلاوى: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/١١/١٩.

(٢) وائل السعدونى: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/٧/١٩.

(٣) عبد الناصرعونى فروانة: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة ،٢٠١٥/١١/١٧.

(٤) عاطف مرعى: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/١١/١٩.

وبعد رفض قاطع من قبل إدارة السجون لمبررات واهية تتعلق بالكيفية في تنظيم الأمر، والمناهج الدراسية التحريضية من وجهة نظرهم، كان هنالك حل وسط بالسماح للأسرى الانتساب إلى الجامعة المفتوحة في إسرائيل باللغة العبرية وتخرج العشرات من تلك الجامعة معظمهم تحول لخبير في الشأن الاسرائيلى ، ومعلم للغة العبرية ما بعد الافراج .

ومع حرمان الأسرى من التعليم بالجامعات عموماً حتى الجامعة المفتوحة في إسرائيل في أعقاب سن قانون شاليط في ٢٠١٠/٥/٢٦م، بحث الأسرى عن بدائل سرية من غير موافقة إدارة مصلحة السجون للانتساب للجامعات الفلسطينية، وبعد الكثير من المراسلات وافقت بعض الجامعات والكليات على دراسة الأسرى شريطة إيجاد نظام داخلي في السجون يضمن شفافية ومصداقية التعليم تحت إشراف عدد من الأسرى من حملة الشهادات العليا.

القفزة النوعية في التعليم الجامعي يوم أن استطاع الأسرى إدخال المقررات الدراسية، بعد موافقة بعض الجامعات الفلسطينية على التعليم بوجود طواقم من الأكاديميين من بين الأسرى كمشرفين على العملية التعليمية وتقديم الثانوية العامة بموافقة وزارة التربية والتعليم العالي، وبتنسيق من وزارة وهيئة شؤون الأسرى والمحررين فترة الانقسام.

لم يكتف الأسرى بالحصول على شهادة البكالوريوس بل سعوا للحصول على الدراسات العليا من جامعات فلسطينية وعربية ودولية، وذلك بعد حملة مراسلات معتمداً على مساعدة الأهل والمحامين والمؤسسات الحقوقية المختلفة، حتى تجاوبت معهم بعض الجامعات العربية والدولية، وقدر لرسائلهم أن تولد في الخفاء [١]كما عاشت سنوات في طي الكتمان بسبب محاربة إدارة السجون لتلك الظاهرة، ومنهم من تمت مناقشة رسائلهم عبر الهواتف النقالة المهربة [٢].

---

(١) وحصل الأسير ناصر عبد الله عبد الجواد من بلدة دير بلوط قرب نابلس على شهادة الدكتوراة الجامعة الأمريكية المفتوحة فى واشنطن، وكانت رسالته بعنوان " نظرية التسامح مع غير المسلمين فى المجتمع المسلم " فى العام ١٩٩٧ م، وحصل الأسير القائد مروان البرغوثى على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية بتاريخ ٢٠١٠/٣/١٦، من معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية في القاهرة، وترأس لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أحمد يوسف عميد المعهد وأستاذ العلوم السياسية، والأستاذة الدكتورة نيفين مسعد، والأستاذ الدكتور علي الجرباوي، والتى كانت بعنوان " الأداء التشريعي والرقابي والسياسي للمجلس التشريعي الفلسطيني وإسهامه في العملية الديمقراطية في فلسطين ١٩٩٦-٢٠٠٨".

وحصل كلاً من الأسيرين إياد أبو خيزران و قاسم عواد على شهادة البكالوريوس من جامعة العالم الأمريكية عام ٢٠١٠، وحصل الأسير عبد الحافظ سعدى غيظان على شهادة الدكتوراة في الإدارة العامة من جامعة العالم بالتنسيق مع جامعة بئر زيت بشهر فى أيلول لعام ٢٠١٠، وحصل الأسير حاتم قفيشة على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة العالم الأميركية بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف على رسالته التى كانت بعنوان "تآكل قوة الردع الإسرائيلية"، وقد أتم إعدادها داخل معتقل النقب الصحراوي.

(٢) ابراهيم أبو الهيجا: المنسيون فى غياهب الاعتقال الصهيونى، مصر، الجيزة، مركز الاعلام العربى، ٢٠٠٤: ص١٥٥.

في نهاية القسم نؤكد أن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أولت أهمية كبيرة لتعليم الأسرى في السجون لكل المراحل وجميع المستويات، فالتّعليم في ثقافة الأسرى يعد الحاضنة الأولى للإبداع على كافّة الصعد " الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والعسكريّة " وفي كافة المجالات الأخرى، فهو أحد أشكال المقاومة التي تصقل قدرة المناضل لمواجهة السياسيات التجهيلية نحوه، فالتعليم والتوسع في المعارف والثقافات لدى المعتقلين يعدوا أهم الأسلحة بعد الاعتقال، فاهتمام الأسرى بالتعليم يشغل وقت المعتقلين بالمنفعة في الكثير من الجوانب التربوية والتنموية، وفي الاطلاع على الحضارات والثقافات والتجارب النضالية العالمية، والالتحاق بعد التحرر بالجامعات للحصول على الشهادات في الدراسات العليا، ويضمن مستقبل المعتقل على صعيد العمل والمكانة الاجتماعية والتنظيمة.

تدريب

- أكتب تقريراً عن أسير دخل السجون لم يحمل شهادة الثانوية العامة وتحرر منها حاملاً الشهادات العليا ؟؟

أسئلة التقويم الذاتي :

- ما هي أبرز أشكال ممارسة الديمقراطية للأسرى والمعتقلين في السجون الاسرائيلية ؟؟
- ما هو انعكاس ممارسة الديمقراطية الاعتقالية في اتخاذ القرارات لمواجهة السجان ؟؟
- ما هو أدب السجون ؟ وأجناسه ؟
- من خلال المراجع والمقابلات مع المحررين، تحدث عن المجلات الثقافية الاعتقالية في السجون.
- كيف بدأت وتطورت المسيرة الثقافية في السجون ؟
- بين عمليات التضييق على الأسرى في الجانب التعليمي ؟
- ما هى أبرز أنواع الفنون داخل السجون؟

الخلاصة

في نهاية الوحدة يعتقد نجد أن كل مخططات إدارة مصلحة السجون تحطمت على صخرة العلم والوعي والثقافة التي تسلح بها الأسرى منذ لحظة الاعتقال، وفشلت في تحويلهم إلى عبء يثقل كاهل المجتمع بعد تحريرهم، واستطاع عموم الأسرى أن يبنوا ذواتهم ثقافياً وأكاديمياً، وخرجوا من السجون والمعتقلات كوادر تنظيمية تملك تجربة نضالية واعتقالية أكثر من ذي قبل، وقادة سياسيين وعسكريين فهموا حقيقة عدوهم بأكثر وعي وحكمة ودراية وعمق، وشاركوا في مجتمعاتهم كخبراء ومختصين، وكتاب وأدباء وصحفيين، فانخرطوا في المؤسسات الرسمية والأهلية والفصائل الوطنية، قادة ومفكرين، وأمناء لتنظيماتهم وأعضاء مجلس وطني ووزراء حكوميين.

ولابد من الإشارة أنه لم يقصد من خلال هذه الوحدة االقول بأن كل المعتقلين على الإطلاق يخرجون من المعتقل بذات المستوى من الكفاءة في ممارسة مبادىء الديمقراطية والقدرة الثقافية، والإمكانيات العلمية والأكاديمية، فهنالك من رغبوا عن المشاركة الفعالة بنفس الهمة، ولكن

بـالعموم خرَّجـت المعتقلات أنـاسـاً قـادرين ومبـدعين سـاهموا فـي عمليـة النضـال الفلسـطيني فـي مختلف المجالات وعلى كل المستويات [١].

لمحة عن الوحدة الدراسية الرابعة :

بعد أن اطلعت عزيزي الدارس على التجربة الديمقراطية في السجون، بداياتها، وممارستها على الصعيدين الفردي والجماعي وأشكال الرقابة والمساءلة والمحاسبة في السجون.

المسيرة الثقافية في السجون وتطورها ووسائلها، فإنك في الوحدة الرابعة ستتعرف على شكل البنى التنظيمية والهياكل والمؤسسات الاعتقالية، والوسائل النضالية للأسرى الفلسطينيين في مواجهة السجان ، والإضرابات المفتوحة عن الطعام كخطوة سلمية استراتيجية مهمة لتحقيق الحقوق والمطالب الأساسية والإنسانية في السجون الإسرائيلية .

مسرد المصطلحات

- **الديمقراطية :** بشكل عام تعني حق الشعب في ممارسة السلطة في الدولة باعتباره صاحب السيادة، والتعريف المبسط للديمقراطية هو " حكم الشعب "[٢]، وفي هذا المجال قال الفيلسوف لينكولن أن "الديمقراطية " هي حكم الشعب بقيادة الشعب لخدمة الشعب [٣]، ولا تبعد دوائر المعارف والقواميس عن هذا التعريف، فالقاموس السياسي الأمريكي يذهب إلى أن الديمقراطية هي نظام للحكومة تمارس فيه السلطة السياسية بواسطة الشعب[٤]، ويرجع أصل كلمة " الديمقراطية " من الناحية اللفظية في الأساس كلمة يونانية مركبة من جزأين، الجزء الأول Demos وتعني الشعب، والجزء الثاني Kratos وتعني حكم أو سلطة [٥] .

---

(١) عبد الستار قاسم: مرجع سابق، ص١٩٨.

(٢) רות חיים יהודה : שלטון העם על ידי העם، יבנה، תלאביב ،١٩٤٩، עמ" ٩.

(٣) طلال أبو عفيفة: الدبلوماسية والاستراتيجية فى السياسة الفلسطينية، بدون مكان ودار نشر، ١٩٩٧، ص٦٢٥.

(4) Jack Plano and Millon green berg (eds,) ,The American Political Dicttionary (New York: Halt Rinehart and Winston Ihc , 1967) PP.6.

(5) Philip P.Wieiner ,Dicttionary of the History of Ideas (New York ,Charles Seribners Sons,1973) ,PP.652.

- **أدب السجون:** هو أحد أشكال إبداعات الأسرى، وكل ما أنتجوه عبر هذه المسيرة النضالية والجماعية الطويلة، هذا النتاج الفكري والأدبي[١] الذي عكس أبعاد هذه الظاهرة وجوهرها وعبَّر عن مضمونها الإنساني وتفوقها الأخلاقي وهويتها عبر رموز ولغة حيَّة وإيماءات ونصوص وأشكال تعبير وملامح خاصة وهوية إنسانية مميزة [٢].
- **الجلسة:** تطلق على إجراء وتقليد أصيل لدى الأسرى، حيث يجتمع الأسرى بموجبه على شكل حلقات صغيرة داخل الغرف أو الزنازين أو في ساحة النزهة لمناقشة مواضيع ثقافية أو سياسية أو أمور داخلية، وهي أشبه بالحصة المدرسية أو المحاضرة الجامعية وهناك جلسات خاصة لكل تنظيم وجلسات مشتركة وتمتاز بالالتزام والدقة في مواعيدها[٣].

- **الكبسولة:** مشتقة من الكلمة الانجليزية " capsule" أي الوعاء البلاستيكي الذي يوضع فيه الدواء ويكون رقيقاً ومحكم الإغلاق [٤]ومكتوب على ورق رقيق بخط صغير جدًا[٥] ولا يتم هضمه في حال بلعه كونه ملفوف ومتقن بالنايلون الشفاف، ويتم إغلاقها بواسطة التسخين على لهب بسيط ويتم وضع عنوان المادة المكتوبة على ظهر الكبسولة وتستخدم لنقل المادة المكتوبة من سجن لآخر أو للخارج عبر وضعها في الفم والمعدة [٦].

(١) "أدب السجون " كل ما كتبه الأسرى عن السجن وغيره داخل الإعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة.

(٢) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص٧٤.

(٣) عيسى قراقع: الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية ١٩٩٣-١٩٩٩م، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بير زيت ٢٠٠٠م، صXIII.

(٤) جمعية الأسرى والمحررين: الأسرى الفلسطينيون وجبروت التعذيب الاسرائيلى فى السجون الاسرائيلية، غزة، فلسطين، مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات، ٢٠٠٥، ص١٢.

(٥) أنظر ملحق شكل الرسائل التى تخرج من السجون : ص٢٨٨ .

(٦) عيسى قراقع: مرجع سابق، صXIV

الوحدة الرابعة

البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة الاحتلال

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

أهلاً بك عزيزي الدارس في الوحدة الرابعة " البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة الاحتلال " من مقرر " تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة " ، الوحدة تتناول قضايا مألوفة لدى الطلبة المحررين والمتضامنين مع الأسرى كونها تتناول كيفية اتخاذ القرار واللجان العاملة في السجون، والخطوات النضالية، والإضرابات المفتوحة عن الطعام، وتزودك بالمعرفة الضرورية لفهم طبيعة المعركة والمعادلة القائمة ما بين الأسرى والمعتقلين وإدارة مصلحة السجون الاسرائيلية .

عملت الحركة الأسيرة على تشكيل البنى الاجتماعية، التي تعمل على ربط أعضاء الجماعة بعضهم ببعض، وكذلك بتحديد مجموعة القيم المعيارية المنتظمة التي تتحكم بسلوك الشخص داخل الجماعة والمجتمع الاعتقالي(١).

وقاموا ببناء المؤسسات الاعتقالية واللجان " كاللجنة الوطنية العامة، ولجنة الحوار، واللجان الاعتقالية والتنظيمية الخاصة " الخارجية والإدارية والمالية والأمنية والثقافية والقضائية وغيرها "، وأسسوا لعلاقات فصائلية قوية وتكاملية قائمة على الديمقراطية.

وامتلك الأسرى القدرة على التفكير والإبداع بما لا يتصوره عقل، حتى أن السجان كان يتفاجأ من ابتكاراتهم في جميع الميادين والمستويات، فرغم قلة الإمكان إلا أن الحاجة تبقى أم الإختراع والإبداع، فأبدع الأسرى على المستوى الفكري والثقافي والإداري والتنظيمي، بالإضافة إلى الإبداعات التي تتعلق بنمط الحياة اليومية، فأصبح الأسير يعيش في واقع منظم تحكمه قوانين ولوائح تنظم حياته الإدارية والثقافية والاجتماعية، وأهم إبداعات الأسرى على المستوى الاعتقالي هو إيجاد تفاهمات وقواعد متعارف عليها ينطلقون من خلالها في مواجهة السجان.

(١) محمد أبو شريعة: المصدر السابق، ص٥٢.

اشتملت الوحدة على ثلاثة أقسام " أولها: البنى التنظيمية والهياكل والمؤسسات الاعتقالية، والوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى، والإضرابات المفتوحة عن الطعام كأحد أهم الوسائل النضالية الاستراتيجية السلمية التي استخدمها الأسرى في نضالهم ضد السجان ".

أهلاً بك عزيزي الطالب مرة أخرى في وحدة " البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة الاحتلال "، ونأمل أن تشكل هذه الوحدة ركيزة أساسية لمعرفة أشكال المواجهة لوقف انتهاكات السجان بحق الأسرى والأسيرات في السجون، وحجم المعاناة التى يتعرضون لها على مدار فترة الاعتقال.

.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الطالب بعد دراستك لهذه الوحدة، والقيام بعدد من المقابلات مع الأسرى المحررين الذين خاضوا تجربة الاعتقال، والقيام بملخص عن الوحدة نأمل بأن تكون قادراً على أن :

تتعرف على :

- أهمية قيام المؤسسات الاعتقالية .
- مهام اللجان في السجون .
- قدرة الأسرى والمعتقلين على المواجهة وأماكن قوتهم وضعفهم.
- الفرق بين الخطوات النضالية المستخدمة .
- أهمية الإضرابات المفتوحة عن الطعام كسلاح فاعل في المواجهة .
- شكل المواجهة من قبل السجان لإفشال الاضرابات .
- أنواع الاضرابات المفتوحة عن الطعام من حيث المشاركين والأهداف .

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس تتكون الوحدة الرابعة " البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة الاحتلال " من ثلاثة أقسام رئيسية هى:

القسم الأول: البنى التنظيمية والهياكل والمؤسسات الاعتقالية.
القسم الثاني: الوسائل النضالية للأسرى الفلسطينيين في مواجهة السجان.
القسم الثالث: الإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس حاول أن تنوع مصادر معلوماتك من خلال مطالعة بعض الكتب والرسائل الأكاديمية التى تناولت حالة المواجهة ووسائل الأسرى والمؤسسات في السجون، وتابع أخبار الإضرابات الأخيرة وشكل التضامن والاتفاق بين الطرفين على المطالب من خلال المواقع الالكترونية، ونوصى بالمراجع التالية التى تتناول موضوعات الوحدة.

- أحمد أبو السعود: "ومضات من خلف القضبان"، غزة، وزارة الثقافة العامة، ٢٠١٤م.
- حلمي عنقاوي، المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، رام الله ، مطبعة الغد، ١٩٩٥م.
- عبد الحق شحادة: "التجربة النضالية لمعتقل عسقلان"، ط ٢، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ١٩٩٩.
- عيسى قراقع: "الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو ١٩٩٣-١٩٩٩"، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٠م.
- قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٩م.
- سلمان جاد الله:"أدب المواجهة"، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين،٢٠٠٠م .
- رأفت خليل حمدونة : الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين ١٩٨٥ إلى٢٠١٥م، القاهرة ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في قسم العلوم السياسية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ٢٠١٥م .
- محمد صبحة، فؤاد الخفش: "إضراب الكرامة"، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، ٢٠١٢م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة :

تحتاج عزيزي الدارس لجمع معلومات وتجربة حقيقية عن أشكال المواجهة والمؤسسات والإضرابات و إلى الحديث المفتوح مع أسير محرر من القدامى، ومن أمضى فترات طويلة في الاعتقال، وإلى القراءات المساعدة، واستخدام الشبكة العنكبوتية، واعتبار أسئلة الوحدة كأسئلة مقابلة مع الأسرى المحررين، واللقاءات بعدد مع المؤسسات العاملة والفاعلة في مجال الأسرى، وتهيئة الأجواء المريحة لك أثناء الدراسة.

القسم الأول

البنى التنظيمية والهياكل والمؤسسات الاعتقالية

مجتمع السجن عبارة عن مؤسسة ديناميكية تقوم على التفاعل، والاندماج والنشاط والحيوية، وعملت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة جاهدة على انخراط الأسرى الجدد ودمجهم في المجتمع الاعتقالي من خلال انتمائهم إلى الفصائل داخل السجن، حتى يتكيفوا مع الواقع الجديد بعد تجربة التحقيق القاسية [١]، ولعل ما ساعد هذا الاندماج طبيعة الإنسان المتميزة بكونها اجتماعية [٢]، وأن الذات الفردية لا يمكن أن تتكامل أو تعيش بمفردها، وأنها تتميز بقدرتها على التفاعل في مواقف الجماعة التي تنتمي إليها [٣].

ولذلك ممكن تفسير الظواهر والعلاقات الاجتماعية في السجون، الصادرة عن أنماط وسلوك الأفراد بداخله، على قاعدة أن المعايير هي التي تعطي للبناء الاجتماعي خاصية الثبات والتنظيم[٤]، تلك المعايير التي وضعتها الحركة الأسيرة في صيغة مواد مكتوبة، أو اتفاقيات شفهية تم التعارف عليها، أو دساتير ومواثيق ولوائح داخلية عامة وفصائلية، كأساس في تنظيم الحياة الاجتماعية الاعتقالية داخل السجن وللتفصيل أكثر.

- الهيكلية التنظيمية العامة لكل معتقل:

لقد تمكنت الحركة الاعتقالية خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية والوطنية، ووضعت لذاتها نظاماً داخلياً ضبط شؤون الأسرى بينهم وبين أنفسهم من جانب، وبينهم وبين إدارة مصلحة السجون من الجانب الآخر ،هذا النظام كان دقيقاً جداً لم يسمح لأحد التحدث باسم الأسرى إلا لمن ينتخب من قبل الأسرى أنفسهم، وشمل هذا النظام كل مناحي حياة الأسرى الأمنية والثقافية والخارجية والإدارية والمالية ووضع الضوابط لكل تفاصيل حياة الأسرى لحمايتهم وتطورهم على كل المستويات، هذا النظام حول السجن إلى مدينة فاضلة،

---

(١) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص٥١.

(٢) cooley, c: Human Nature and the Social Order New York, Schocken,1964,PP14

(٣) Mead ,G: Mind, Self and Society from Stand Point of A Social Behaviorist ,Chicago Univ ,Press 1962 , PP17.

(٤) Radeliff,Brown: Method in Social Anthropology,the universityof Chicago,1918,PP13.

بلا مصالح ولا شخصانية، بل غلّب الكل الاعتقالي فيه المصلحة الوطنية والاعتقالية على كل اعتبار[١].

١- اللجنة الوطنية العامة:

وتسمى باللجنة الوطنية العامة أو اللجنة النضالية العامة أو اللجنة الاعتقالية العامة، على اختلاف التسمية بين سجن وآخر مع تساوي في الدور والمضمون، وهي لجنة تعمل وفق لائحة متفق عليها بين الفصائل الموجودة في المعتقل، وتشرف على الاحتفالات العامة، وعلى الاتصال في مواقع الأسرى الأخرى في الشؤون الاعتقالية العامة، وعلى إصدار البيانات الجماهيرية، والبيانات الاعتقالية الجماعية، ويقع ضمن مهماتها البت في الإضرابات والخطوات النضالية الأخرى، كما تشرف على الصندوق المالي عبر لجنة خاصة تابعة لها، وكذلك تنشىء لجنة ثقافية عامة في بعض الأحيان، ولجنة نضالية لتنسيق النشاطات الرياضية الجماعية للمعتقلين، بالإضافة لإشرافها على عمل لجنة الحوار مع إدارة المعتقل [٢].

ورأى الأسرى في اللجنة الوطنية العامة تجربة أكثر نضوجاً من تجربة فصائلهم في الخارج في الديمقراطية وكيفية اتخاذ القرارات الجماعية بالتراضي أو بالأغلبية وفق النظام المتبع، فهذه اللجنة الاعتقالية صاحبة القرار الأول والأخير، كما جاء في الوثيقة الاعتقالية فهي السلطة العليا في السجن، التي من حقها التقرير في كل ما يخص المعتقلين[٣].

٢-لجنة الحوار:

تتولى لجنة الحوار عملية المفاوضات مع إدارة السجن وإدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بالشكل العام عند زيارة الوفود والطواقم من خارج السجن، وتتابع أوضاع المعتقل ومطالب الأسرى في الاجتماعات الدورية، ومرجعيتها اللجنة الاعتقالية العامة، وأعضاء لجنة الحوار هم من الأسرى الأكفاء والقيادات الذين يتم ترشيحهم من قبل أطرهم التنظيمية، ويتمثل في هذه اللجنة الكل الاعتقالي، ويتميز أعضاؤها بإتقان اللغة العبرية " قراءة وكتابة وتعبير وإمكانية حوار " بالإضافة لممثل المعتقل.

---

(١) الأسير المحرر شكرى سلمة، نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين، مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٤/٢٣، رام الله.

(٢) خالد الهندى: مرجع سابق، ص١٤١.

(٣) اياد الرياحى: مرجع سابق، ص٣٦.

٣- الموجه العام:

هو الأسير الذي يتوافق عليه الكل الاعتقالي وغالباً ما يكون من الفصيل الأكثر عدداً في السجن، ليمثل الجميع أمام إدارة مصلحة السجون، ويفترض أن تتوفر في هذا الممثل خبرات خاصة منها أن يكون صاحب سمعة أمنية وأخلاقية عالية وأن يكون ذا قدرة على المناورة والمفاوضات وعلى قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة، ويتحلى بقوة الشخصية ويجيد اللغة العبرية، للحديث مع طواقم إدارة السجون في مطالب الأسرى [١].

الموجه العام يتسلح في حواراته مع إدارة السجون بموقف وبقوة وإرادة وغضب ألف أسير في بعض السجون الكبيرة، وتتعامل إدارة مصلحة السجون معه بهذا الوزن وهذا الثقل، في المقابل يكون محكوم ومراقب من منهم جميعاً وموجه بسياسات المؤسسات الاعتقالية، ويتم تثبيته ودعمه ومساندته في حال نجح في تسويق قضايا الأسرى وتحقيق الإنجازات والحقوق لهم، ويتم إرشاده وتصحيح أخطاءه في حال الإخفاق، وقد يتم إقالته من مكانته والاتفاق على بديل له في حال لم يعبر عن مطالب الأسرى، ولم يستطع تطبيق السياسة العامة التي يتم الاتفاق عليها من قبل الفصائل في اطار مؤسساتها الوطنية العامة [٢].

رابعاً-توحيد قرار المنظمات الاعتقالية:

استشعرت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة حالة الاستهداف، واستطاعت أن تبلور قيادة موحدة لمنظماتها على مستوى السجون غير مختصرة على سجن واحد لكل منظمة، فبرزت القيادة الموحدة أو اللجنة المركزية الفرعية للجبهة الشعبية على مستوى السجون ككل، والهيئة القيادية العليا لحركتي حماس والجهاد الإسلامي على مستوى كل قلاع الأسر، وتوحدت القرارات العامة للأسرى، وتم قدر الإمكان ترميم هياكل المنظمات وصياغة اللوائح الاعتقالية لضبط تحركها وعملها وتحديد صلاحياتها ومهامها.

(١) جمعية الأسرى والمحررين: مرجع سابق، ص١٢.

(٢) الأسير المحرر عبد الهادى غنيم، مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٤/٢٣، قطاع غزة.

خامساً-الهيكلية التنظيمية للأطر التنظيمية:

صاغت الفصائل لنفسها لوائح داخلية تحكم العلاقات والنشاطات داخل التنظيم الواحد، وقد تطورت هذه اللوائح وجرت عليها التعديلات حتى وصلت إلى صورة أفضل، فتضمنت تحديداً لأكثر القضايا، وعالجت معظم جوانب النشاط التنظيمي، وشملت كل مناحي الحياة الاعتقالية " كالأسس والمفاهيم التي تقوم عليها اللائحة التنظيمية، ومبادىء الحركة وأفكارها ومرتكزاتها وأهدافها وأساليبها النضالية، وواجبات وحقوق الأعضاء، وهيكل البناء التنظيمي داخل المعتقل، وواجبات وحقوق وصلاحيات الهيئات التنظيمية، ومراتبها المختلفة، ومهام وصلاحيات وآليات تشكيل الأجهزة المختلفة داخل الحركة، والمحظورات والعقوبات وآليات التعديل على مواد اللائحة، وصلاحيات ومهام اللجان داخل الأطر التنظيمية، والمتشابهة بعمومها لدى كل الفصائل الفلسطينية في السجون وأهمها[١]:

١- اللجنة الخارجية:

يرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية) بمعية أعضاء آخرين وفق الحاجة في السجن والأقسام، وتُعنى بالشؤون الخارجية للحركة سواء في السجن الواحد مع الفصائل الأخرى، أو بالسجون الأخرى، أو مع التنظيم والمؤسسات خارج السجن، ومهمتها التنسيق مع الفصائل الأخرى لبلورة المواقف النضالية الاعتقالية العامة، ومراسلة السجون واطلاعها على أوضاع التنظيم العامة، وتحتفظ اللجنة الخارجية بأرشيف المراسلات مع السجون الأخرى، وتنسيق الخطوات النضالية والاعتقالية الشاملة، وتتابع أوضاع الأسرى في الخارج من الناحية المالية، ومخصصات الكنتينة والأهل، وزيارة المحامين[٢]، وإبقاء الأسرى على اتصال دائم بالعالم الخارجي من خلال مراسلاتهم المتواصلة مع مراكز صنع القرار الوطني في الساحة الفلسطينية[٣].

٢- اللجنة الإدارية:

يتكون الجهاز الإداري من المفوض الإداري العام، واللجنة الإدارية العامة، لهذا الفصيل أو ذاك، ويقف على رأس الجهاز الإداري الموجه الإداري العام، وهو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية

(١) خالد الهندى: مرجع سابق، ص٧٦.

(٢) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الاسلامى فى السجون – مادة مهربة غير مطبوعة، ص١٩.

(٣) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة –مرجع سابق، ص٥٥.

(المركزية)، بالإضافة إلى موجهي الأقسام ولجانه الإدارية، وموجهي الغرف الإداريين، ويتم تنسيب أعضاء الجهاز الإداري من قبل المستويات القيادية العليا داخل الفصيل الواحد، لتولي هذه المهام بعد ملاحظة قدراتهم ومهاراتهم الإدارية والشخصية والثقافية والأمنية والاجتماعية [١].

تقوم اللجنة الإدارية بضبط الأوضاع الداخلية ومتابعة الإشكاليات ومعالجتها، وتشرف اللجنة الإدارية على النشاط الإداري العام من خلال إشرافها على نشاط الموجهين في الغرف والأقسام، وهي التي تضع الخطط الإدارية لضمان حياة منظمة ومن جهة أخرى تحدد اللوائح المراتب التنظيمية الإدارية، ولعل أهمها موجه كل غرفة كمسؤول مباشر عن عناصر التنظيم في الغرف لكل الأقسام في السجن الواحد، والذي يقدم تقارير دورية للجنة، ويشرف على كل شؤون الحياة [٢]، كتحديد أماكن السكن لكل عنصر والإشراف على النظام والنظافة، وإطفاء النور، وضبط التلفاز، والخروج للرياضة، والنزهة للأسرى وتطبيق القرارات الإدارية التنظيمية على أرض الواقع، ومن صلاحيتها أيضاً حل المشاكل ومعاقبة المخالفين.

٣- اللجنة الثقافية:

يقف على رأس اللجنة الثقافية قيادي منتخب في اللجنة التنفيذية – المركزية، ويكون مسؤول أمام التنظيم عن كل المهام الثقافية في المعتقل [٣]، واختيار أعضاء اللجنة برفقته، والموجهين الثقافيين في الأقسام والغرف.

ومهمة اللجنة الثقافية الإشراف على رفع المستوى الثقافي للأسرى من خلال وضع الخطط الثقافية المناسبة لهم، والسهر على تنفيذها، ولجنة القسم الثقافية تشرف على تنفيذ الخطة الثقافية العامة لفصيلها السياسي في قسمها بالتنسيق مع اللجنة الثقافية العامة، وتحديد مستويات الأسرى الثقافية، وتوزيعهم على خلايا متدرجة تنازلياً والإشراف على الجلسات الثقافية في مجالات مختلفة وفق الخطة التنظيمية وحاجة الأسرى، وتقوم بتعميم النشرات والتحاليل السياسية، والتعاميم الواردة من اللجنة العامة للقسم، ثم أرشفة هذه المواد وحفظها في مكتبة القسم، والإشراف على المكتبة والكراسات التنظيمية وتحديها وفهرستها، وعلى دورات محو الأمية وتعلم اللغات، وتطوير مهارات الكتابة والخط العربي، وتقوم اللجنة الثقافية للقسم باستقبال تقارير موجهي الغرف والخلايا الأسبوعية، وإعداد التقارير نصف الشهرية حول مسيرة القسم ورفعها إلى اللجنة الثقافية

---

(١) المصدر نفسه : ص٤٧.

(٢) قدري أبو بكر: من القمع إلى السلطة الثورية، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٩، ص١٦٤.

(٣) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص٤١.

العامة، وتشرف على عقد وتنظيم الجلسات التنظيمية في مواعيدها، كما وتقوم بكتابة المواضيع الثقافية والفكرية، وتنظيم أرشيف الصحف العربية والعبرية والانجليزية والمجلات، وحفظها، ويعد منسق اللجنة الفرعية حلقة الوصل مع اللجنة العامة، ومسئول أمامها عن أوضاع القسم الثقافية[١].

٤- اللجنة الأمنية:

اللجنة الأمنية هي أشد اللجان حساسية، لما لها من آثار نفسية ومصيرية على حياة العناصر التنظيمية، وعلى دقة المعركة وشراستها الصامتة مع أجهزة الأمن الإسرائيلية، وتأخذ التنظيمات في عين الاعتبار كل المحاذير في اختيار أعضاء اللجنة التي يرأسها أحد المسئولين والأعضاء المشهود لهم بالوطنية العالية، والذكاء والتحليل والإمكانيات، والتجربة الأمنية العميقة ومخافة الله في مصير الأسرى وذويهم، ونؤكد على قاعدة مفادها " أن تخطىء اللجنة الأمنية في براءة عشرة من العملاء أفضل من أن تتسرع فتخطىء في إدانة أسير واحد وطنى بريء " ، لذا عمل هذه اللجنة يحتاج للكثير من التقوى والصبر، والخبرة العميقة، والذكاء والتأني، والسرية الكاملة والشعور بالمسئولية الوطنية.

وممكن حصر عمل هذه اللجنة بصياغة ورسم السياسة الأمنية للتنظيم وفق السياسة المعتمدة، ورسم السياسة الدائمة للعمل الأمني والعمل على حماية الصف الداخلي من الاختراق، وإيجاد قناة إتصال مع الفصائل الأخرى، ومع دائرة العمل الأمني في الخارج لتبادل المعلومات وتوحيد القرار، وإيجاد قناة اتصال مع كافة اللجان الأمنية في كافة المواقع لتبادل المعلومات وتنسيق الخطوات والآراء، والعمل على إيجاد كادر أمني بالتنسيق مع الهيئات المحلية وذلك من خلال منهج تدريب وإعداد مناسب، وإيجاد لجنة دراسة وبحوث أمنية ومتابعة كل التطورات وكل ما هو جديد، واتخاذ قرار الإخضاع الأمني على قاعدة " آخر الدواء الكي " في حق أي عضو وفق ما يتم تقريره من نظم وضوابط بعد فشل المعالجات في تصحيح مسار المتورطين وبحق من أثبت أنهم تورطوا في عمليات تصفية للمناضلين، وتم إدانتهم بالخيانة العظمى للوطن والقضية[٢].

---

(١) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة: مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص١٥٦.

هذا بالإضافة لمحاربة كل الظواهر التخريبية والمسلكية، ومعالجة ومتابعة كل إشاعة أوتحريض أو تشويه بحق أي أسير، ومحاربة سياسة المحاور ومراكز القوى والبلدية والشللية والاتجاهات الفكرية المنحرفة [١].

٥- اللجنة المالية:

هي إحدى اللجان العاملة ويرأسها أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (المركزية) بمعية أسرى آخرين وفق الحاجة في السجن والأقسام، و تختص بالشؤون المالية للحركة والصندوق وكافة المعاملات المالية، ومهامها القيام بإعداد الخطة المالية وعرضها على القيادة العامة للحركة لإقرارها ثم الإشراف على تطبيقها، وتقوم بتحديد الميزانيات و المخصصات الشهرية للأعضاء، والمخصصات الشهرية للجان العاملة، والمشتريات العامة، والمخصصات الشهرية للعمال، وتقوم بتغطية المصروفات التنظيمية الخاصة، ومتابعة الأرصدة، وإجراءات التحويلات المالية داخل السجن وخارجه، وتقدم تقرير شهري للمسؤولين حول الوضع والأداء المالي للتنظيم، وتتابع المديونين للتنظيم وتضع الإجراءات الخاصة بهم، وتوفر المصروفات المالية للاحتفالات والمناسبات والهدايا والجوائز ضمن الإمكانيات المتاحة [٢].

٦- اللجنة القضائية:

هي لجنة يشرف عليها مسؤول من اللجنة التنفيذية (المركزية)، وإما أن تكون دائمة أو مؤقتة الانعقاد حسب الحاجة، ومهامها تنفيذ السياسة القضائية المعتمدة من لجنة الإعداد في القضايا المطروحة، ورفع قراراتها في القضايا محل البحث للجنة التنفيذية – المركزية، وأما عن آلية عملها فيتم العمل على محاولة الإصلاح بين الأطراف ابتداءً، وبالبحث وبتعريف أطراف القضية بعواقب الأمور وما يمكن أن يترتب على البحث من إجراءات، وبالالتزام بآداب القضاء العادل بالسماع لكافة الأطراف والشهود وتمحيص الأمر والحياد في الحكم، وعن قرارات اللجنة فتؤخذ بالأغلبية، ومن أهم شروط عملها المحافظة على سرية المداولات حتى الانتهاء من القضية كاملاً ورفع قرارها، مع الالتزام بالنظام (القضائي) المعتمد وعدم الخروج عنه، والالتزام بشروط التكليف المقدمة من المكتب التنفيذي، ويمكن الاستئناف على قرار اللجنة بتقديم طلب

(١) اللائحة الداخلية لحركة فتح – مادة مهربة من السجون وغير مطبوعة، ص٣٠.

(٢) اللائحة الداخلية لحركة الجهاد الاسلامى فى السجون – مادة مهربة غير مطبوعة، ص١٩.

للجنة التنفيذية، ومن حق طرف أو أطراف القضية الاعتراض على اللجنة القضائية أو أحد أعضائها والمطالبة بتغيره مع ضرورة إبداء الأسباب المتعلقة بذلك[١].

في نهاية القسم نرى أن إحدى صور الإبداع في السجون تجسدت في تحويل واقع السجن إلى مجتمع له أعرافه وتقاليده، ينفي أي معنى للضعيف والقوى، كل الأسرى سواسية في واجباتهم وحقوقهم، وحق العضوية والترشيح والانتخاب لاختيار قيادته، فالمؤسسات الاعتقالية حافظت على الأسير منذ لحظة اعتقاله وعملت على تطويره بوضع القوانين والضوابط والحوافز في القراءة والرياضة ومشاهدة التلفاز حتى نظافة الأوعية والأدوات بعد الطعام ونظافة الغرفة وملء الفراغ والثقافة، وبفضل تلك المؤسسات واللجان تم تهيئة الأجواء والظروف لتطوير إبداعات الأسرى، وحولت السجون إلى مدارس وجامعات وحلقات ذكر وعلم وثقافة، ولعل من أبرز تلك المؤسسات الاعتقالية اللجنة الوطنية العامة[٢].

ومن واقع التجربة الاعتقالية للباحث، أن تلك اللجان والنظم والقوانين واللوائح، عملت على تحويل السجون لمجتمعات وسلطات صغيرة متكاملة، أقرب إلى المثالية والحياة الجماعية، التي تغلب المصالح الوطنية العليا على الأنا والذاتية والشخصانية، ومن غير شك أن إشكاليات عدة تبرز بين الحين والآخر في داخل هذا المجتمع، ولكنها تبقى استثنائية ومتباعدة ومنبوذة وسط أناس باعوا شبابهم وزهرات شبابهم في سبيل معتقداتهم ومبادئهم وقيمهم وأخلاقهم، ومن أجل الحرية والدفاع عن وطنهم، ومن أجل تحقيق حريتهم وسيادتهم واستقلالهم كباقي شعوب العالم.

(١) الأسير محمد صبحة: مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) الأسير المحرر كفاح العارضة، مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/٤/٢٣، قطاع غزة.

القسم الثاني

الوسائل النضالية للأسرى في مواجهة السجان

استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة –رغم قلة إمكانياتها المادية وعبر نضالات مستمرة توجت بعدد كبير من الشهداء وعبر خطوات نضالية حكيمة ومنسجمة مع الواقع والمتطلبات " تارة بالخطوات التكتيكية وأخرى بالاستراتيجية، وبالوسائل السلمية والحرب النفسية والعنيفة، وبالحوارات والإضرابات والمواجهة وترجيع الوجبات، والحرب النفسية، والتواصل بين القلاع الأخرى للسجون والمعتقلات، ومع المؤسسات الفلسطينية والعربية والدولية في الخارج ومع الجماهير" أن تحقق إنجازات كبيرة.

وبالكثير من التضحيات انتقلت الحركة الأسيرة من ضعف التجربة إلى الخبرة والقيادة، ومن العجز إلى الإعداد والريادة، ومن الاستهداف إلى الحماية والأمن، ومن غياب الكادر إلى إعداد القادة، وتم الانتقال من مرحلة إلى أفضل، من العفوية وفقدان الاتزان، إلى مرحلة بناء الذات والتجربة والخطأ، إلى مرحلة التكوين التنظيمي ومأسسة البنى التنظيمية، إلى مرحلة البناء وسيادة السلطة التنظيمية، إلى مرحلة النضال الشامل والنضج والمخاض والانتصار والعزة والكرامة وتحقيق معادلة الرعب مع طواقم إدارة مصلحة السجون، ومن ثم الوصول إلى حالة حقيقية من الإبداع على كل المستويات التنظيمية والإدارية والثقافية والمالية والأمنية والخارجية، والعلاقات الفصائلية والتأثير الإيجابي خارج السجون.

في هذا القسم سنتطرق إلى الوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى للنهوض بواقعهم، وفي مجابهة السياسات الإسرائيلية بالوسائل النضالية التكتيكية كالمراسلات والحوارات ومقاطعة رجالات الإدارة والعيادة والاستراتيجية كالإضرابات المفتوحة عن الطعام والإضراب عن التدخين والزيارات والنزهة والحلاقة والعمل، وبالوسائل السلمية والعنيفة.

الوسائل النضالية:

أولاً: وسائل سلمية: وتنقسم إلى قسمين تكتيكية واستراتيجية.

١– وسائل سلمية تكتيكية:

أ –المراسلات والحوارات:

في أعقاب اعتراف إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية بالتمثيل الاعتقالي، والتعاطي مع ممثلي الفصائل، واللجنة الوطنية العامة التي تناقش أوضاع الأسرى وتبلور القرارات بالتراضي أو بالأغلبية وفق سياسة متعارف عليها في كل معتقل، ومع لجنة الحوار التي تجتمع بإدارة السجن لمناقشة مطالب الأسرى والأوضاع بشكل عام، ومع كبار رجالات إدارة مصلحة السجون التي تأتي من خارج السجن، أصبحت وسيلة النضال الأولى للتفاهم هي تقديم الطلبات والمراسلات، والحوار المباشر عن طريق ممثل المعتقل كحلقة وصل بين الأسرى الذين يمثلهم، أو عبر مندوبي الفصائل وموجه القسم في القضايا الميدانية الداخلية، وهذه الوسيلة تقطع الحجة لدى إدارة مصلحة السجون قبل الدخول بأي خطوة نضالية.

ب-إرجاع الوجبات:

في حال تجاهل مطالب الأسرى في أي قضية ملحة، أو التسويف والمماطلة في الردود عليها، تبدأ اللجنة الوطنية العامة ببلورة خطوات نضالية تكتيكية بإرجاع بعض وجبات الطعام قد تصل ليوم كامل، وهذه الخطوة بمثابة رسالة احتجاجية وتحذيرية في نفس الوقت بإمكانية تصعيد الأوضاع وترشيحها للانفجار فيما لو لم تتحقق مطالب الأسرى.

ج-مقاطعة رجالات الإدارة:

كثيراً ما يمارس بعض السجانين بحق الأسرى ممارسات عنيفة بقصد الإهانة وقت التفتيشات، أو انتقامية وقت المواجهات والقمعات، أو غير مقبولة مع الأهالي وقت الزيارات، مما يضطر الأسرى بتبليغ إدارة السجون بمقاطعة ذلك السجان، ويطالبونها بعدم دخوله للأقسام، مبلغين بعدم المسئولية عن أي خطر يتهدده، " وغالباً ما كان هذا الأسلوب مجدياً وفاعلاً يؤدي إلى تأديب أولئك السجانين الذين كانوا يتعرضون لضغوط نفسية شديدة أثناء فترة مقاطعتهم، وكثيراً ما جاء بعض هؤلاء إلى المعتقلين راجياً فك المقاطعة الاجتماعية عنهم[1]، تخوفاً من تطور المقاطعة لتصل للإيذاء الجسدي وتهديد الحياة بحقهم.

د -مقاطعة العيادة:

عشرات الشهداء في السجون كانوا ضحية الإهمال الطبي، وتأجيل العمليات الجراحية الضرورية، وعدم القيام بالفحوصات المخبرية، وتجريب الأدوية على السجون، وعدم توفير العلاجات المناسبة والاكتفاء بحبة الأكامول السحرية، ونتيجة لهذا الواقع أضرب الأسرى وخاصة المرضى منهم عن تسلم الأدوية من الممرض، أو النزول للعيادة، أو مراجعة ما يسمى بمشفى

(١) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص٦٧.

سجن مراج – الرملة، " وكثيراً ما أجدى هذا اللون من الإضرابات لسببين[١]، الأول، أن مقاطعة ذوي الأمراض المزمنة للعيادة قد يودي بحياتهم، وهذا مرتبط بالسبب الثاني وهو تخوفات دولة الاحتلال من عواقب المقاطعة وتداعياتها التي قد تودي بحياة الأسرى والتي تحرك الرأي العام والمؤسسات القومية بالدولة لمعرفة ما يحدث من إجراءات تعسفية في السجون الإسرائيلية إعلامياً وقانونياً لو حصل مكروه لأي أسير نتيجة هذه الخطوة.

٢-وسائل سلمية استراتيجية:

قام الأسرى بالعديد من الخطوات النضالية السلمية رداً على انتهاكات إدارة مصلحة السجون، وكانت تلك الخطوات متفاوتة التأثير، وتميزت بالقوة والضعف، وللقليل من التفصيل:

أ -الاضرابات المفتوحة عن الطعام

يعتبر هذا الأسلوب من أفضل الأساليب التى يلجأ اليها المعتقلون داخل السجون، وهو سلاح استراتيجي فتاك، وقد أثبت هذا السلاح فاعليته خلال المسيرة الاعتقالية [٢]، منذ سنواتها الاولى وحتى يومنا هذا.

فالإضراب المفتوح عن الطعام ليس هدفاً بحد ذاته، بل هو الخيار الأخير، غير المفضل لدى الأسرى، وتلجأ إليه الحركة الأسيرة بعد استنفاذ كافة الخطوات النضالية التكتيكية[٣]، وهناك أهداف ومسميات للإضرابات المفتوحة عن الطعام منها: " الإضرابات الاحتجاجية، والتضامنية، والمطلبية، والسياسية، ومنها الجماعية والفردية، ومنها على الماء والملح فقط ، وأخرى مع تناول المدعمات من المحاليل والفيتامينات"، فالإضرابات تشكل أوسع حالة ضغط على الاحتلال نتيجة تحرك الجماهير الفلسطينية والعربية والدولية، وتدخل المؤسسات الحقوقية والدولية، والتخوف من استشهاد الأسرى الذي يوسع من ظاهرة الغضب العارمة التي تحدث بعد كل إضراب مفتوح عن الطعام.

---

(١) حلمى عنقاوى: المصدر نفسه، ص٦٤.

(٢) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ٦٥.

(٣) ولقد لجأوا إليه لأول مرة فى معتقل نابلس عام ١٩٦٨ م (٣)، ثم معتقل عسقلان فى العام ١٩٧٠ م، حيث استشهاد الأسير عبد القادر أبو الفحم الذى يعتبر أول شهداء الحركة الوطنية الأسيرة.

ب –الإضراب عن الزيارات:

إضراب الأسرى عن زيارات الأهل هو شكل من أشكال النضال لإجبار إدارة السجون على توفير متطلباتهم الضرورية، أو لانتزاع حقوقهم الأساسية المسلوبة، واستخدمت الحركة الأسيرة هذه الوسيلة النضالية لأول مرة في معتقل نابلس في العام ١٩٦٨م، وقام الأسرى بإضراب شامل عن الزيارات في العام ١٩٧٣م استمر ثمانية شهور[١]، وأهم أهداف خطوات الإضراب عن الزيارات هو الاحتجاج على ما يتعرض له الأسرى من انتهاكات، وهى خطوة تحريضية للضغط على الاحتلال لمنح الأسرى حقوقهم من خلال المظاهرات والاعتصامات التي يقوم بها أهالي الأسرى والمتضامنين، والتي تحرك الرأي العام باتجاه قضاياهم.

ج– الإضراب عن الحلاقة:

لجأ الأسرى والمعتقلون إلى هذا الشكل من الإضرابات عندما كانوا في بداية صنع التجربة الاعتقالية ظناً منهم أن مثل هذا الأسلوب قد يشكل عامل ضغط على سلطات السجون، ولجأت الأخيرة إلى قمع الأسرى بالقوة فكانت تحلق لهم ذقونهم بالزرنيخ الذي كان يترك رائحة كريهة تلازم كل معتقل فضلاً عما يسببه ذلك من آلام وتشويهات جلدية، وأحياناً كانت تلجأ إلى استخدام شفرات الحلاقة، وكانت تتصبب الدماء من وجوه الأسرى نتيجة الجروح، التي كان السجانون يحدثونها في وجوههم بشكل متعمد[٢]، وتتعامل إدارة السجون مع الخطوة بالكثير من الحساسية من الناحية الأمنية، كونها تصعب من تشخيص الأسرى على العدد الأمني نتيجة تشابه الحالة والمظهر لدى الأسرى كلما طال الإضراب.

د–الإضراب عن النزهة " الفورة ":

مرات عدة استخدم الأسرى هذه الوسيلة في خطواتهم النضالية، وكان أول الإضرابات على هذه الطريقة في العام ١٩٦٨م بسجن بيت ليد " كفاريونا " عندها امتنع الأسرى عن الخروج إلى ساحة التجوال طوال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من ذلك العام، احتجاجاً على ظروف الحياة المعيشية في المعتقل[٣]، وتخشى إدارة السجون من الخطوة بسبب مراكمة الضغط

---

(١) المصدر نفسه: ،ص٧٦.

(٢) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦٥.

(٣) حسن عبد الله: مرجع سابق، ص٣٠.

النفسي لدى الأسرى لطول بقائهم في الغرف، والذي قد يتطور لانفجار فجائي يهدد حياة السجانين.

هـ-الإضراب عن العمل:

كانت قضية إلزام المعتقل على العمل داخل السجن أو في ورش قريبة من السجن أكثر أوجه التعامل القاسي مع المعتقلين، فقد كان العمل في ورش تتبع شركات خاصة في إسرائيل، وصل لإجبار الأسرى على العمل في صناعة شبك للدبابات، وتم إيقاف هذا الأمر لرفض الأسرى العمل به بفضل دم الشهداء، واستخدم الأسرى هذه الوسيلة كونها تثقل كاهل ميزانية إدارة السجون لو قامت بها في الكثير من المرافق الحيوية في المطابخ والمغاسل وقسم البناء وغيرها.

و -تجنيد السجانين:

في مقابل محاولات إدارة السجون في تجنيد العملاء لصالحها، استطاع الأسرى تجنيد بعض السجانين للقيام بمهمات تخدمهم، في عمليات تهريب الهواتف النقالة، والمناشير لعمليات الهروب، وإيصال الرسائل والقيام بالتواصل بين الأسرى ومع الأهالي في الخارج للقيام ببعض المهمات الضرورية للأسرى[1]، والتي تشكل خطورة أمنية على إدارة مصلحة السجون.

٤ - **الحرب النفسية:** تتبع الوسائل السلمية وفي غالب الأحيان تتطور لتكون عنيفة مثل:

---

(١) على سبيل المثال لا الحصر دوّن الأسير العربى المحرر الشهيد سمير القنطار فى مذكراته بعنوان " قصتى " كيف استدرج أحد السجانين لتهريب هاتف نقال له، فقال: قمت ببناء ثقة مع السجان من خلال عدة محادثات عن وضعه المال وأدركت حاجته للمال، وبعد الكثير من المحادثات وبناء الثقة، ناديت الشرطى ليأتى إلى زاوية مطمئنة فى الممر، همست له: أريدك أن تمرر لى هاتفاً، فتراجع مصدوماً من الطلب، فتردد فى البداية، وفكر فى المبلغ المغرى ثم وافق.

واتفقت معه أن أعطيه: ٢٥٠٠ دولار عندما يتسلم الهاتف، و ٢٥٠٠ دولار بعد ان يسلمنى اياه، وبعثت لرفيق لى خارج السجن رقم هاتف الشرطى كى يتم التنسيق بينهما على مكان تسليم الهاتف وزمانه، وبالفعل تم ذلك، ووصلنى الهاتف عن طريق الشرطى فى ٢٠٠٥/١١/١.

قصة أخرى فى تجنيد إحدى السجانات دونتها الأسيرة الفلسطينية دلال أبو قمر، وهي من أقدم الأسيرات اللواتي اعتقلن عقب نكسة عام ١٩٦٧م، تصف ما حدث معها بعد أن أشبعها ضباط التحقيق ضرباً وشبحاً وإجبارا على الوقوف لساعات طويلة بأوضاع صعبة ومنعاً من النوم، ولكنها رفضت الاعتراف بما يطلبون، وقد تم تجريدها من ملابسها تماماً، وجاءوا بأحد الأسرى الفلسطينيين وطلبوا منه اغتصابها لكنه أغمض عينيه، وقال لدلال بصوت يسمعه الجميع " اصمدي يا دلال فأنا والله لا أرى منك شيئاً"، وتضيف دلال أنها تعرضت لشتى صنوف التعذيب، ومنها الإحراق بالنار، وأعقاب السجائر التي لازالت آثارها بادية على جسدها، ومن الحكايات المدهشة و النادرة التي كشفت عنها دلال أنها نجحت في تجنيد إحدى حارسات السجن في العمل لصالح التنظيم، حيث تقول: "رأيت المجندة في المرة الأولى أثناء التحقيق معي حيث كُنت أتعرض للتعذيب والإذلال، وموورست ضدي سياسة التعرية، وكانت المجندة على مقربة مني وعيناها تفيضان بالدموع، وبقيت الفتاة في ذاكرتي، وعلمت بعد انتهاء التحقيق وانتقالي للمعتقل أنها يهودية هندية، فطلبت منها أن ترسل رسالة إلى إحدى الأسيرات في زنزانة أخرى، فقبلت، ثم توالت الرسائل التي تصل من خلالها إلى أن تم تجنيدها رسمياً لصالحنا، ونجحنا فيما بعد في تجنيد عدد آخر من حارسات السجن، إلا أن الأمر لم يستمر بهذه السهولة، وقد علمنا فيما بعد أن المجندة الهندية اكتشف أمرها، وألقي القبض عليها، ثم حوكمت محاكمة عسكرية ".

أ- التهديد بحل التنظيم:

حل التنظيم يعني نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة، إنهاء لمرحلة الحوار والانضباط والاستقرار من قبل الأسرى ضمن معادلة تم الاتفاق عليها ضمناً بين الأسرى وإدارة السجون، للدخول في مرحلة اللاحوار والفوضى والتصرفات الفردية غير المسؤول عنها التنظيم، والتي تعطي الحق لأي أسير أن يجتهد بطريقته ووسيلته للدفاع عن ذاته والأسرى، فحل التنظيم يعني التصعيد مع إدارة السجون، وبداية عصيان منظم، يبدأ بإدخال عمال المرافق (كنتين، محلقة، مكتبة، مغسلة، عمال المردوان)، بالإضافة لدخول المفوض بالحديث مع الإدارة داخل القسم، وتصل الأمور بقطع الحديث مع إدارة السجن[١].

استخدمت الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة الجهاد الإسلامي هذه الوسيلة في سجن ريمون في فبراير ٢٠١٥م، في أعقاب نقل ممثلهم بشكل تعسفي وبلا مبرر، وفي أعقاب حل التنظيم قام أحد الأسرى [٢] بتنفيذ عملية طعن لضابط داخل سجن ريمون مما أوجد حالة إرباك وخوف وعدم استقرار لدى السجانين على حياتهم.

ب- تهديد رجال الإدارة:

يلجأ الأسرى في بعض الأحيان لتهديد سجان، بسبب انتهاك غير بسيط بحق الأسرى أو الاعتداء على أحد الأسرى وقت تفتيش معين، وغالباً ما تأخذ إدارة مصلحة السجون بمثل هذه التهديدات ويتراجع السجانون عن تصرفاتهم، لعملهم بجدية تلك التهديدات التي يعقبها اعتداءات، ويتعامل الأسرى بهذه الطريقة على قاعدة " أن لا راحة للسجان ما دمت تعباً، لأن جل هم السجان هو لحظة العودة إلى البيت ولقاء أبنائه، فلماذا يعود الى أسرته آمناً مطمئناً بينما الأسرى يعانون[٣] ".

---

(١) موقع بصائر: http://www.basaer-online.com/

(٢) الأسير حمزة سلامة سليمان أبو صواوين من سكان مدينة دير البلح وسط قطاع غزة.

(٣) زياد أبو زياد: مرجع سابق، ص١٤٨.

ثانياً–وسائل عنيفة:

وتنقسم قسمين عنيفة تكتيكية وعنيفة استراتيجية:

١- وسائل عنيفة تكتيكية:

أ –التكبير والطرق على الأبواب:

تعتبر وسيلة مكررة وشائعة، ففي كثير من الأحيان يصل الحد من جانب إدارة السجون للتجاهل المقصود للأسرى في حالات مصيرية قد تودي بحياة أحد الأسرى المرضى التي تستدعي حالته النقل إلى العيادة أو المستشفى، حينها يبدأ الأسرى بالتكبير والطرق على الأبواب والإعلان عن حالة استنفار حتى يجبروا الإدارة على الحضور ونقل الأسير المريض لتلقي العلاج، وقد تكون تلك الوسيلة ممنهجة من جانب الأسرى كحالة نضالية ضمن مشروع طويل متفق عليه بين الفصائل[١]، وهذه الخطوة تخلق الذعر في أوساط السجانين، وقد تصل لحد التمرد الذي يكلف السجانين حياتهم.

ب –القضاء على مظاهر الاستفزاز:

تتبع إدارة مصلحة السجون في كثير من الأحيان سياسة استفزازية للأسرى من خلال بعض الرموز كوضع صور لقادة دولة الاحتلال، أو وضع العلم الإسرائيلي في الأقسام، الأمر الذي يقرأه الأسرى بأبعاد نفسية ورسائل ضمنية مبطنة، فلجأوا إلى القضاء على تلك المظاهر بالقوة[٢]، وهذه خطوة معنوية تعبر عن رفض الأسرى لدولة الاحتلال ورموزه ومؤسساته، والبقاء على أفكارهم الوطنية رغم كل ممارسات القمع الإسرائيلية بحقهم.

---

(١) من الأمثلة على ذلك أحداث سجن عسقلان فى ١٩٨٥/٩/١١ بالطرق على الأبواب، مستخدمين فى ذلك كل ما وقع فى ايديهم من قطع الصابون والصحون وقطع القماش الملتهبة، وبكل ممتلكات الأسرى وما تواجد فى الغرف أدوات للطهى، وقد كان صدى الصوت الصادر عن طرق الأبواب يشبه مرابض المدفعية عند اهتزازها من جراء قذف القنابل والحمم، وقامت بعض الغرف فى أعقابها باشعال النيران فى الفرشات والملابس مما أدى إلى تصاعد الدخان من الغرف بشكل كثيف أدى إلى حالات اختناق وإلى حالة عجز من فعل شيء من جانب ادارة مصلحة السجون حتى استدعت قوات من الخارج للسيطرة على السجن، الأمر الذى تكرر عشرات المرات فى كل السجون والمعتقلات الاسرائيلية.

(٢) على سبيل المثال قالت المحررة فيروز عرفة: فى الخامس عشر من آيار / مايو ١٩٧١ قامت مجندة صهيونية تدعى" بعل " وكنا نناديها " نعل" برفع علم اسرائيل أمام غرفتنا بهدف استفزازنا، فقررنا أن نمزقه أثناء خروجنا للفورة، وألقيناه فى القمامة، مما استدعى الادارة للتحقيق معنا، وتفتيش الغرف، ومصادرة ما فيها، وتم ضربنا ورشنا بالغاز المسيل للدموع (٢)، الأمر الذى تكرر فى سجن نفحة فى ٢٠١٥/٥/٢٦، على يد الأسير أيمن الشرباتى الذى أنزل العلم الاسرائيلى المتواجد فى القسم، وقام بحرقه مما أدى إلى حالة استنفار فى القسم، وتم عزل الأسير لفترة طويلة.

ج-رفض الوقوف على العدد:

الوقوف على العدد، وعدد مراته في اليوم مر بالكثير من المراحل والأشكال منذ بدء الحركة الأسيرة، كان أسوأها بدايات الاعتقال، بالصحو من النوم، وترتيب مقتنيات الأسرى من بطانيات وصحون، وشكل الجلسة، وعدد مرات العدد، وطول مدة الانتظار وانتهاءها، وشكل الرد على العدد، وأفضله كان في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات الذي انحصر بثلاث مرات يومياً، والوقوف على عدد الظهيرة والمساء فقط مع تحريك اليد صباحاً ، واستخدم الأسرى هذه الوسيلة مرات عديدة احتجاجاً على الانتهاكات بحقهم، الأمر الذي تنظر إليه إدارة مصلحة السجون كأحد أنواع حالات التمرد على القوانين، وغالباً ما تتوتر الأوضاع في أعقاب هذه الخطوة وتصل للمواجهة بين الطرفين.

د-رفض العودة للغرف:

عدم الرجوع للغرف أثناء الخروج للفورات " ساحة النزهة "، استخدمها الأسرى كوسيلة نضال محدودة، ولفترة بسيطة، قد تكون لعشر دقائق أو ما يزيد قليلاً، تجنباً للصدام والمواجهة مع إدارة مصلحة السجون، كرسالة تحذير، وقد يصل الأمر للتوتر والاستنفار بين الطرفين إلى حد المواجهة بعد هذه الخطوة فى بعض الأحيان.

هـ -رفض التفتيشات العارية والاقتحامات الليلية:

تعمدت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية باتباع سياسة الإذلال والإهانة للأسرى تحت ذرائع أمنية، ومن تلك السياسات التي سببت الكثير من المواجهات والصدامات العنيفة من جانب الأسرى وحالات الاحتجاج الجماعية هو التفتيش العاري عند دخول أي سجن أو الخروج منه، أو اقتحامات غرف الأسرى ليلاً من فرق خاصة، وإخراج الأسرى في البرد الشديد بعد تقيدهم لساعات طويلة، وخلط ممتلكاتهم وملابسهم، والاطلاع على خصوصياتهم كألبوم الصور العائلي ورسائلهم الخاصة، وقلب كل الغرفة وتخريب كل ما فيها بحجة الأمن، ولقد رفض الأسرى هذا النوع من التفتيشات والاقتحامات، وتعرضوا نتيجة هذا الموقف للضرب الشديد والعزل الانفرادي والغرامات المالية والعقابات المختلفة، لرفضهم هذه الأسلوب غير الإنساني الممكن استعاضته بوسائل تكنلوجية بديلة، ويخشى السجانون غضب الأسرى بعد كل حالة تفتيش تمارس بالقوة تجنباً لصدام يؤذيهم.

و -الاحتكاكات والمشادات اللفظية:

في بدايات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة تعمد السجانون بإطلاق الكثير من الألفاظ والشتائم والإهانة لعدم بلورة أشكال تنظيمية، أو خطوات نضالية، أو وحدة موقف اعتقالي، وبعد

بلورة تلك الشروط وقوة الحركة الأسيرة، لم يجرؤ السجان على المس بالأسرى ولو لفظياً، واستطاع الأسرى وضع حد لتلك الإهانات، ولو وصل الأمر للعزل أو المواجهة.

ز-**استخدام الحرائق**، ولقد استهدف الأسرى أكثر من مكان للتعبير عن غضبهم كوسيلة احتجاج منها:

- **حرق المنجرة في سجن بئر السبع:**

في أعقاب إجبار إدارة مصلحة السجون الأسرى على فك إضرابهم الأول بالقوة والهروات والدروع في سجن بئر السبع في العام ١٩٧٠م، اتفق الأسرى على خطوة انتقامية كرد فعل على ذلك، وفي ١٩٧٠/٧/٢٠م، قام الأسرى بحرق أكبر مرفق إنتاجي في المعتقل، والتهمت النيران خمسة عشر ألفاً من الصناديق الخشبية التي كانت معدة للتصدير، وعجزت حينها إدارة السجن والإطفائية التي تم استدعاؤها من الخارج لإخماد الحريق، تلك المبادرة التي أثبتت عدم القدرة على النيل من الأسرى دون ردود [١].

١-حرق الغرف:

لجأ الأسرى مرات عديدة لتلك الوسيلة، بشكل جماعي في السجون، أو بشكل فردي في أقسام العزل، وعلى سبيل المثال لا الحصر في ٢٠١٥/٧/٢٧م أعلن الأسرى حالة التمرد والعصيان في وجه إدارة مصلحة السجون ووحداتها القمعية في سجن نفحة، وقاموا بحرق عدد من الغرف، كنوع من الاحتجاج على تصرفات الإدارة تجاههم، وذلك في أعقاب اقتحام قوات القمع الإسرائيلية للأقسام، مما أدى إلى حالات اختناق وإصابة اثنين من الأسرى وستة سجانين بحروق [٢]، وهذه الوسيلة كما هي مؤذية للأسرى أيضاً مؤذية للسجانين الذين يصابون بالاختناق.

٢-وسائل عنيفة استراتيجية:

حاولت إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية ممارسة سياسة الإذلال والإهانة بحق الأسرى الفلسطينيين منذ بدء الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، التي كان يشبع فيها السجان رغبة كراهيته وعنصريته بالاعتداء على الأسير متى شاء وكيفما شاء، ولم يكن يدرك بأن تلك المعادلة لن تستمر طويلاً، حتى بدأت حالة التململ في العام ١٩٦٨م، وبلغت الأمور ذروتها بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٨ م، عندما قام أحد السجانين بشتم أحد الأسرى في محاولة لإذلاله وإهانته، فرد

(١) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٢) وكالة سما الاخبارية: http://samanews.com/ar/index.php?act=post&id=243324

عليه الأسير الصاع صاعين، وهنا أقدم السجان على ضرب الأسير، فما كان من الأسير إلا أن ضرب الشرطي، فأعلنت حالة الاستنفار داخل المعتقل [١].

هذه الوسيلة النضالية اتبعها الأسرى بشكل فردي، أو بتغطية وبقرار تنظيمي جماعي يهدف لخلق معادلة رعب مع إدارة السجن، التي لن تسلم من الرد حال أي اعتداء على أي أسير [٢] .

(١) حلمى عنقاوى: مرجع سابق، ص٦٢.

(٢) شهد معد المقرر حادثتين مماثلتين فى عزل الرملة نيتسان خلال عزله تحت الأرض لعامين متتاليين من " ١٩٩٠ – ١٩٩٢م " فى ظروف لربما الأسوأ على مدار الحركة الأسيرة بشروط حياة غير مسبوقة، مما أدى ذلك الوضع لحالة انفجار، فقام الأسير أحمد شكرى المحكوم بمدى الحياة بتشفير شرطى وحاول طعن ضابط القسم، "فقامت الادارة باقتحام الغرف، واعتدت على الأسرى، وحدثت مواجهة بين الجانبين وقع فيها جرحى من الشرطة الاسرائيلية، ومن ضمنها جرح ضابط الأمن وأخذ خمس غرز فى رأسه (٢)، وتم عزل الأسير شكرى بعد الاعتداء عليه بظروف قاسية جداً.

ويروى معد المقرر تجربة أخرى عايشها فى سجن نفحة فى أعقاب انتفاضة ٢٠٠٠م، بعد تفتيش غير مقبول لزوجة أسير فى يوم الزيارات، يومها عمت حالة الغضب الجماعية، ونزل تعميم داخلى بضرورة الرد، وحضر مدير السجن للأسرى واعتذر عما حدث وتعهد بعدم تكراره، الا أن الأسير هانى جابر من سكان الخليل لم يقف على العدد، ليتم انزاله للمحاكمة فى غرفة المدير أو نائبه بوجود عدد من طاقم الادارة، واستطاع أن يخبئ سكين قام باعدادها بنفسه من قطعة معدنية، وقام بطعن المدير وضابط وشرطى رداً على الحادثة، ومثل هذه الحوادث تكررت عشرات المرات، ودفع الأسرى ثمنها الدماء وسنوات من العزل الطويلة والغرامات والمنع من الزيارات والتضحيات الجسام، إلا أنها حافظت على الأسرى وكرامتهم، وعززت أمام السجان عدالة قضيتهم، وأوجدت حالة من الارباك والقلق لدى إدارة مصلحة السجون، وقوت عزائم وإرادة الأسرى، وتضاعفت ثقتهم بامكانياتهم وقدراتهم وأسلحتهم النضالية التى أوصلتهم لمعادلة توازن الرعب مع جلاديهم رغم قلة الامكان.

القسم الثالث

الإضرابات المفتوحة عن الطعام لتحقيق الحقوق

من مظاهر إبداع الأسرى في السجون " القدرة على قراءة الواقع " من حيث حاجة الأسرى للمطالب والحقوق، ودراسة أوضاعهم من حيث القوة والضعف، والتعمق في النظر للواقع الإسرائيلي من حيث شكل الحكومة وائتلافها وشخصية وزير الأمن الداخلي المسؤول عن إدارة مصلحة السجون والمسؤول عنها، والأوضاع الفلسطينية ومكانة الأسرى ضمن أولوياتها في ظل زحمة الأحداث والهموم، ومراقبة الأوضاع العربية والعالمية، والحكمة في اختيار الظرف والتوقيت المناسبين، ودراسة جميع البدائل وفق الإمكانيات المتاحة، والأهم اختيار وسيلة النضال الأكثر تأثير وأقل تكلفة وأكثر ملائمة في مواجهة السجان.

ولقد استخدم الأسرى الكثير من الوسائل النضالية " العنيفة والسلمية، التكتيكية والاستراتيجية " لتحقيق حقوقهم الأساسية والإنسانية، واعتمدوا طريقة النضال السلمي كأحد وسائل النضال المؤثر من خلال الإضرابات المفتوحة عن الطعام، تلك الوسيلة التي تعد امتداداً لأحد أشكال النضال العالمي في وجه الطغاة، فالنضال السلمي يعود امتداده إلى قرون طويلة ما قبل الميلاد، وقد تكون أوّل حركة احتجاجيّة سلميّة مؤرّخة تعود إلى عام ٤٩٤ قبل الميلاد، حين حجب العامة التعاون عن أسيادهم النبلاء الرومان، تلك الحركة التي افتتحت عصراً جديداً من المواجهة السلميّة مع السلطات، وحديثاً فالتاريخ حافل بالثورات والحركات الاحتجاجيّة السلميّة التي راكمت تجربة إنسانيّة هائلة لمقاومة القهر، والظلم والاحتلال[١].

فالنضال السلمي من خلال العديد من الوسائل وعلى رأسها " الإضرابات المفتوحة عن الطعام " أثبتت نجاعتها وقدرتها على التأثير وتحصيل الحقوق، وفي إبراز قضية الأسرى إعلامياً على المستوى العربي والدولي، وإدانة سلطة الاحتلال قانونياً، كونها تتجاوز الاتفاقيات والمواثيق الدولية، والقانون الدولي الإنساني بمعاملتها السيئة مع المعتقلين، وعملت على الالتفاف حول قضيتهم فلسطينياً وعربياً ودولياً.

في هذا القسم سنتناول وسيلة الإضراب المفتوح عن الطعام كأحد أشكال مقاومة الأسرى، وسيتطرق إلى ظروفه وتوقيته، وأنواعه، والخطوات التمهيدية التي تسبقه في الإعداد والتحضير كأسباب لنجاحه.

---

(١) هانى نعيم: النضال اللاعنفى – الطريق إلى الحرية، لبنان، بيروت، منشورات هنيبعل، ٢٠١٢، ص٥.

أولاً–الإضراب المفتوح عن الطعام (التعريف، والجذور، والأنواع):

١–تعريف الإضراب المفتوح عن الطعام:

الإضراب المفتوح عن الطعام أو ما يعرف بـ "معركة الأمعاء الخاوية أو المعركة الاستراتيجية في السجون " هو امتناع المعتقل عن تناول كافة أصناف وأشكال المواد الغذائية الموجودة في متناول الأسرى باستثناء الماء وقليل من الملح ، وتعتبر هذه الخطوة الأخطر والأقسى التي يلجأ إليها المعتقلون لما يترتب عليها من مخاطر جسيمة – جسدية ونفسية– وصلت في بعض الأحيان إلى استشهاد عدد منهم، ويلجأ الأسرى إلى مثل هذه الخطوة بعد نفاذ كافة الخطوات النضالية التكتيكية الأخرى، وعدم الاستجابة لمطالبهم عبر الحوار المفتوح بين السلطات الاحتلالية، واللجنة النضالية التي تمثل المعتقلين، حيث أن الأسرى يعتبرون الإضراب المفتوح عن الطعام، وسيلة لتحقيق هدف وليس غاية بحد ذاتها، كما تعتبر أكثر الأساليب النضالية السلمية وأهمها، من حيث الفعالية والتأثير على إدارة المعتقلات والسلطات والرأي العام لتحقيق مطالبهم، كما أنها تبقى أولاً وأخيراً معركة إرادة وعزيمة وتصميم[١]، وهنالك أنواع من الإضرابات وفق الأهداف، كالإضرابات الاحتجاجية، والتضامنية، والمطلبية، والسياسية [٢]، أما عن تصنيف الإضرابات من حيث المدة فهنالك:

- **الإضراب المحدود:** وهو الامتناع عن تناول الطعام لفترة تقل عن ثلاثة أيّام بُغية استنكار موقف ما يخص قضية معينة، أو حالة تضامن مع شخص معزول أو مريض أو كحالة احتجاجية مؤقتة.
- **الإضراب غير المحدود عن الطعام:** وهو الامتناع عن تناول الطعام لفترة زمينة غير محدودة، وتقترن فترة انقضائها بتحقيق المطالب التي نفذّ من أجلها الإضراب وتبقى مفتوحة وقد تقترن بسقوط شهداء، حيث يتم الإعلان بين المضربين عن الطعام أن الإضراب سيبقى مفتوحاً إلى أجل غير مُسمّى.

(١) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية: http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3796

(٢) زهير المصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص١٧.

١- تصنيف الإضرابات المفتوحة عن الطعام:

أ -تصنيف من حيث المشاركة:

- **إضرابات جماعية:** دخول جماعي للأسرى باستثناء الحالات المرضية المزمنة، وقد يمتد لكل السجون أو غالبيتها كإضراب (١٩٧٠و١٩٩٢م)، أو للمعظم كما الإضرابات السياسية وإضراب ٢٠١٢م، وغالباً ما يحمل قضايا مطلبية تتمثل بتحسين الظروف المعيشية.
- **إضرابات فردية:** دخول فردي تطوعي في إضراب مفتوح عن الطعام، كشكل نضالي فرضته أسباب ذاتية وموضوعية[١]، استدعته الظروف في ظل عدم الإجماع أو تحقيق الأغلبية المطلوبة للدخول في خطوات استراتيجية تحمل أهداف سامية ووطنية كرفض الاعتقال الإداري، أو التمديدات تحت مسمى مقاتل غير شرعي، أو المطالبة بتطبيق قانون أسرى الحرب على الأسرى الفلسطينيين، وقضايا أخرى، وبرزت بشكل كبير في الأعوام ما بين (٢٠١١ – ٢٠١٥م).

ب-تصنيف من حيث الأهداف:

- **الإضرابات الاحتجاجية:** مثلت تلك الإضرابات وسيلة احتجاج على قضايا مطلبية كالتفتشات ومنع الزيارات، وسوء الطعام كماً ونوعاً، أو الاستهتار بحياة أسير معرضة حياته للخطر والمطالبة بنقله للمستشفى، أو بسبب منع إدخال احتياجات الأسرى من ملابس وأغطية وأحذية عبر الزيارات وقضايا أخرى.
- **الإضرابات التضامنية:** مثل الإضراب عن الطعام لوجبات أو أيام مع الأسرى المضربين عن الطعام احتجاجاً على اعتقالهم الإداري التعسفي بلا لوائح اتهام، أو التضامن مع الأسرى المعزولين لفترة طويلة بشروط غير محتملة وغير إنسانية مخالفة لكل الاتفاقيات الدولية.
- **الإضرابات المطلبية:** وهي أكثر الإضرابات تكراراً منذ بدء الحركة الأسيرة [٢]، وتصل لفترات طويلة حتى تلبية إدارة السجون لمطالبهم، وتهدف تلك الإضرابات إلى تحسين شروط حياة

---

(١) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٣٦.

(٢)من أهم اضرابات الحركة الفلسطينية الأسيرة إضراب سجن الرملة بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٨ واستمر (١١) يوماً، وإضراب معتقل كفار يونا بتاريخ ١٩٦٩/٢/١٨ واستمر ثمانية أيام، وإضراب الأسيرات الفلسطينيات في سجن نفي ترستا بتاريخ ١٩٧٠/٤/٢٨ واستمر تسعة أيام، وإضراب سجن عسقلان بتاريخ ١٩٧٠/٧/٥ واستمر سبعة أيام، وإضراب سجن عسقلان بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٣ ٢٥ يوما، واضراب ١٩٧٦ والذي انطلق من سجن عسقلان لتحسين شروط الحياة الإعتقالية واستمر (٤٥) يوماً، واضراب ١٩٧٧/٢/٢٤في عسقلان واستمر لمدة (٢٠) يوماً، واضراب نفحة بتاريخ ١٩٨٠/٧/١٤ واستمر (٣٢) يوماً، واضراب سجن جنيد في سبتمبر عام ١٩٨٤واستمر (١٣) يوم، و إضراب سجن جنيد فى ١٩٨٧/٣/٢٥وشارك فيه أكثر من (٣٠٠٠) أسير فلسطيني، من مختلف السجون واستمر (٢٠) يوماً، واضراب سجن نفحة فى ١٩٩١/٦/٢٣ واستمر (١٧) يوماً، وإضراب ١٩٩٢/٩/٢٧ الذي شمل معظم السجون. وشارك فيه نحو سبعة آلاف أسير واستمر ١٧ يومًا في غالبية

الأسرى المعيشية، والرعاية الطبية، وشروط زيارة الأهل، وتطبيق الاتفاقيات الدولية على الأسرى في التعليم وشروط الاعتقال، والتهوية، والحقوق الأساسية، وقضايا مطلبية تقتضيها الحاجة من فترة إلى أخرى [1].

- **الإضرابات السياسية:** لم تمر الاتفاقيات السياسية التي وقعت بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بشأن الأسرى مروراً عابراً، بل واجهت غضباً شديداً وانتقاداً لاذعاً من قبل الأسرى، وقاموا بثلاث إضرابات سياسية مفتوحة عن الطعام للمطالبة بحريتهم[2]، كان أولها في٢١ يونيو/ حزيران ١٩٩٤م، والثاني في ١٨ يونيو/ حزيران ١٩٩٥م، والثالث في ٥ كانون أول / ديسمبر١٩٩٨م، وكان لهذه الإضرابات التأثير الكبير بالضغط على طواقم المفاوضات والرعاة الدوليين للعملية السياسية للضغط من أجل الإفراج عنهم، وتم الإفراج عن الآلاف بموجب المفاوضات السياسية ونضالات الحركة الأسيرة في السجون بإبراز قضيتهم، باستثناء من قام بعمليات مقاومة نوعية تسببت بجرح أو قتل مستوطنين رفضت دولة الاحتلال الإفراج عنهم، وبقي ثلاثون أسيراً منهم في السجون حتى ما بعد أكثر من ٢٤ عام على اتفاقية أوسلو' ومنهم أسرى من الداخل المحتل وعلى رأسهم الأسيرين كريم وماهر يونس .

السجون و١٩ يومًا في أخرى، وقد اعتبر هذا الإضراب من أنجح الإضرابات التي خاضها الأسرى الفلسطينيون من أجل الحصول على حقوقهم، وإضراب/١٩٩٤/٦، الذي شمل معظم السجون احتجاجاً على الآلية التي نفذ بها الشق المتعلق بالإفراج عن خمسة آلاف أسير فلسطيني حسب الاتفاق السياسى " أوسلو " واستمر الإضراب ثلاثة أيام، وإضراب الأسرى بتاريخ ١٩٩٥/٦/١٨ تحت شعار (إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات دون استثناء واستمر لمدة (١٨) يوماً، و إضراب أسرى سجن عسقلان عام ١٩٩٦ واستمر ١٨ يومًا على الماء و الملح، واضراب ١٩٩٨/١٢/٥ إثر قيام إسرائيل بالإفراج عن (١٥٠) سجين جنائي، واضراب ٢٠٠٠/٥/١؛ احتجاجاً على سياسة العزل، واضراب سجن نيفي تريستا بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٦ حيث خاضته الاسيرات واستمر لمدة ٨ أيام متواصلة احتجاجاً على أوضاعهن السيئة، وإضراب شامل في كافة السجون بتاريخ ١٥-٨-٢٠٠٤ واستمر ١٩ يوماً، وإضراب أسرى سجن شطة فى ١٠-٧٢٠٠٦ واستمر ٦ أيام وذلك احتجاجا عيى تفتيش الاهل المذل على الزيارات وكذلك لتحسين ظروف المعيشة، و إضراب أسرى الجبهة الشعبية وبعض المعزولين واستمر ٢٢ يوما في عام ٢٠١١ للمطالبة بوقف سياسة العزل الانفرادي، وإضراب ٢٠١٢/٤/١٧ والذى بدأ بمشاركة تدريجية للأسرى ووصل عدد الأسرى المضربين ما يزيد عن ١٥٠٠ أسير واستمر ٢٨ يوم مطالبين بإلغاء العزل الإنفرادي، والحد من سياسة الاعتقال الإداري، والسماح بالزيارات لأسرى غزة، وإلغاء قانون شاليط، وإضراب الأسرى الإداريين فى ٢٠١٤/٤/٢٤ احتجاجاً على استمرار اعتقالهم الإداري دون تهمة أو محاكمة، مطالبين بإلغاء سياسة الاعتقال الإداري، واضراب أسرى حركة الجهاد الاسلامى ضد العزل الانفرادى بتاريخ في ٢٠١٤/١٢/٩ والذى استمر عشرة أيام،واضراب نيسان ٢٠١٤ رفضاً للاعتقالات الادارية ، واضراب ١٧ نيسان ٢٠١٧ بقيادة عضو اللجنة المركزية لحركة فتح النائب مروان البرغوثى واستمر ٤١ يوماً متتالية .

(١) زهير المصرى، نجود أحمد: مرجع سابق، ص١٧.

(٢) عيسى قراقع: مرجع سابق، ص٨٧.

الإضرابات المفتوحة عن الطعام في القانون الدولي:

أكدت الاتفاقيات الدولية على ضرورة احترام خيارات المحتجزين والحفاظ على كرامتهم الإنسانية، ويتفق موقف اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي مع موقف الرابطة الطبية العالمية والمنصوص عليه في إعلاني " مالطا وطوكيو " من العام ٢٠٠٦م، واللتا أكدتا على حق الأسير أينما كان أن يختار وسيلته النضالية وخاصة إذا ما كانت بوسيلة سلمية، ومنها الإضرابات المفتوحة عن الطعام(١).

وهذا الأمر يقودنا " لتحريم التغذية القسرية "، كمخالفة قانونية، لجأت اليها دولة الاحتلال في منتصف ٢٠١٤م، بقرار من الكنيست الإسرائيلي، الذي أعطى سلطات الاحتلال صلاحية إطعام المعتقلين الفلسطينيين المضربين عنوة، مما شكل خطراً على صحة وحياة المضربين، الأمر الذي يعيد للأذهان ما كان يمارس بحق المضربين بما يعرف بنظام " الزوندا " في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي والتي أدت إلى استشهاد العديد من الأسرى(٢).

في نهاية القسم يمكن القول أن الأسرى المزودون بإيمانهم وعدالة قضيتهم وقناعاتهم بمعركتهم أثبتوا من خلال إشهار سلاح جوعهم وشهدائهم، وأرطال لحمهم أن الكف باستطاعتها أن تهزم المخرز، وأن الإرادة أقوى بكثير من القوة (٣)، وأن قلة الإمكان تهزم الإمكان مهما بلغ ظلمه وجبروته بقوة الحق، فنجحوا بعزيمتهم من انتزاع موافقة إدارات السجون على توفير شروط انسانية وثقافية وصحية واجتماعية ضرورية للإبداع(٤)، ولولا تلك التضحيات الكثيرة خلال مسيرة اعتقالهم الطويلة والمتكررة لما تحققت الطموحات الكبيرة فى حياتهم.

ونعتقد أن لا مجال لتصور واقع السجون على مدار عشرات السنين بلا إنجازات نتائج الإضرابات المفتوحة عن الطعام كخطوات استراتيجية، فبالإضرابات انتقل واقع الأسرى من أفران إسرائيلية نازية هدفت لصهر القوة النضالية ودفن الروح المعنوية في مقابر للأحياء إلى أماكن تتصقل فيها بنية الرجال الوطنية والثقافية والأخلاقية، وتتربى فيها الأجيال الفلسطينية لتخرج الكفاءات والقيادات المتمتعة بالقدرات والإمكانيات، لذلك يطلق على الإضرابات أُمْ الخطوات الإبداعية، التي ولدت بنتائجها الإبداعات الأخرى على شتى الصعد والمجالات داخل المعتقلات.

---

(١) موقع فلسطينيو ٤٨: http://www.pls48.net/?mod=print&ID=1183555

(٢) أمثال " الأسير الشهيد راسم حلاوة، وعلى الجعفرى، واسحق مراغة، وما لحق بأذى بصحة عشرات آخرين.

(٣) محمد صبحة، فؤاد الخفش: "إضراب الكرامة"، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، ٢٠١٢، ص١٢.

(٤) د سامى الأخرس، كامل مسعود : مرجع سابق، ص٧٠.

وللأمانة العلمية فالإضرابات المفتوحة عن الطعام تفاوتت نتائجها، فلم تكن بمستوى متوازي من الإنجازات، فإضراب ١٩٧٠م يختلف عن إضراب ١٩٩٢م وعن إضراب ٢٠٠٤م وعن إضراب ٢٠١٢م، فكلٌ له ظروفه الذاتية والموضوعية، وبالعموم فمجرد القرار بدخول الإضراب بصورة فردية أو جماعية وخوضه بما يحمل من مخاطر يشكل بلا شك انتصاراً كبيراً للإنسان والحق الفلسطيني على السجان والباطل الإسرائيلي.

في نهاية القسم نرى أن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب، أو المعتقلين المدنيين المشمولين بحماية اتفاقية جنيف الرابعة والمواثيق الدولية ذات الصلة بكل من الوضعين[١]، وفي كلا الحالتين هناك حقوق إنسانية وأساسية يجب توفيرها وتطبيقها لحفظ كرامتهم كأسرى، وتمنحهم حق الاحتجاج والخصوصية في اختيار الوسيلة النضالية السلمية لتحسين ظروف احتجازهم المأساوية لو أخلت الدولة الآسرة بالاتفاقيات الدولية.

وأبدع الأسرى الفلسطينيون في استخدام وسائل احتجاج سلمية وعنيفة منوعة لتحصيل حقوقهم، فالوسائل العنيفة أوجدت معادلة رعب في المعتقلات بين الأسرى وإدارة مصلحة السجون وطواقمها، وردعت السجان من خلال استهداف حياته في حال الاستمرار في إذلال الأسرى والاعتداء عليهم، في حين أن الوسائل السلمية حركت الجماهير الفلسطينية والعربية والمؤسسات الحقوقية والدولية للضغط على الاحتلال لتطبيق مواد وبنود الاتفاقيات الدولية التي أكدت على حقوق الأسرى.

تدريب

- عزيزي الدارس :
- الإضرابات المفتوحة عن الطعام أحد أهم الوسائل الاستراتيجية السلمية في مواجهة انتهاكات السجان، عرَف الإضراب المفتوح عن الطعام، وتحدث عن إحداها ؟؟
- ابحث عن إحدى اللوائح الداخلية للأسرى في السجون، وقم بملخص لما تضمنته من حقوق وواجبات على الأسرى؟

(١) نداء البرغوثي: مرجع سابق، ص٧٢.

أسئلة التقويم الذاتي :

- وضح أهمية المؤسسات الاعتقالية في اتخاذ القرار الجماعي في السجون ؟؟
- هناك عدد من اللجان العاملة في السجون، ما هي أهم اللجان في عملية اتخاذ القرار ؟؟
- اذا مررت بتجربة الاعتقال، ومارست إحدى الوسائل النضالية والاحتجاجية ضد إحدى الانتهاكات التي تمارسها إدارة مصلحة السجون بحق الأسرى خلال الاعتقال، فاكتب تجربتك الشخصية والموقف الذي عايشته، أو تجربة أحد المقربين من المعتقلين المحررين عبر مقابلة شخصية في حال عدم التجربة الشخصية ؟؟
- الخطوات النضالية في السجون متعددة، صنفها، مع مثال على كل واحدة منها ؟؟
- في تقرير أنقل تجربة أحد الأسرى الفردية في مواجهة الاعتقال الإداري؟
- تحدث عن إضراب ٢٧ /١٩٩٢/٩م الجماعي، وبين نقاط القوة التي كانت أساس نجاحه؟

الخلاصة

نعتقد أن أهم إنجاز حققه الأسرى في السجون هو بلورة الهياكل التنظيمية، التي هيئت كل الظروف والأجواء لانطلاق كافة أشكال الإبداع للحركة الأسيرة، والتي حكمت جميع العلاقات وضبطتها بلوائح وقوانين، وحددت لكل منها المهام والأهداف.

ويعتقد أن المظاهر الإبداعية للأسرى والمعتقلين في مواجهة السجان هو تسلحهم بعدالة قضيتهم، واحتكامهم للقانون الدولي والإنساني في عملية الرفض، والاحتراف في المواجهة من خلال مناقشة جماعية مستفيضة عبر مؤسسات اعتقالية للظروف العامة والسياسية المحيطة، واستخدام كل الوسائل والتفكير بجميع البدائل، والانتقال من مرحلة تكتيكية إلى أخرى استراتيجية، ومن وسيلة سلمية بسيطة إلى وسيلة عنيفة معقدة، وانتقاء الفرصة المواتية لبدء المعركة، وشكلها، وأدواتها المتفرعة والموزعة في الجانب الحقوقي والإعلامي والجماهيري، وتهيئة المتضامنين الفلسطينيين والعرب والأحرار من العالم لمساندتهم ودعمهم في خطواتهم التي يعلنون عنها ويجهزون لها عبر الاتصالات المسبقة مع الشخصيات والقيادات والفصائل والمؤسسات الداخلية والخارجية، المحلية منها والدولية.

ويرى من عمق التجربة لهذه المعارك النضالية "الإضرابات المفتوح عن الطعام" وبما تحمل من

معاناة وعذابات وصبر وانتظار للنصر، ومن جهد المفاوضات المضنية مع عدو أكثر شهرة على طول التاريخ بقضايا التسويف والتلكؤ والمكر والخديعة والالتفاف على الحقائق وتزوير الواقع، أن الإضرابات المفتوحة عن الطعام في السجون تمثل ذروة سنام العملية الكفاحية والمقاومة السلمية.

فبالإضرابات المفتوحة عن الطعام هزم الأسرى بأمعائهم جبروت السجان، وانتزعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة حقوقها من مخالب القهر والظلم المتمثلة بإدرة مصلحة السجون الإسرائيلية.

لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية "

بعد أن اطلعت عزيزى الدارس على الوحدة الرابعة " البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة الاحتلال " فإنك في الوحدة التالية ستتعرف على مظاهر أخرى لإبداعات الأسرى الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية، والتي لم يسبق لها مثيل في حركات التحرر العالمية كأطفال النطف المهربة وسفراء الحرية كحالة نضالية مستجدة في السجون العالمية، وحضور الأسرى في المشهد السياسي " وثيقة الأسرى نموذجاً "، والحديث عن أدب السجون "من حيث التعريف والخصائص والمميزات"، نتمنى لك فائدة كبيرة بطرح هذه الموضوعات.

مسرد المصطلحات

- الإضراب المفتوح عن الطعام: يعرف أيضاً بمعركة الأمعاء الخاوية وممكن أن يكون فردي أو جماعي ومطلبي لتحسين شروط الحياة أو سياسي بهدف الحرية، ويعد خطوة سلمية لإبراز مطالب الأسرى ومشروع دوليًا، وهو قرار يقضي بعدم تناول كافة أشكال المواد الغذائية باستثناء الماء والملح حتى تحقيق المطالب، وقد تلجأ إدارة مصلحة السجون لإرغام الأسير أثناء إضرابه على تناول المدعمات والفيتامينات عن طريق التغذية القسرية بطريقة عنيفة وخطيرة محرمة دوليًا قد تودي بحياة المضربين (١).

- الاستراتيجية والتكتيك : الاستراتيجية هي التعرّف على أفضل طريقة لبلوغ الهدف والتوصّل

(١) ابراهيم أبو الهيجا: المنسيون فى غياهب الاعتقال الصهيونى، جمهورية مصر العربية، مركز الاعلام العربى، ٢٠٠٤: ص١٦٠.

إلى أنجع طريق يؤدي إليه في أحسن الظروف الممكنة من خلال استغلال نقاط القوة والتغلّب على مناطق الضعف (١) ، واستعملت كلمة استراتيجية قديماً في الاستعداد والتهيؤ للحرب بتحديد خطة حركات الجيش بشكل عام لتحقيق هدف معين وهذه الكلمة لغوياً تعني فن الجنرال وهي ذات مصدر يوناني STRATEGOS وتتميز الاستراتيجية عن التكتيك لعموميتها فالأولى هي المسؤولة عن مجموع الحرب المعتبرة ككل غير قابل للتقسيم هدفها النصر في حين أن التكتيك يعني حركة القوى في حضور العدو بميدان المعركة في عملية أو اشتباك معين ولما كانت المعارك والحروب عامة لا ترتبط فقط بالجيش أو الجيوش المتقابلة وبميدان الحرب بل بعدد من العوامل والأطراف مثل الارتباط بخطوط الإمداد والتموين وبخطوط الاتصال والمعلومات والجانب المعنوي للحرب الذي قد يكون لد الدور الحاسم في النهاية (٢) .

اللجنة الوطنية العامة: تحمل أسماء متعددة مثل " اللجنة الوطنية العامة أو اللجنة النضالية العامة أو اللجنة الاعتقالية العامة " تضم ممثلين لكافة الفصائل المتواجدة في السجن، وتجتمع بشكل دورى أو عند الحاجة، ويرأسها ممثل الفصيل الأكبر، وتتخذ القرارات فيها بالتراضي أو بالأغلبية، ومهمتها اتخاذ القرارات والخطوات بهدف تحقيق الحقوق للأسرى، والحفاظ على الإنجازات التى تم تحقيقها سابقاً، والاتفاق على الغرف ومرافق العمل بين الفصائل.

واللجنة الوطنية العامة تعمل وفق لائحة متفق عليها بين الفصائل الموجودة في المعتقل، وعلى الاتصال في مواقع الأسرى الأخرى في الشؤون الاعتقالية العامة ، وعلى إصدار البيانات الجماهيرية، والبيانات الاعتقالية الجماعية، ويقع ضمن مهماتها البت في الإضرابات والخطوات النضالية الأخرى، كما تشرف على الصندوق المالي عبر لجنة خاصة تابعة لها، وكذلك تنشىء لجنة ثقافية عامة في بعض الأحيان، ولجنة نضالية لتنسيق النشاطات الرياضية الجماعية

---

(١) نقلا عن موقع المنسيون

http://www.almansiuon.com/articles/article.php?

تم التوثيق في ١٤٢٨/٣/١١هـ ٣٠مارس٢٠٠٧م الساعة ٨:٠٠مساء

الكاتب / حسن الرشيدي

(٢) نقلا عن موقع منتديات ستار تايمز

http://www.startimes2.com/f.aspx?t=3173332

للمعتقلين، وتشرف على إصدار المجلات الثقافية العامة والاحتفالات، بالإضافة لإشرافها على عمل لجنة الحوار مع إدارة المعتقل (١).

- اللجنة الثقافية :ممكن أن تكون " لجنة ثقافية عامة ، أولجنة ثقافية تنظيمية فصائلية " ومهمتهما الإشراف على رفع المستوى الثقافي للأسرى من خلال وضع الخطط الثقافية المناسبة لهم، والسهر على تنفيذها، وتقوم بتحديد مستويات الأسرى الثقافية، وتوزيعهم على خلايا متدرجة تنازلياً والإشراف على الجلسات الثقافية في مجالات مختلفة وفق الخطة الاعتقالية أو التنظيمية وحاجة الأسرى، وتقوم بتعميم النشرات والتحاليل السياسية، والتعاميم ، وتقوم اللجنة الثقافية باستقبال تقارير الموجهين في الأقسام والغرف ، وإعداد التقارير ، وتشرف على عقد وتنظيم الجلسات ، كما وتقوم بكتابة المواضيع الثقافية والفكرية في مجلات عامة أو فصائلية .
- اللوائح والأنظمة الداخلية: هي قوانين ونظم ترقى لمرتبة الدستور الناظم لحياة الدول والمجتمعات الطبيعية، وتحظى اللوائح والأنظمة الداخلية باحترام وتقدير كبيرين بين كافة الأسرى، وتشكل مرجعيتهم المتعاقد عليها لفض المشكلات التى تواجههم (٢).

- الصندوق الاعتقالى العام: هو مصطلح افتراضي لمهمة حساسة، تتكون من إدارة الواردات من " دكان الأسير – الكانتين " بعد عدها وحصرها وتقيدها في سجل خاص يكون في عهدة الأسير المكلف (٣).– المتوافق عليه من الفصائل أو حسب الفصيل الأكبر – بالقيام بهذه العملية ، وله مساعدون يسمون بأمناء الصندوق الاعتقالي .

(١) خالد الهندى: مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب الجزء الأول ، ص٥٧ .

(٣) المصدر نفسه، ص١٤١.

الوحدة الخامسة

إبداعات الأسرى في السجون الاسرائيلية

محتويات الوحدة

1.1 تمهيد

أهلاً بك عزيزي الدارس في الوحدة الخامسة " إبداعات الأسرى في السجون الإسرائيلية " من مقرر " تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة "، التي نأمل أن تكون ذات فائدة لك.

ومهم الذكر أن مظاهر إبداع الأسرى في السجون كثيرة، على صعيد إنجازاتهم الشخصية، وبلورة المواقف والخطوات النضالية والاعتقالية (١) ، كنجاح ظاهرة أطفال النطف المهربة كحالة نضالية مستجدة في السجون الإسرائيلية، وحضور الأسرى في المشهد السياسي وبلورتهم لوثيقة الأسرى كأساس للمصالحة والوحدة الوطنية، وأدب السجون وسماته الجمالية وصفاته وخصائصه، ولقد تميز الأسرى في السجون بالمثابرة القمعية والقدرة على التكيف مع المحيط والتقلبات رغم التنقلات وكثرة المتغيرات، والتطلع بنظرة تفاؤلية للمستقبل، والقراءة الجيدة للماضي، وأخذ العبرة من التجارب السابقة، وقراءة واعية للواقع، واستشراف للمستقبل مع اليقين بالنصر والحرية، وجميعها مواصفات للشخصية المبدعة (٢).

أهلاً بك عزيزي الطالب مرة أخرى في وحدة " ابداعات الأسرى في السجون الاسرائيلية " ، ونأمل

---

(١) زاهى وهبى: مرجع سابق، ص١٣١.

(٢) أنظر:

د وليد العياصرة: مرجع سابق، ص١٣٥.

dinca.m.(1993) .personality traits as interface between the creative potential and creativity.Revue romance do psychologies,vol.37(2) ,PP 145-152.

Elder,linda and Paul ,Richard(2001) .Critical thanking: Thanking to some purpose.journal of developmental Education ,25(1) ,PP 40-42.

Olson ,J.(1999.What academic librarians, librarisanship should know about creative thanking journal of academic , librarisanship ,25.(5) .PP383-390.

Richard, T. 1990. Creativity and problem solving at work.England gower company limited.

Schank , G(1993) .Effects of A creative problem solving curriculum on students of varying Ability levels. Gifted Quartelrly ,vol.37,no.1.PP.32-38.

أن تشكل لك هذه الوحدة ركيزة أساسية في فهم امكانيات وقدرات الأسرى على التحدي والصمود المتمثلة بأسطورة الإنجاب من داخل الاعتقال كثورة إنسانية في وجه السجان، والدور الوطني والتدخلات من قلب المعتقلات لفض النزاعات وحالة الانقسام الفلسطيني بوثيقة الأسرى وأدب السجون وما يحمل من " خصائص ومميزات " .

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الطالب بعد دراستك لهذه الوحدة ، والقيام بملخص لأهم النقاط والمحتوى، والقيام بالتدريب وحل الأسئلة والتعرف على أهم المصطلحات، والقيام بعدد من زيارات أبناء النطف المهربة، والتعرف على اصرارهم على الحياة، ودراسة " وثيقة الأسرى " التي خرجت من السجون، نأمل عزيزي الطالب أن تتعرف على حرص الأسرى على الحياة كباقي البشر، وانتمائهم للقضية، وحفاظهم على الإرث النضالي والثقافي الفلسطيني، ونتمنى أن تستمتع بأدب السجون وجمالياته ومصداقيته وما يحمل من انتماء ووطنية وتجارب نضالية واعتقالية.

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس تشتمل الوحدة الخامسة على ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

القسم الأول: أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون الإسرائيلية
القسم الثاني: حضور الأسرى في المشهد السياسي " وثيقة الأسرى نموذجاً "
القسم الثالث: أدب السجون "الخصائص والمميزات"

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس حاول أن تنوع مصادر معلوماتك من خلال العودة للمصادر التالية لتتعرف أكثر على إبداعات الأسرى المختلفة :

جميل السلحوت، "أدب السجون"، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

حسن عبد الله، "الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين"، القدس، نقابة الصحفيين الفلسطينيين، ٢٠٠٥م.

عبد الحق شحادة: أوراق من خلف جدران الأسر، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ٢٠١٠م.

سلمان جاد الله، "أدب المواجهة"، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين، ٢٠٠٠م.

نائل إسماعيل: الأَسَاليب الإنشائيَّة في شعر الأسرى الفِلَسْطينيين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣م.

مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، "موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب"، جامعة القدس، فلسطين، القدس، ٢٠١٤م.

مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة : سلسة مؤتمرات إبداعات انتصرت على القيد " بتواريخ متعاقبة " .

مفيد عرقوب، حسين الدراويش: صورة السجين والسجن والسجّان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة :

تحتاج عزيزي الدارس للاستفادة من هذه الوحدة أن تدرك الحالة النفسية والغريزة بتحقيق الإنجاب لكل مخلوق على الأرض، وتتعرف على انتهاكات السجان ومساعيه لحرمان الأسرى الفلسطينيين من غريزة النسل، وتطالع بنود وثيقة الأسرى كاملة كما خرجت من السجون، وأن تحاول مطالعة بعض إنتاجات الأسرى من أدب السجون للتعرف من خلال هذه المطالعة على سمات هذا الإنتاج الأدبي وما يحمل من مميزات وصفات.

ومهم الاستعانة بالأسرى المحررين عبر لقاءات للتعرف على تلك التجارب منهم مباشرة، وتستمع إلى انتهاكات السجان بحقهم على الصعيد الأدبي، ومهم تهيئة الجو الدراسي الملائم، وقراءة الوحدة قراءة متأنية، والاستعانة بالقراءات السابقة .

القسم الأول

أطفال النطف المهربة حالة نضالية مستجدة في السجون الاسرائيلية

سفراء الحرية، أطفال النطف المهربة، الإنجاب من داخل السجون "، جميعها مسميات تدل على أحدث معركة إنسانية مستجدة لصناعة الحياة، حكاية بدأت بفكرة، وانتهت بحقيقة رغم كل قيود الاحتلال، معركة اعتمدت على حرب الأدمغة بين الأسرى والسجان، قوامها التطلع للحياة بعين متفائلة، وأبطالها أناس مظلومين عزَّل امتلكوا سلاح الإرادة والصمود والأمل بالمستقبل، يفكرون ويخططون ويبتكرون ويبدعون، في وجه إدارة ظلامية تألقت في صناعة الموت، ورغم كل الممارسات والقيود والوسائل الأمنية أخفقت في كسر إرادة الأسرى وحرمانهم من حقوقهم الأساسية " بالإنجاب وتحقيق غريزة الأبوة مثل باقي البشر.

ظاهرة تهريب النطف برزت في أوساط الأسرى الفلسطينيين المتزوجين، ومن أمضوا فترات طويلة، ومن ذوي الأحكام العالية، ممن حرموا تكوين أسر وإنجاب ذرية بسبب قيام الاحتلال الصهيوني باختطافهم واعتقالهم من بين أهلهم وذويهم وزوجاتهم، وتشير الإحصائيات أنّ ٣٠- ٤٠% من الأسرى في السجون من هم متزوجون، هذا يعني أن العقوبة ستكون مضاعفة مرات بحقه وبحق وزوجته بالإضافة لعائلته، وبهذا سيقع العقاب على ما ليس له أي جانب في الفعل، وخاصة على الزوجة التي تشعر بالوحدة بسبب غياب الزوج لسنين طويلة، ولأنه الحق الفلسطيني والتحدي لهذا السجان قرر عدد من الأسرى القيام بتهريب نطفهم خارج السجن عبر طرق وأساليب لا تخطر على بال بشر، من أجل الحصول على ذرية، وتكوين أسر وبناء حياة عائلية رغم الغياب القصري عن المجتمع[١].

في هذا القسم سنتناول قضية غريبة عجيبة، كانت حلماً وأصبحت خاطراً ثم احتمالاً، وأضحت بإرادة وإصرار حقيقةً لا خيالاً، وسنتطرق إلى بدايات الفكرة، وتطورها، وأسبابها، وشروطها، وآثارها على مجمل قضية الأسرى على المستوى الاجتماعي والإعلامي والحقوقي، وفي فضح انتهاكات دولة الإحتلال وممارساتها العنصرية، وردود فعل إدارة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلي بالتعامل معهم ومع أطفالهم الذين أنجبوا وهم خلف القضبان.

(١) محمد أحمد عطا الله: أطفال يولدون رغم السجان، سفراء الحرية، غزة، فلسطين، الناشر موقع مفوضية الأسرى والمحررين، ٢٠١٥، ص١ .

أولاً–جذور الفكرة وإرهاصاتها:

إنجاب الأطفال للإنسان شيئاً فطرياً، فلا يكاد يوجد من لا يحب أن يكون له أبناء، كونهم زينة الحياة الدنيا، فقد تجد من يبذل أعز ماله من أجل الحصول على طفل لكي يتحقق له شعور الأبوة، وهذا الشعور يشترك فيه الذكر والأنثى، الغني والفقير، والحر والأسير، وإذا كان هذا الشعور متحققاً للإنسان الذي ينعم بالحرية، والذي بإمكانه أن يتزوج، ويعيش حياته الطبيعية، فكيف بالأسير الذي لا يلتقي بأهله على فترات بعيدة وغير منتظمة إلا من خلف الأسلاك والقضبان[١]؟ ومن هنا بدأت الحكاية والتفكير والنقاش المعمق للقضية وعلى فترات طويلة مكثت ما يقارب من العقدين من الزمن.

وفي أعقاب القيود والممنوعات الإسرائيلية، والتخوفات الأمنية لخيار "الخلوة الشرعية"، والمحاربة الإسرائيلية لأي خيارات بإخراج النطف والتلقيح الصناعي بطرق رسمية، بدأ الأسرى يفكرون بطرق إبداعية بديلة لتحقيق الإنجاب كحق إنساني، فبرزت فكرة الإنجاب عن طريق " النطف المخزنة [٢]، ومن ثم بدأت فكرة تهريب النطف من السجون[٣]، ويمكن إرجاع أول محاولات تهريب للنطف إلى العام ٢٠٠٢م [٤] ولم تنجح حينها بسبب " قلة خبرة الأسرى في حفظ حياة الحيوانات المنوية وتوصيلها للخارج، والإمكانيات العلمية والمهنية في قضية الزراعة والتلقيح في فلسطين وتهيئة الإرشادات الطبية والتحضير للعمليات، وتوفير الظروف والمناخات الاجتماعية والنفسية والوطنية للفكرة ".

وفيما يتعلق ببعض عوامل النجاح لم تتوافر الأنابيب الحافظة للنطف المهربة في السجون، وبعثتها للأسير روحي مشتهى الذي لم تنجح محاولته لربما لأسباب لها علاقة بظروف الزيارات، أما عن طرق التهريب التي تم الإعلان عنها وكشفها من قبل الاحتلال، فكانت عبر هدايا الأسرى

---

(١) نائل رمضان: مرجع سابق، ص١٠٣.

(٢) من قبل الأسير عباس السيد مواليد ١٩٦٦، من طولكرم، والمحكوم بالمؤبد ٣٦ مرة، كونه خزّن عينات قبل اعتقاله فى العام ١٩٩٧م فى أحد المراكز المتخصصة بهدف الإنجاب عن طريق زراعة الأجنة، ولقد اقترح على زوجته أثناء الاعتقال استخدام العينة المودعة فى المركز الطبى، ورغم عدم تقبلها للأمر فى بداية الأمر إلا أنها عاودت التفكير وقررت الإقدام على التجربة رغم ما قد تسببه من حرج اجتماعى، معتبرةً أنها تؤدى رسالة انسانية

(٣) أجرى معد المقرر الأسير إياد أبو فنون قبل تحرره من الأسر فى العام ٢٠١١م خلال كتابة رسالته بعنوان " زواج الأسير وطلاقه والمستجدات فى ذلك " استطلاعاً فى قسم ٣ بسجن هداريم، الذى يضم عينة تقدر ب (١٢٠) أسير من ذوى الأحكام العالية من معظم الفصائل الوطنية والإسلامية، وشارك فى الاستطلاع ٨٤%، وامتنع ١٦ % وأشارت النتائج إلى أن ٦٥% من المتزوجين ممن لم ينجبوا قبل الاعتقال يفكرون بالإنجاب وهم داخله.

(٤) الأسير المحرر جبر وشاح: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/٤/٢٥.

لذويهم يوم الزيارات، وذلك بوضع النطف مكان نواة التمر، أو داخل حبات الشوكلاتة والحلويات، وطرق لا زالت غير مكتشفة ولم يتم الإعلان عنها بَعْد لاستمرار نجاح الظاهرة.

- **أول سفير حرية من السجون:**

سجلت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أول انتصار في إنجاب الأطفال عن طريق النطف المهربة في ١٣ أغسطس / آب ٢٠١٢م، وكان أول سفير للحرية " الطفل مهند " ابن الأسير عمار الزبن، المحكوم بـ (٢٧ مؤبداً و٢٥ عاماً)، ولم يقدم المركز الذي أجرى عملية التلقيح حتى تهيأت الظروف الاجتماعية، وبعد الحصول على فتوى دينية رسمية، واحتضان مجتمعي، وبمباركة عدد كبير من المؤسسات والقيادات الفلسطينية الوطنية والإسلامية، وبدعم من كوادر الحركة الوطنية الأسيرة في السجون، وحينما طلبت زوجة الأسير عمار الزبن من المركز القيام بهذه العملية في العام ٢٠٠٦م، تم تأجيل الموضوع ليتم أخذ الموافقة من الجميع، وتتهيأ كافة الظروف والأجواء الاجتماعية والعائلية والمؤسساتية للأمر، وقام المركز بالعملية بعد القناعة باستكمال كل المتطلبات في العام ٢٠١٢م، أي بعد ٦ سنوات من الطلب[١].

وبهذا تحول الأسير عمار الزبن وطفله الأول مهند عنواناً لمرحلة جديدة، وأساساً لبداية انطلاقة نوعية، نحو تعميم التجربة والانتقال من الانتصار الفردي إلى الانتصارات الجماعية، وانتزاع لحق سلبته إدارة السجون الإسرائيلية، وأقرته المواثيق الدولية وكفلته الشريعة الإسلامية، انتصار هو الأول، شجع الآخرين ومهد الطريق وشكل عنواناً لمعركة جديدة ضد الاحتلال والسجان، فانتشرت ثقافة القبول بالتخصيب، وغدت ظاهرة توشك أن تعم السجون، فمن الأسرى من سجل نجاحات مماثلة، ومنهم من تنظر زوجته استكمال فترة الحمل لتضع مولودها، ومن الزوجات من ينتظرن إتمام التحضيرات الطبية لإجراء عملية التلقيح، لكن ثقافة تهريب النطف، انتشرت وسوف تنتشر أكثر، وسوف تلاقي تأييداً واسعاً فيما بعد، من رجال الدين والسياسة وأطراف الحركة الأسيرة قاطبة، ولقد تكررت التجربة من بعد، حتى غدت ظاهرة لافتة وثورة من أجل الحياة[٢]، ولقد سجل التاريخ أن أول عملية تهريب من السجون كان بطلها الأسير عمار الزبن، وأول سفير للحرية ابنه " مهند ".

ونرى أن أطفال النطف منحت الزوجة ثقة الاستمرار بالحياة الزوجية مع زوجها الأسير، وجنبتها قهر زواج زوجها بعد الإفراج عنه بحثاً عن الإنجاب، وخففت الضغوط الاجتماعية عليها للبقاء

(١) د سالمأبو خيزران مسؤول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصى نابلس: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/٤/٢٥.

(٢) عبد الناصر فروانة: مرجع سابق، ص٣٤٨.

على عهد التواصل مع زوجها رغم الأحكام العالية، وقضت توق الأسير لغريزة الإنجاب الذي حاول الاحتلال من خلال اعتقاله قطع النسل.

إن عملية تهريب النطف تعد إنجازاً وطنياً وإنسانياً وحقوقياً كبيراً، ووصفها رئيس هيئة الأسرى والمحررين عيسى قراقع بأنها تمثل إنجازاً كبيراً وتحدياً للظروف القاسية التي يعيشها المعتقلون الفلسطينيون، فإنجاب الأطفال عن طريق التخصيب أقوى رسالة حياة على جوهر الأسرى الذين يتطلعون إلى المستقبل والحرية[١]، ووصف ظاهرة النطف المهربة بثورة التحدي الإنساني، واختراقاً لكل أشكال العزل والظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها الأسرى بالسجون، ورسالة حياة عميقة للعالم تقول: " بأننا نحب الحياة ولا نريد سوى أن نعيش كبشر لنا أطفال وبيت وعائلة، وهذا هو هدفنا الإنساني والوطني والنضالي، وأضاف: أن الأسير اثبت أنه إنسان له الحق في الحياة والحرية، رداً على كل أشكال التعسف الإسرائيلية التي تسعى إلى تجريده من إنسانيته وتشويه صورته، حيث يرى الأسير في طفله القادم نبض حياة متجددة في الوقت الذي تقوم به إسرائيل بقتل واعتقال الأطفال الفلسطينيين، وهي رسالة أخلاقية من الأسرى بامتياز "[٢].

ومن النتائج الإيجابية لظاهرة تهريب النطف أنها سلطت الضوء على القضايا الإنسانية للأسرى بشكل كبير في العالم، وأظهرت العنصرية التي يتعرض لها المعتقلون السياسيون القابعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي[٣]، ونرى أن سفراء الحرية، أبناء النطف المهربة حملوا رسائل عدة للعالم، رسالة مطالبة لتجريم سياسات الاحتلال التي تتعامل مع آبائهم بكل تلك الوحشية من الأحكام الردعية الخيالية، واعتقالهم في ظروف غير آدمية وغير إنسانية، وعلى العنصرية وسياسة التمييز في السجون ما بين اليهودي والفلسطيني في كافة التعاملات والحقوق والممارسة، وأن الاحتلال يحرم آباءهم من حقوقهم الأساسية وعلى رأسها حق الإنجاب والتعليم والعلاج والتواصل مع الأهل عبر الزيارات المنتظمة، وإنهاء العزل الانفرادي والأحكام الإدارية بدون لائحة اتهام وبملفات سرية، ويحملوا ملف الأسرى بكل مكوناته وانتهاكات الاحتلال بحقهم للمؤسسات الحقوقية والإنسانية المحلية والعربية والدولية.

---

(١) موقع الحدث الفلسطيني:

http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

(٢) وكالة معاً الإخبارية: http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=750977

(٣) موقع الحدث الفلسطيني: مصدر سابق،

http://www.alhadath.ps/article.php?id=a02504y10495236Ya02504

القسم الثاني

حضور الأسرى في المشهد السياسي " وثيقة الأسرى نموذجاً "

المتغير السياسي، هو الذي أدخل العديد من المفاهيم في المجتمع الفلسطيني بشكل عام، وعلى الحزب السياسي بشكل خاص، وكان له انعكاسه في الحركة الأسيرة وأثره على الأداء التنظيمي للمعتقلين، فالحركة الأسيرة منذ بداية نشأتها تعيش في حالة من الاستنفار المتواصل، وتشعر باستمرار المعركة المحتدمة، وانتقلت من حالة إلى حالة بمد وجزر وفق المتغير السياسي ومدى قوة جبهة النضال الفلسطيني والعربي الخارجي في معركتها النضالية مع الاحتلال الإسرائيلي، فتأثير هزيمة حزيران عام ١٩٦٧م، تختلف عن مرحلة انتصار أكتوبر ١٩٧٣م على المستوى العربي، في الأولى حاول السجان إهانة الأسرى في كل تفاصيل حياتهم، وفي الثانية استطاع الأسرى الصمود بكل قوة وجبروت أمام إدارة السجون وسياساتها القمعية، وكانت بداية إرساء دعائم التنظيمات والعمل الجماعي والخطوات النضالية في السجون، كما أن انعكاس انتفاضة ١٩٨٧م، يختلف عن اتفاقية أوسلو في العام ١٩٩٣م، ففي الأولى استطاع الأسرى تحقيق ما لم يحققه الأسرى طوال وجودهم في الاعتقال، وكانت ذروة الانتصار، في حين تعلق الأسرى بالحرية في أعقاب اتفاقية أوسلو مما كان له الأثر السلبي على واقعهم الثقافي والإداري، ويختلف تأثير انتفاضة ٢٠٠٠م، عن الانقسام الفلسطيني في العام ٢٠٠٧م، ففي الأولى دخل الأسرى للسجون موحدين في أعقاب عمليات بطولية فرضت هيبة الأسرى على السجان، في حين استغلت إدارة السجون واقع الفرقة الفلسطينية في الخارج، وقسمت الأسرى وفق الانتماء السياسي، مما أدى إلى تراجع الموقف الاعتقالي التاريخي الموحد أمام السجان وتراجعت قوة الحركة الأسيرة وفق ذلك المتغير السياسي.

في هذه القسم سنركز على أحد أبرز التأثيرات السياسية من جانب الأسرى وحضورهم، والمتمثل " بوثيقة الأسرى " في مايو/أيار ٢٠٠٦م، والتي توصل إليها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة " باسم كافة الأسرى للوصول إلى المصالحة الفلسطينية كأساس لمواجهة الاحتلال على قاعدة الوحدة والمشروع الوطني.

بلا شك أن الحركة الوطنية الأسيرة في سجون الاحتلال لعبت دوراً فريداً ومميزاً في المصالحة الوطنية الفلسطينية، من خلال إصدارها وثيقة الأسرى بعد حالة الاقتتال والانقسام السياسي الذي وقع بين حركتي حماس وفتح، وقد جاءت وثيقة الأسرى [١] أو " وثيقة الوفاق

(١) أنظر ملحق نصوثيقة الأسرى كاملة: ص٢٨٤.

الوطني " لتشكل رافداً يؤسس لحوار وطني شامل يُبنى عليه في إعادة اللحمة الوطنية لمؤسسات السلطة الوطنية وفصائل العمل الوطني الفلسطيني، وفي التاسع من مايو / آيار ٢٠٠٦م تم الإعلان عنها باسم الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في السجون الإسرائيلية [١].

كما سبق من ذكر، قرأ الأسرى المأزق الفلسطيني قبل وقوعه، وشاهدوا نهاية النفق المظلم قبل الدخول إليه، فحذروا القوى الفلسطينية من الانجراف نحوه كونه سيقوض أسس المجتمع الفلسطيني وركائزه، ولن يكون إلا لصالح العدو الإسرائيلي ومشروعه الصهيوني.

وبدأ نقاش مستفيض ومعمق بين الأسرى القادة للبحث عن أقوى وأضعف سبل التقاطع والاختلال في الساحة الوطنية[٢] للوصول إلى أفضل صيغة جامعة للاتفاق على برنامج وطني موحد للعمل السياسي الفلسطيني، واستمرت الحوارات داخل المعتقل لمدة شهرين كاملين، ما بين نقاش وحذف وإضافة للأفكار، وكتابة مسوداتها وتعديلها، إلى أن خرجت الوثيقة بالشكل المعروف لأبناء شعبنا، ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الأسرى القادة [٣] كلهم تعاونوا بشكل مثمر وبنَّاء في صياغة تلك الوثيقة الهامة [٤].

رابعاً–وثيقة الأسرى:

---

(١) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص١٤٥ .

(٢) القيادى فى الجبهة الديمقراطية مصطفى بدارنة أحد صناع وثيقة الأسرى وصف بعد تحرره فى صفقة وفاء الأحرار متابعة الأسرى للأوضاع المتفاقمة فى الخارج بالقول " كنا كأسرى نراقب ونتابع بكثير من القلق والخوف حالة الصراع المحتدم على السلطة والنفوذ، بعد حالة الاستعصاء التي بدأ يعيشها النظام السياسي الفلسطينى فى أعقاب انتخابات المجلس التشريعي الثانية ٢٠٠٦، والتى كانت تنذر بمخاطر الحرب الأهلية، وهذا ما دفعنا لأن نبادر قبل بدء أعمال مؤتمر المصالحة في رام الله أيار/٢٠٠٦ بشهرين تقريباً لتدارس الحالة الوطنية باتجاه بلورة مشروع سياسي وطني نقدمه باسم الحركة الأسيرة للقوى الوطنية خارج المعتقل، ومع بلورة فكرة مؤتمر المصالحة أسرعنا في إنجاز وثيقة الوفاق الوطني لنقدمها لطاولة الحوار الوطني في ذلك المؤتمر، كنت الوحيد فى قسم آخر من السجن، ولكن هذا لم يمنع تواصلي مع الآخرين إلى أن تم إنجاز صيغة نهائية للوثيقة، حيث ساعدتنا بعض الظروف لأن التقي الأخ مروان مباشرة في قاعة زيارة الأهل لتخصيصذلك الوقت للحديث حول تلك الصيغة واعتمادها نهائياً، هذا بالطبع كان على حساب لقائنا وحديثنا مع أهلنا الذين جاؤوا لزيارتنا، الذين لم ينالوا الا بعض الدقائق للحديث معنا ".

(٣) ومن أبرز القادة الذين صاغوا الوثيقة مع التأكيد على مشاركة كوادر وتنظيمات أخرى كانوا ممثلى شعبهم فى مطلب الوحدة الوطنية، وممثلى تنظيماتهم فى وضع خريطة المصالحة الممثلة بوثيقة الأسرى من داخل السجون وهم:

- الأسير مروان حسيب البرغوثى ممثلاً عن حركة فتح.
- الأسير عبد الخالق حسن النتشة ممثلاً لحركة حماس.
- الأسير بسام راغب السعدى ممثلاً عن حركة الجهاد الإسلامى.
- الأسير عبد الرحيم محمود ملوح ممثلاً عن الجبهة الشعبية.
- الأسير مصطفى كامل بدارنة ممثلاً عن الجبهة الديمقراطية وغيرهم .

(٤) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة – جامعة القدس، موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، مرجع سابق، ص٤٤١.

أكدت وثيقة الأسرى في ثمانية عشر بنداً مفصلاً على مجمل القضايا الرئيسية الفلسطينية يمكن ايجازها ، " بتوجيه الخطاب لكل الشعب الفلسطيني في كل مكان وأينما تواجد (في الوطن والمنافي)، وحددت الوثيقة هدفه بتحقيق الحرية والعودة والاستقلال، وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وأكدت على حق العودة ومضاعفة الجهد لدعم اللاجئين، وتحرير جميع الأسرى والمعتقلين كواجب وطني مقدس على الجميع، وطالبوا بتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وانضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها، وأكدوا على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة بمختلف الوسائل، إلى جانب العمل السياسي والتفاوضي والدبلوماسي والاستمرار في المقاومة الشعبية، وتوحيد الخطاب السياسي الفلسطيني، مع ضرورة إجراء إصلاح شامل لمؤسسات السلطة، وتشكيل حكومة وحدة وطنية بمشاركة كل القوى السياسية الراغبة للنهوض بالوضع الفلسطيني محليًا وعربيًا وإقليمياً ودولياً، والتأكيد على أن إدارة المفاوضات هي من صلاحية "م. ت. ف" ورئيس السلطة الوطنية على قاعدة التمسك بالأهداف الوطنية الفلسطينية، والعمل على تشكيل جبهة مقاومة موحدة باسم جبهة المقاومة الفلسطينية، لقيادة وخوض المقاومة ضد الاحتلال وتشكيل مرجعية سياسية موحدة لها، والتمسك بالنهج الديمقراطي والحفاظ على مبادىء الديمقراطية وصونها، ورفض الحصار، ودعوة الحكومات العربية لتنفيذ قرارات القمم العربية السياسية والمالية والاقتصادية والإعلامية الداعمة للشعب الفلسطيني وصموده، والتأكيد على أن السلطة الوطنية الفلسطينية ملتزمة بالإجماع العربي والعمل العربي المشترك، ودعوة الشعب الفلسطيني للوحدة والتلاحم ورص الصفوف، ورفض التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية، ونبذ كل مظاهر الفرقة والانقسام، والتأكيد على حرمة الدم الفلسطيني، والالتزام بالحوار أسلوباً وحيدًا لحل الخلافات، وتطوير المؤسسة الأمنية الفلسطينية بكل فروعها للقيام بمهمة الدفاع عن الوطن والمواطنين في مواجهة العدوان والاحتلال، وحفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ القوانين، وتوسيع دور وحضور لجان التضامن الدولية والمجموعات المحبة للسلام لدعم صمود الشعب الفلسطيني[1]"، وتم التوقيع على الوثيقة باستثناء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي تحفظت على البند المتعلق بالانتخابات والمفاوضات [2].

(١) جمعية الأسرى والمحررين: وثيقة الوفاق الوطنى، مرجع سابق ،ص١ – ١٦.

(٢) الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/news/arabic/2006/5/26

خامساً-الاتفاق على الوثيقة:

رحب الكل الفلسطيني بشكل مبدئي بوثيقة الأسرى كمبادرة من الأسرى في السجون لإعادة الوحدة الوطنية، وأكد الجميع على أهميتها كأساس للمصالحة، وبعد مخاض عسير في أعقاب استئناف الحوارات بين الفصائل نجحت القوى والفعاليات الفلسطينية في ٢٧ يونيو/حزيران ٢٠٠٦م في الوصول إلى اتفاق حول وثيقة نهائية، أطلق عليها " وثيقة الوفاق الوطني " وهي بالأساس وثيقة الأسرى بعد أن أدخلت عليها تعديلات بناءاً على اقتراح بعض أطراف الحوار.

نعتقد أن وثيقة الأسرى تشكل حالة إبداعية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، لأنها تبلورت قبيل الأحداث وقرأت الواقع الفلسطيني ومستقبله قبل حدوثه، ولأنها تمثل حالة الإجماع للقوى والفصائل الفلسطينية داخل السجون في أعقاب نقاشات معمقة ومفتوحة، " ولأنها نجحت في رسم أهداف الشعب الفلسطيني ونضالاته، وآليات وسبل تحقيق هذه الأهداف، كما ترسم منهجاً لإصلاح أوضاع المؤسسة الفلسطينية، وبإجماع القوى الفلسطينية كافة وممثلي المؤسسة الرسمية، وفعاليات المجتمع المدني والقطاع الخاص[١] ".

والحالة الإبداعية للوثيقة أنها مثلت الإطار التوافقي الصالح لبرنامج سياسي ونضالي وائتلافي موحد مشترك، سعى لتشكيل حكومة وحدة وطنية، على قاعدة البرنامج الوطني المشترك، وتجاوز الحالة الانقسامية (٢) ، الأمر الذي تعزز برعاية مصرية ، وإعلان حركة (حماس) حل اللجنة الإدارية في قطاع غزة بتاريخ ٢٠١٧/٩/١٧ ، وحضور حكومة الوفاق برئاسة رئيس الوزراء الفلسطينى رامى الحمد الله إلى القطاع بتاريخ ٢٠١٧/١٠/٢م، لممارسة مهامها وتسليم الوزارات بعد أكثر من ١٠ سنوات من الانقسام على أساس اتفاق القاهرة ٢٠١١ وملحقاته، وتشكيل حكومة وحدة وطنية في إطار حوار تشارك فيه كافة الفصائل الفلسطينية الموقعة .

(١) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص١٥٢ .

(٢) الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/debat/print.art.asp?t=0&aid=69859&ac=1

القسم الثالث

أدب السجون (الخصائص والمميزات)

الأدب أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف وأفكار وخواطر وهواجس الإنسان بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر، إلى النثر المنظوم، إلى الشعر الموزون، لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر[١].

وأَدب السجون والمعتقلات في فلسطين جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، الذي يتطلع للحرية، وهو من أصدق أنواع الكتابة، سواء كان ذلك على مستوى النثر أو على مستوى الشعر، واختلفت التسميات حول النتاج الأدبي في باستيلات العدو، فذهب البعض لتسميته "بأدب الحرية"، أو "بالأدب الاعتقالي"، وحرص آخرون على صبغه بمفاهيم أيديولوجية، فأطلقوا عليه " الأدب الأسير"، وذهب آخرون إلى تسميته "بأَدب السجون"، ولكن الجميع مجمعون على أنه يندرج تحت عنوان:"الأدب الفلسطيني المقاوم"[٢].

وأدب السجون لم يكتب في الصالونات المكيفة، أو في الحياة المرفهة والبساتين التي تصدح في سمائها الطيور المغردة، بل كتب في أجواء من الألم والأمل، وفي ظل المعاناة والصبر والتأمل داخل محرقة العدو[٣]، بين الجدران، ومن خلف القضبان، وثمة فرقٌ بين من يكتبون في الصالونات ومن يكتبون في المعتقلات، ففي الحالة الأولى يأتي أدبهم عاديّاً، أمّا في الحالة الثانية، فيضئ أدبهم بإشراقات جمالية، تضفي حياة روحية متوقِّدة، حيث أن المعاناة والألم مصدراً وحاضنة دافئة للعطاء والإبداع، المشع على طريق الحق والخير والجمال، حيث تتفجر الطاقات الإبداعية من خلال ممارسات القمع اليومية للسجان في أقبية السجون، التي شكلت تربةً خصبة لتفتُّح هذا الإبداع [٤].

في هذا القسم سيتطرق الكاتب لأدب السجون وتفصيلاته، نشأته وعوامل ظهوره، وظروفه ومميزاته، وسماته الجمالية، وأبرز التجارب الأدبية، والكتابات الإبداعية من الشعر والنثر والرواية والقصة والخاطرة والمسرحية والرسالة.

---

(١) موقع أدب المعرفة: http://www.marefa.org/index.php/%D8%A3%D8%AF%D8%A8

(٢) أحمد الريماوي: (٢٠١٣)، الأسري الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين ، ص٢٠.

(٣) محمد عوض: نسمات من خلف القضبان ،غزة، فلسطين، الكلمة للنشلر والتوزيع، ٢٠١٥، ص٨.

(٤) أحمد الريماوي: مرجع سابق، ص٢٧.

أولاً، تعريف أدب السجون:

نعتقد أن أدب السجون جزء لا يتجزأ من الأدب العربي، والأدب الوطني، وأدب المقاومة، والأدب الفلسطيني، وأن الأديب الأسير يحمل صفات الأديب بالمعنى والمضمون، وللإيضاح أكثر وجد من الأهمية بمكان التطرق لتلك التعريفات بالقليل من التفصيل:

- **الأدب:** "هو ما عبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارىء والانفعالات النفسية، التي يشعر بها المتكلم أو المنتج " وهو العلم الذي يضم أصول فن الكتابة النثرية والشعرية المتأثرة بالعاطفة والمؤثرة في العاطفة، والأدب فكرة وأسلوب، مضمون وشكل، فهو فكرة من واقع المجتمع أو من أحلامه، وهو أسلوب فيه براعة وجاذبية ورشاقة وموسيقى، فيتكون من ذلك كله أدب أمة وأدب شعب[١].
- **الأدب العربي القديم:** هو الأدب الذي نشأ في الأرض العربية منذ ما قبل الإسلام، ويرجع الأدب العربي إلى قرنين قبل البعثة المحمدية، وبالتحديد إلى ما بعد القرن الرابع الميلادي.
- **الأدب العربي الحديث:** هو أدب حركة التجديد والإحياء التي دعيت بعصر النهضة منذ القرن الثامن عشر، ونشأ نتيجة الأحداث السياسية أدب وطني للدفاع عن الدول العربية، وأدب قومي يدعو إلى توحيد النضال لطرد المستعمر[٢].
- **الأديب:** هو الكاتب المتفرغ للكتابة الأدبية، والمتمكن في لغته، وعلوم اللغة جميعاً، والمثقف ثقافة واسعة في تاريخ أدبه، وتاريخ آداب كثير من الأمم، ولاسيما المشهور منها، والمطلع على المذاهب الفكرية والمدراس الأدبية، وكلمة الأديب واسعة تشمل الشعر والنثر، كما تشمل الدراسات الأدبية والنقدية، وهي أوسع من كلمة روائي، أو مسرحي، أو شاعر، وليس بسهولة للمطالع والقارىء أن يحظى بهذه الصفة، ما لم يثبت أهلية وجدارة وجرأة في الكتابة، وحسن إنتاج، والأديب متخصص أحياناً في مجال أدبي معين، وقد يتسع به الأفق فيكتب في كل مجال [٣].
- **الأدب الوطني:** هو الذي يشمل كل جنس أدبي، من شعر أو نثر أو خطابة أو مقالة، ويرصد منازع الشعب العربي ضمن هذا النطاق، ويصور مشاعره ومطامحه، وآماله، وآلامه، وهو المعبر عن قضايا الشعب الذي يقطن قطراً معيناً، ويطلق الأدب القومي على كل ما يتصل بالوطن العربي الكبير، وظهور الأدب الوطني سبب الاحساس بآلام الوطن، والغيرة

(١) الدكتور محمد التونجي: المعجم المفصل فى الأدب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩، ص٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٣.

عما يعتريه من أمراض وتفكك وتقصير[١]، ونرى أن أدب المقاومة في زمن الاستعمار يأتي في سياق مفهوم الأدب الوطني والأدب القومي الحديث سعياً للحرية.

- **الأدب العربي المعاصر في فلسطين:** هو تراث فكري ثمين وثروة فنية ضخمة، وحلقة في سلسة الأدب العربي المعاصر، وعلى الرغم من أهمية هذا الأدب وسمو قيمته الفنية لم تتجه إليه عناية الدارسين من مؤرخي الأدب، ونقاده والمتخصصين في الدراسات الأدبية، ويرجع ذلك إلى ظروف فلسطين قبل الكارثة وبعد حدوثها حيث حالت تلك الظروف دون تسليط الأضواء على أدبها بفنونه المتعددة وألوانه المختلفة [٢].
- **أدب المقاومة:** هو الأدب الداعي للحرية والتخلص من العبودية، " فعلى مدى الأجيال كان الأدب أكثر الفنون التصاقاً بالثورات، وأقواها جميعاً في التعبير عنها، وما من ثورة عرفها التاريخ إلا كان الأدب هو الممهد لها، بالخطبة والقصيدة، وبالمقال والقصة والرواية وما إليها، ثم كان بعد قيامها هو الداعي لها والناشر لمبادئها، والمدافع عنها ضد مناهضات الخصوم والأعداء، فإذا استقر أمرها كان الأدب هو الراصد لمسيرتها، والمسجل لخطواتها، والمعبر باستمرار عن تأييد المجتمع لها أو سخطه عليها " [٣].
- **أدب السجون:** يرى الأدباء والنقاد أن أدب السجون[٤]، هو الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن من غير الأسرى أو من المحررين لا يُعَدْ أدب سجون، وممكن تسميته " أدب عن السجون"[٥]، هنالك الكثير من الأدباء ممن اجتهدوا في تعريف " أدب السجون " [١]،

---

(١) الدكتور محمد التونجى: مرجع سابق، ص٧٣.

(٢) د. كامل السوافيرى: الأدب العربى المعاصر فى فلسطين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ص٧.

(٣) عبد الصبور مرزوق :أدب ثورة ١٩١٩، القاهرة، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب ،كلية العلوم، قسم الدراسات الأدبية، جامعة القاهرة، ١٩٧٠، ص١.

(٤) تعريف رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين الأديب والروائى ابراهيم الزنط " المعروف بغريب عسقلانى، والأديب والناقد والمحاضر فى الجامعة الاسلامية د.عبد الخالق العف.

(٥) الأديب والروائى الأسير المحرر شعبان حسونة تطرق فى مقابلة أجراها معه معد المقرر لثلاث مدارس فى تعريف أدب السجون، الأول: هو ما يكتب في الأسر ويهتم بقضايا السجن، وهنا يتم استثناء الأدب العاطفي والبوليسي وغيره من الأنواع التي تكتب في الأسر.

الثانى: هو كل ما يكتب فى الأسر، وهنا يتم استثناء ما كتب عن الأسر من غير الأسرى كرواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف وغيره.

الثالث: هو كل ما يكتب عن السجون وكل ما يكتب بأقلام الأسرى ويميل حسونة إلى هذا التعريف على أن يستوفى الشروط في كتابة الرواية، والقصة، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، والشعر العمودي، وشعر التفعيلة، والشعر المنثور، واختلف المختصون بشمل الخاطرة، والرسالة، والمقال فى هذا الإطار.

الدكتور الشاعر الأسير المحرر فايز أبو شمالة اعتبر أن أدب السجون هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة الإنسانية والتعبير عن ذلك فنياً، وهذا يشمل القصة والرواية والشعر والخاطرة والأغنية والعمل المسرحي، ويتكون من شقين، شق يتعلق بالسجناء أنفسهم، وما كتبوه هم من داخل غرف السجن، وما وثقوه أثناء وجودهم في السجن وحتى بعد خروجهم منه، فالتجربة قائمة، وتنعكس في التعبير لسنوات طويلة الأمد، وشق يتعلق بما عبر عنه الأدباء خارج السجن، ولاسيما أولئك الذين تخيلوا

وجميعها متشابهة في مضمونها وأصولها، ومختلفة قليلاً على الحدود والمساحات، والأجناس والتصنيفات.

واستناداً لكل ما سبق من تعريفات نجد أن أدب السجون في فلسطين هو أدب مقاومة، وهو جزء من الأدب العربي المعاصر في فلسطين، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمي الحديث، لما يحمل من مميزات وخصائص، وحس إنساني وعاطفي، ورقة مشاعر وأحاسيس ومصداقية، وقدرة على التعبير والتأثير، وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ونفرق بين " أدب السجون " المستوفي للشروط الأدبية، وبين " أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى " التي كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية، والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، والكتب في مجالات متنوعة، والترجمات من الصحف الإسرائيلية وغير ذلك من المجالات غير الأدبية.

فيشكل موضوع اعتقال المناضل ونقله من حياة الحرية إلى حياة السجن، مجرد انتقال بالمكان بالنسبة للمعتقل السياسي، وهو يحرص دائماً أن يجعل من قضية اعتقاله ووجوده في السجن مناسبة لطرح قضيته الأكبر والأساسية التي آمن بها واعتقل من أجلها، وفي مختلف التجارب التي مررنا بها في أدب السجون نجد على الدوام بأن المعتقلين السياسيين يشكلون لجنة هدفها إيجاد مختلف الوسائل للاتصال بالعالم الخارجي لكي تطرح عليه قضية اعتقالهم(٢).

والمشترك لكل الشهادات والمذكرات والأعمال الأدبية التي خرجت من السجون للأسرى السياسيين بشكل عام هو التصوير الحي والمكثف لصمود الإنسان الأعزل إلا من قناعاته في

حياة السجن، واستمعوا لها، وعاشوا بوجدانهم تجربة السجناء، وراحوا يعبرون عنها بصياغتهم الخاصة، وأسلوبهم القادر على تصور حياة السجن، والتعبير عنها بشكل فني.

الأديب والروائى الأسير المحرر وليد الهودلى عرَّف أدب السجون فى مقابلة أجراها معه معد المقرر " بما يكتبه الأسرى فى داخل الأسر، أو ما كتبه الأسرى من مذكرات بعد التحرر، أو ما كتب عنهم وعن السجون من غيرهم، فى مجالات الرواية، والقصة، والشعر، والمسرحية، والخاطرة، وألوان الأدب الأخرى، ولا يشمل أدب السجون إنتاجات الأسرى من الدراسات والأبحاث والكتب فى مجالات من غير الإنتاج الأدبى.

الكاتب الأسير المحرر سلمان جاد الله عرَّف أدب السجون فى مقابلة أجراها معه معد المقرر " بالذي يكتبه الأسرى داخل السجون، ويشمل الرواية، والقصة، والشعر، والمسرحية، والزجل، وحتى اللوحات الفنية، وأدب السجون لا يشمل المقالات السياسة والتاريخ، ويمكن أن يطلق عليها أدبيات الفصائل، الأديب الأسير المحرر الدكتور خضر محجز عرَّف الإنتاج الأدبى فى مقابلة أجراها معه " ما يكتبه الأسرى خلال اعتقالهم، حتى لو لم يكن عن السجن، وأدب السجون هو كل إنتاج لغوي كتب فى السجون، واتخذ الأسلوب الجميل وسيلة لإيصال محتوى ما، كالشعر والقصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي، والخاطرة الأدبية ".

(١) أنظر ملحق بعض انتاجات الأسرى من أدب السجون: ص٢٩٥.

(٢) نزيه أبو نضال: أدب السجون، بيروت، لبنان، دار الحداثة، ١٩٨١، ص١٩٩.

وجه آلة القمع وأساليب البطش، وتصوير شكل الصراع القائم بين الجلاد في مواجهة المناضل، السياط والكهرباء في مواجهة العقيدة والايمان، محاولات الإذلال والتركيع في مواجهة محاولات التصدى والصمود، الفرد في مواجهة السلطة.

إن كافة وسائل التعذيب الجسدي والنفسي التي يستخدمها الجلاد أو المحقق تستهدف كسر إرادة المناضل، وفي المقابل فإن المناضل يريد أن يحافظ على شيء واحد هو استمرار قدرته على المقاومة، وبذلك نرى أن أدب السجون يندرج تحت إطار أدب المقاومة في التعريف والمضمون[١].

ولقد أمدنا التاريخ العربي بذاكرةٍ خصبة أثراها عشرات بل مئات الشعراء الذين أُسِروا، وكتبوا قصائدهم في غياهب السجون[٢]، كما يجدر التنويه أن أدب السجون ليس حكراً على الفلسطينيين والعرب فقط، بل هناك آخرون كتبوا داخل الاعتقال[٣]، ولعل أشهرهم الروائي الروسي فيدور دوستوفسكي الذي كتب في العام ١٩٦٢م كتاب " ذكريات من منزل الأموات " بعد تجربة اعتقالية لأربع سنوات خاضها في سجن " أومسك بسيبيريا "، وبعد خروجه من السجن قال " لطالما باركت القدر الذي وهب لي أن أعاني هذه التجربة التي كان لها فضل كبير علي" [٤]، وأمثلة أخرى.

ثانياً–العوامل التي ساعدت في ظهور أدب السجون الفلسطيني:

وصف أ. د. صادق أبو سليمان [٥] " أدب السجون " بما يصوغه الكاتب الأسير في السجون وهو يحيا في مكان بئيس لا يوفِّر لساكنه إلا أبسط المتطلَّباتِ التي تحفظُ له حياته، والذي يخرج من محْبسين: محبس السجن، ومحبس معاناة الأديب الذي ينسج التجربة الأدبية

(١) نزيه أبو نضال: مرجع سابق، ص١٩٩.

(٢) كأبى فراس الحمداني، والمتنبى، وناظم الغزالي(٢)، وعبد الرحمن منيف وروايته المشهورة عن السجون " شرق المتوسط " و" الآن هنا "، ويحيى الشيخ صالح فى أدب السجون، والمنافى فى فترة الإحتلال الفرنسى، وشعر السجون لسالم معروف المعوش، ورواية خطوات فى الليل لمحمد الحسناوى وآخرين.

(٣) كالشاعر التركى ناظم حكمت، وشاعر تشيلى العظيم بابلو نيرودا، والروائى الروسى ديستويفسكى فى روايته " منزل الأموات " وآخرون كثر ممن كانوا تحت الاحتلال واعتقلوا.

(٤) نزيه أبو نضال: مرجع سابق، ص١٩٩.

(٥) أستاذ علوم اللغة العربية، جامعة الأزهر بغزة، عضو مجمع اللغة العربية المراسل القاهرة

كلمات وجملاً وصوراً بديعة مفعمة بحيوية الانفعال، وصدق التجربة والمشاعر؛ والأديب الأسير الذي ينهل من مصدر المعاناة في سبيل الحرية[١].

و"أدب السجون" فرض نفسه كظاهرة أدبية في الأدب الفلسطيني الحديث، وبرز قبل احتلال الخامس من حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، فالشعراء الفلسطينيون الكبار محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد[٢]، أَثْروا الساحة الأدبية بهذا الأدب المقاوم، ولعل أبرز سماته تتمثل في التَّمَسُّك بالأرض، والتغني بالحرية، وحب الوطن، والالتزام والصدق المقاوم، الذي تجلى في نصوصهم، فأُطلق عليهم: رواد شعراء المقاومة الفلسطينية، الذي اتسم بالبعد العربي والبعد العالمي كقصيدة:"الثوار ينشدون"، لراشد حسين، و"أنا عبد" لفوزي الأسمر، موجهة لشعب إفريقيا، ولسميح القاسم عدة قصائد عن باتريس لومومبا، وإفريقيا، وزنوج أمريكا، ومقطع اسمه بطاقات إلى ميادين المعركة، وهي سلسلة من القصائد القصيرة موجهة إلى المغني الزنجي بول روبنسون، وفيدل كاسترو، وكريستوف غبانيا، وثوار الفيتكونغ، ولعل أبزها قصيدة محمود درويش"عن الأمنيات" [٣].

وهنالك عدة عوامل ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى وأهمها:

١- دخول الكتب الأدبية للسجون في العام ١٩٧٢م، وتوافرها في نهاية السبعينيات، والتي مثلت العصر الذهبي للأسرى على الصعيد الثقافي بشكل عام، والطفرة الأدبية الاعتقالية بالشكل الخاص، "في هذه المرحلة ازدهرت القراءات الأدبية لتشمل طيفاً واسعاً من الأدباء على مستوى العالم، ابتداءً من غسان كنفاني وإميل حبيبي في مجال الرواية، مروراً بنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وطه حسين والطيب صالح، وانتقاله تولستوي، وديستويفسكي وتورجنيف ومكسيم جوركي، وكتاب الأدب السوفيتي اللاحقين، والعودة إلى شكسبير وتشارلز ديكنز وفيكتوهوجو في أوروبا، والانطلاق نحو الأدب الأمريكي وخصوصاً أدب جون شتاينبك، وارنست همنجواي، وكتاب آخرين من قوميات وتجارب وأجناس مختلفة في مجال الرواية والقصة والشعر والمسرح، والتي شكلت جامعاً ممتعاً ومصدراً غزيراً للمعارف والاستمتاع[٤] ".

---

(١) مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=2773

(٢) جميل السلحوت: مرجع سابق، ص٩.

(٣) أحمد الريماوي: مرجع سابق، ص٨.

(٤) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص٤٣.

٢- تنامي قوة الحركة الوطنية الأسيرة، وتطور أساليب الإسناد الجماهيري لها، ما أدى إلى لجم شراسة القمع الجسدي والفكري، وخفف من حدة القهر الممارس ضد الأسرى.
٣- التلفاز واضطرار إدارة السجن إلى السماح بإدخاله في غرف السجن، ما أتاح للمعتقلين الاطلاع على العالم الخارجي من خلال الاطلاع على بعض البرامج الأدبية والفنية في الفضائيات العربية التي سمحت بها إدارة مصلحة السجون، ثم عادت ومنعت بعضها ضمن سياسة التضييق.
٤- دور المجلات والنشرات والصحف التي كان يصدرها المعتقلون، واهتمامهم بنشر النصوص الأدبية والقصائد الشعرية في مجلات أدبية خاصة " كصدى نفحة، والصمود الأدبي.
٥- نشر أعمال بعض المعتقلين خارج أسوار السجن بعد تهريبها بطرق مختلفة [١].

نرى أن تطلع الأسير للحرية، وملء الوقت بالاهتمامات الثقافية وخاصة الأدبية، اليى تحمل الأسير نحو الأفق الواسع والممتد بلا نهايات، وتحلق بروحه نحو الفضاءات الرحبة، والخيالات اللامحدودة، والتي تمثل تحدياً لمشروع السجان الساعي لحصر جسده وروحه في أمتار بل سنتيمترات معدودة ليبقى معتقل الظروف والسياسات والإحساس بالمعاناة والعذابات، كانت عوامل معنوية للعيش في كنف الحياة وصناعتها من لا شيء، ولا يمكن استبعاد عامل التحفيز والتشجيع والمنافسة من قبل المؤسسات الفلسطينية والعربية والدولية بقضايا الأسرى، وأهمها جائزة الحرية السنوية التي تعلن عنها هيئة شؤون الأسرى والمحررين في مجال " الرواية والقصة والفيلم والبوستر والأغنية "، والتي شجعت الأسرى على المشاركة فيها، في ظل سهولة التواصل مع الخارج مع تهريب الهواتف النقالة التي سهلت تصوير ونقل أدبيات الأسرى لكل مكان، ولعل من أبرز الاهتمامات والأجناس الأدبية التي اهتم بها الأسرى في السجون:

١- شعر الأسرى:

الشعر فن يعتمد الصورة، والصوت، والجرس، والايقاع، ليوحي باحساسات وخواطر، وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف والمعروف، والموهبة الشعرية ملكة ذاتية، وبذرة تنمو داخل الشخصية المتميزة عاطفياً أو عقلياً [٢]، ويشكل شعر الأسرى الفلسطينيين، أنموذجاً هاماً من نماذج شعر المقاومة، وذلك لأن معظم أدباء فلسطين وشعرائهم سواء من داخل الأراضي المحتلة في العام ١٩٤٨م، أم من الأراضي المحتلة في العام

(١) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص١١٣ ١١٤.

(٢) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٥، ص١٤٨.

١٩٦٧م، دخلوا السجون والمعتقلات الإسرائيلية [١]، ويتميز شعر المعتقلات بكونه مقاوماً، جاء من أتون معركة ضارية بين الأسرى وبين إداراة قمع السجون بأجهزتها المختلفة، إزاء ذلك انبرى الشعراء ممن نضجت قرائحهم، وتفجّرت مواهبهم الشعرية، ليقفوا في مقدمة المجابهة ؛ ليعبّروا عما يختلج في نفوسهم من ألم وحزن وأسى.

وعليه فإننا لسنا أمام شعر باكٍ شاكٍ ضعيف حزين، يرسل الدمع مدرارًا، وليس شعرًا صاخبًا يواجه واقعه بالصراخ، بل نحن أمام شعر مقاوم ملتزم، ولعل أبرز ما يلحظ في هذا الشعر وحدته الموضوعية ؛ إذ تتلاحم قصائد الشعراء الأسرى تلاحمًا عضويًّا، كونه انطلق من ظروف واحدة، وهدفه واحد، ويمتاز أيضاً بكثرة استخدام الرمزية، كوسيلة ناجعة تختصر المسافات للوصول إلى المعنى العميق في نمط موجز موح، فإن هناك حاجة أمنية لهذا الشعر؛ لأن القصيدة الصريحة تعدّ جرمًا يعاقب عليها قانون الاحتلال الإسرائيلي ؛ لهذا السبب نجد الشاعر الأسير أكثر من غيره استخدامًا للرمز ؛ هروبًا من عقاب جلاديه، وتضليلاً لمحاكمه العمياء.

وجاء هذا الشعر أيضًا موجزًا، تعرض فيه المعاني المتدفقة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح عنها، ويتسم شعر الأسرى بالسهولة والبساطة والوضوح؛ فشعرهم نراه يجري مجرى الماء في النهر سلاسة وسهولة ويسرًا وبساطة وعذوبة [٢].

ولقدْ تميزت الأعمال الشعرية للأسرى الفلسطينيين بأنها الأغنى والأكثر شمولية وزخماً من حيث الكم والكيف بينَ تجارب الشعوب وحركات التحرر، ويعود ذلك إلى ارتباطها بالقضية الفلسطينية وتحرير فلسطين، وطبيعة الاحتلال الإسرائيلي الذين تعرضوا له.

وكان التعبير بالشعر البدايات الأولى في إبداع الأسرى، فهو أسرع الأنواع الأدبية استجابة للتعبير عن المعاناة، لهذا لجأ عشرات من الأسرى إلى المحاولات الشعرية التي تترجم مشاعرهم وتعبر عن مكنونهم النفسي[٣]، فهو شعراً مغلفاً بالحلم الشفاف، وجاءت العبارة فيه هائمة أثيرية[٤]، لذا فإن النفس تتعشق هذا الشعر وتحبه، وتميل إليه، لأنه يخاطب القلب والعقل،

(١) مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، غزة، ٢٠٠٨، ص٤.

(٢) مفيد عرقوب، حسين الدراويش: صورة السجين والسجن والسجّان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص٢.

(٣) نائل إسماعيل: الأَساليب الإنشائيَّة في شعر الأسرى الفِلَسْطينيين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٣، ص١.

(٤) معاذ الحنفى، أعلق فى ليلك الليلك، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، فلسطين، ١٩٩٨، ص١٥.

وترتاح له النفوس، وتنشرح له الصدور، فكأن الشاعر في هذا الشعر يتحدث عن نفسه، وكأن هذا الشعر جزء منه [١]، ولقد برز عدد كبير من الشعراء داخل المعتقلات[٢].

٢ – الرواية والقصة:

الرواية هي فن سرد الأحداث والقصص، تضم الكثير من الشخصيات، وتختلف انفعالاتها و صفاتها، وهي أحسن و أجمل فنون الأدب النثري، وتعتبر الأكثر حداثة في الشكل و المضمون، وتتميز بالتشويق في الأمور والمواضيع والقضايا المختلفة سواء أكانت أخلاقية أو اجتماعية أو فلسفية، والقصّة القصيرة: تمثّل حدثاً واحداً، في وقتٍ واحد، وزمانٍ واحد، وهي حديثة العهد في الظّهور[٣]، وهي وثيقة بشرية مستقاة من الخيال والملاحظة والتأمل وممثلة لواقع حقيقي أو متخيل، وتُعنى الرواية بموضوع الأدب أي الإنسان والعالم[٤]، وهي أنواع متعددة، والقصة القصيرة جنس أدبي متميز بالاقتصاد في التعبير وتصوير الحدث أو اللحظة الزمنية العابرة، بلغة وصفية درامية [٥]، ولقد اهتم عدد كبير من الأسرى بكتابة الرواية في السجون، ومن الأهمية بمكان أن يشار للتأريخ إلى رواية " وابور الكاز " كأول رواية في أدب السجون [٦].

وتعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية المعبرة عن حالة الاعتقال قياساً بالأجناس الأدبية الأخرى التي خرجت من رحم السجون[٧]، ولقد برز عدد من كتاب الرواية من الأسرى ولعل أبرزهم الروائي الأديب وليد الهودلي الذي كتب عدد من الروايات أشهرها رواية ستائر العتمة "جزأين" والتي عالجت موضوع تجربة التحقيق والاعتقال وظروف السجن، وقد طبع الجزء الأول

---

(١) مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد ٢٩، الجزء الثانى ،غزة، فلسطين، ٢٠١٣، ص٣٥٢.

(٢) كان أبرزهم " المتوكل طه، ومحمود الغرباوى، وعبد الناصر صالح، عز الدين المناصرة، ومحمود شريم، وخليل توما، ومحمد عليان، وعمر خليل عمر، ود. خضر محجز، معاذ الحنفى، ود. فايز أبو شمالة، وسلمان الزريعى، وسائد السويركى، وعيسى قراقع، ومحمد أبو جلالة، وهشام أبو ضاحى، والشهيد عمر القاسم، وباسم الخندقجى، وتوفيق زياد، وراشد حسين، وسامى الكيلانى، وعلى الخليلى، والشهيد د. عبد العزيز الرنتيسى، والشهيد د.ابراهيم المقادمة، ويحيى السنوار، ومحمد طه، وحماد الحسنات، وعلى عصافرة، وعبد الناصر صالح، ومحمد أبو اللبن، ومرزوق بدوى، والشهيد معين بسيسو، وآخرين كثر.

(٣) موقع موضوع: http://mawdoo3.com

(٤) عبد الصبور مرزوق : مرجع سابق، ص١٢٨.

(٥) د. سمير حجازى: قاموس مصطلحات، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٠، ص٦٨.

(٦) سلمان جاد الله: ، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٧) الناقد المحاضر فى الجامعة الاسلامية عبد الخالق العف.: مقابلة أجراها معد المقرر، ٢٠١٥/١١/٧، غزة.

منها ثماني طبعات، أربعون ألف نسخة، والتي لم يسبق لرواية فلسطينية من داخل السجون وخارجها أن تنشر بهذا الكم، وتم تحويلها إلى فيلم في العام ٢٠١٥م[١].

٣- المسرحية:

المسرحية جنس أدبي متميز يمثل على خشبة المسرح، وهي مؤلف من الشعر أو النثر يصف الحياة أو الشخصيات، أو يقصص قصة بواسطة الأحداث عن طريق الحوار ويتكون عادة من عدة فصول والتي بدورها تتكون من عدة مناظر[٢]، وتثير الضحك بأسلوب أنيق بعيد عن التهريج، وتنطلق أحياناً من تصوير الطبائع وتصادمها، وما ينتج عن تناقضها وتصادمها من مواقف هزلية وساخرة معاً [٣]، ويعالج المسرح الموضوعات الشائعة في الفنون الأدبية الأخرى، وبخاصة القضايا المتعلقة بطبيعة الإنسان، وما يصدر عنه من أفعال وما يعتمل في داخله من مشاعر وأحاسيس وأفكار[٤]، واهتم بعض الأسرى بالمسرحية في نهاية السبعينيات،

---

(١) والروائى الأديب شعبان حسونة الذى كتب مجموعة من القصصالقصيرة باسم " أمسية سجين " وعدد من الروايات أشهرها " ظل الغيمة السوداء، وعلى جناح الدم " التى منحته عضوية اتحاد الكتاب الفلسطينيين فى العام ٢٠٠٥، والروائى الأسير المحرر رأفت حمدونة الذى كتب مجموعة " الرباعية الوطنية " والتى تضم أربع روايات هى عاشق من جنين، ولن يموت الحلم، وقلبى والمخيم، والشتات، التى طبعت طبعتين، وقد وصفها الأستاذ الدكتور صادق أبو سليمان بـ" رباعية العشق " كونها تذكر بلا ريببأدب الأدباء الثوار، الذين خاضوا تجارب الثورة والنضال والمعاناة والحرمان والتعذيب، وإذا ما هممت بقراءتها واحدة بعد الأخرى سترى نفسك تعيش قصة الشعب الفلسطينى في العصر الحديث، وبالجملة فإن الكاتب في رواياته الأربعة قد استطاع التعبير عن هموم شعبه المتنوعة، ومحطات نضاله المتسلسلة من خلال عناية واضحة بتسلسل الأجيال، ويلمس كل قارىء للرباعية بترابط أسلوب الكاتب، ومناسبة لغته لمضامين رواياته.

وهنالك العشرات ممن أبدعوا بكتابة الرواية فى السجون أمثال: الأديب غريب عسقلانى، وحافظ أبو عباية ومحمد البيروتى، وحسن عبد الله، وحمزة يونس، ورمزى مرعى، ود. خضر محجز، وزاهر جبارين، وجمعة التايه، ومحمد و ابراهيم اغبارية، وعماد الزبن، وسلمان جاد الله، وعزت الغزاوى، وعصمت منصور، وفاضل يونس، وموسى الشيخ، ومحمد أبو صبحة، ونواف العامر، محمد عبد الهادى، ومحمود عيسى ،وجمال الهور، وعلى عارفة، محمد عبد الهادى، ويوسف محمد، أيمن فقيه، وحسن سلامة، وعمر حمش، وكمال الأسطل، محمد أيوب، معاذ بلال، ومؤيد الشيص، وغيرهم الكثير.

ويستذكر معد المقرر عدد من الأسرى ممن دونوا تجاربهم الإعتقالية كمذكرات بشكل روائى متسلسل، بأقلامهم أو بأقلام كتاب من غير الأسرى ممن أبدعوا فى عرضها بشكل روائى، كرواية " فرسان الحرية " لهشام عبد الرازق، و فيروزيات نضالية، والذى يتناول تجربة فيروز عرفة للدكتور سامى الأخرس، ومروان البرغوثى ألف يوم فى زنزانة العزل الانفرادى لزاهى وهبى، وأحلام بالحرية للأسيرة عائشة عودة، وأوراق من خلف جدران الأسر للأديب عبد الحق شحادة، وأمير الظل للأسير عبد الله البرغوثي، والهواء المقنع أبو على شاهين ١٥ عام فى الاعتقال لمحمد القيسى، وأيام من معتقل النقب للدكتور عبد الستار قاسم، والقادم إلى خطفك للأسير محمد الشراتحة، والخروج إلى المخيم لثابت مرداوى، وتاريخ مشرق وذكريات مؤلمة، ورحلة العودة للأسيرة المحررة للدكتورة مريم أبو دقة، وذكريات مبعثرة من ذاكرة الأسر لاسماعيل دبج، ونفحة يتحدث بعد ثلاثين عاماً لجبريل الرجوب، وقصتى لسعيد الكرمى، وذاكرة الأسير لعلى شواهنة، ومذكرات عوض السلمى، ومن صفحات نفحة للؤى عبده، وصرخة من أعماق الذاكرة تتناول تجربتى اعتقال فؤاد الرازم وأحمد أبو حصيرة، ومذكرات محمود عارضة، ويوسف العارف، وغير ذلك من مذكرات على شكل روايات، وأبدع عدد من الأسرى بكتابة القصة القصيرة كالقاصوليد الهودلى، وشعبان حسونة، واسماعيل دبج، وحسن عبد الله، وعصمت منصور وغيرهم الكثيرين.

(٢) علية عزت عياد: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٤، ص٣٧.

(٣) جبور عبد النور: : مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ص٢٤٧.

ففي هذه المرحلة برزت محاولات لتأليف المسرحيات القصيرة، والتي كانت تعرض في الأمسيات الأسبوعية الترويحية، أسهم في إيجادها ونشطها انعدام وسائل التسلية، والشعور بضرورة إيجاد وسائل ترفيهية ترويحية تزيل التوتر وتقتل الرتابة، وتشكل في الوقت ذاته محاولة فنية لإعادة شحن الأسرى بالطاقة والنشاط لاستقبال أسبوع جيد، كما جرى استغلالها لتعميق الوعي وتطوير المعرفة ومعالجة بعض القضايا الواقعية [١].

وكانت تمثل في غرف زنازين بئر السبع التي كانت تتسع لسبعين أسيراً مسرحيات من بينها مسرحية "زنبقة الدم" التي تعالج حكاية فتاة جرى اغتصابها من دخلاء على الثورة في القطاع، وقد جرى تمثيلها على خشبة مسرح نصبوه من البطاطين[٢]، وقامت الأسيرات في سجن "نفيه تريتسا" بتقديم المسرحيات عرف منها مسرحية " فدائى جريح "، وعادةً ما يقوم المعتقلون بعمل مسرحيات يكتب نصها أحدهم أو يشترك فيها أكثر من واحد، ويتم توفير مواد الديكور من أشياء الغرفة [٣]، ومن الطبيعي أن إدارة السجن لا تقبل بهذا النشاط الذي يمثل تحدياً لها، واستهانة بها، لكن المسرحيات والحفلات تقام ليلاً [٤].

نجد هنا أن الأسرى تأثروا بالمسرحية كفن مع دخول التلفاز للسجون، وخاصة ما كان يعرض على التلفزيون المصري والأردني، ولم ينتشر هذا الفن " تمثيل وكتابة " كأحد أجناس أدب السجون بالشكل الكبير، ولم يعرض إلا في الاحتفاليات والمناسبات والأمسيات وفي غالب الأحيان داخل الغرف، ولقد برز عدد قليل من كتاب النصوص المسرحية قياساً بالألوان والأصناف الأخرى [٥].

٤ – الخاطرة:

أبدع الأسرى في كتابة الخاطرة الأدبية كنثر أدبي صيغت فيه الكلمات ببلاغة وامتاز بكثرة المحسنات البديعية من صور واستعارات وتشبيه، والتي تصنف أدبياً في موقع بين القصة القصيرة والشعر الحر وهي ثلاثة أنواع "الخاطرة الرومانسية، والخاطرة الوجدانية، والخاطرة

---

(١) مفيد عرقوب: مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) سلمان جاد الله: مرجع سابق، ص٦٦ – ٦٧.

(٣) المركز الفلسطينى لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص١٠.

(٤) عدنان جابر: "ملحمة القيد والحرية"، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،١٩٧٩، ص١٧٧.

(٥) برز منهم "حسن عبد الله الذى كتب" طرقات على باب الأمل، ومن مذكرات زيتونة، واعلاميون فى مهمة"، و"مسرحية النفق، وإبريق الذهب، ورامى ومحكمة الذئاب " لوليد الهودلى، وعدد قليل آخر من كتاب المسرح فى السجون.

الإنسانية " وكتب الأسرى في الثلاثة وأكثرها "الإنسانية" التي تركز على قيم الصداقة والأخلاق الفاضلة والتضحية والوطنية.

وعدد كبير من الأسرى من اهتموا بهذا اللون من الأدب، وكانت لهم مجموعات من الخواطر كتبوها في عتمات الليل، ولبعضهم البعض، وخلال المراسلات، والمسابقات، والمجلات الأدبية [١].

٥- الرسالة:

هي ما يكتبه امرؤ إلى غيره معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وقد يتوخى فيها البلاغة والغوص في المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع [٢]، واستطاع الأسرى الفلسطينيون في السبعينيات بعد الكثير من الخطوات النضالية بانتزاع حق مراسلة ذويهم عبر الصليب الأحمر الدولي، ومن ثم عبر البريد الرسمي، وبدأت الموافقة بحصر الرسالة بأقل من عشرة سطور، ثم تطورت لتصل فرخ من الفلسكاب كبير الحجم أكثر أو أقل.

ومع مرور الوقت مع تطور الإمكانيات الأدبية للأسرى تحولت رسائل المعتقلين إلى أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم، وعبرت عن أفكارهم، خاصة وأنهم كانوا يلجأون إلى الأسلوب الأدبي وإلى الاستعارات والألغاز والتمويه على الرقيب، لكن البعض كان يعتمد الأسلوب الأدبي، بعد فتح المواهب والقدرات الأدبية خلف القضبان [٣].

ولقد وصلت الرسالة إلى أعلى مراحل تطورها، عندما تحولت من وسيلة إخبارية مباشرة تحمل السلامات إلى الأهل، إلى نصوص أدبية راقية، حيث أن بعض الرسائل صيغت على شكل قصائد شعرية، أو خواطر أو قصص قصيرة، أو نصوص أدبية مفتوحة، بخاصة عندما مازج وزاوج مرسل الرسالة بين الخاص والعام، أو عندما صقلت أقلام عدد لا بأس به من الأسرى وتطورت بشكل لافت، وأصبح أصحابها يعبرون عما يجول في صدورهم أدباً[٤].

كما وتمثل رسالة المعتقلين قيمة أدبية ونضالية وتاريخية، يمكن من خلالها الوقوف على مراحل التجربة الاعتقالية وخصائصها، والتعرف على ظروف ومستوى تطور المعتقلين،

---

(١) طبع منها ترانيم خلف القضبان لعبد الفتاح حمايل، وإلى ولدى محمد للكاتب على جدة، وخواطر من الزنزانة لمحمد عبد السلام وغيرهم.

(٢) جبور عبد النور: : مرجع سابق، ص١٢٨.

(٣) حسن عبد الله، كلمات على جدار الليل، رام الله، مركز المشرق للدراسات، ٢٠٠٤، ص١٣.

(٤) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، مرجع سابق، ص٨٦.

لذلك فإن دراسة هذه الرسائل تشكل مهمة وطنية وتأريخية وأدبية في آن واحد، ولقد شكلت الرسالة نافذة للمعتقل المناضل على أسرته ومجتمعه والحياة، وصلت في سطورها وتعابيرها مضامين اجتماعية وسياسية وتربوية ونفسية وفكرية، وارتقت من الجانب الإخباري إلى التحليلي، وبعضها ارتقى إلى الإبداعي، وحصل بامتياز على درجة رفيعة في عالم الأدب والإبداع [١].

اختلف النقاد والمختصون في مكان الرسالة وإرفاقها بأدب السجون، ونرى أنها تستحق بجدارة أن تكون في صدارة هذا اللون من إنتاجات وأدبيات الأسرى، التي اهتم وحرص وتبارى الأسرى وتألقوا في صياغتها وتراكيبها البلاغية والأدبية، وقد أرفقوا على هامش سطورها بصور الورود والعصافير والرسومات والرموز الجمالية الأخرى.

٦- الفن والغناء والموسيقى:

اهتم الأسرى بالفنون المرتبطة بأدب السجون، وتم تلحين الكتابات الأدبية، والقصائد الشعرية، على صورة زجل وأناشيد وأغاني وطنية، وكان للتراث الشعبي مكانة خاصة ومرموقة بين أسرى الثورة، فالدبكة والزجل انتشرا في كل السجون، ولا يخلو سجن من مناضل أو أكثر لديه القدرة على تأليف الزجل العاطفي والسياسي، كما كان المعتقلون ينظمون حفلات غنائية، مرة واحدة أسبوعياً، وتكون حفلات ممتعة وشيقة للجميع [٢].

وفي العام ١٩٨٤م كانت الاحتفالات في السجون قد أخذت شكلاً جديداً، فقد تضمنت الفقرات أغاني ودبكات شعبية ورفع للاعلام الفلسطينية [٣]، وغلب اللون الحزين على الأغاني والمواويل ليعكس الحجم المذهل المختزن في أعماق الأسرى، ويعكس توجعاً إنسانياً من الظلم الاجتماعي والقمع الاحتلالي، والحرمانات اللانهائية، وكثيراً ما كنت تجد الأغنية والنشيد الوطني يتبع الموال الحزين في جدلية مميزة، كان الأسير يفتح جرحه ثم يداويه، غالباً ما كان المغنى الأسير يؤدي ما هو موجود من أغاني ومواويل، لكنه أداء يحمل بصماته الخاصة، وبعضهم ألف الأغنيات ذات الطابع الشعبي، وبدرجة أكبر المواويل.

---

(١) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: مرجع سابق، ص١٠.

(٣) جهاد البطش: مرجع سابق، ص١٤٨.

أشاعت الأمسيات الفنية المتواضعة الدفء في طقس السجن البارد دوماً، حيث الأغنيات والأشعار تحمل الأفئدة المعذبة إلى عالم آخر بدون قيود وبدون حرمان، وتعالت في هذه الأمسيات الضحكات كأنها تغسل ولو للحظات حزناً لا يفارق الواقع [١].

ولقد تركت زجليات الشهيد راجح السلفيتي خاصة تلك التي أنتجها داخل الأسوار الأثر العميق في وجدان الأسرى، وكانت عاملاً يقتدى به في عملية إعادة صياغة التربية، خاصة تلك القصائد التي تحض على استيعاب أسرار النضال والصبر على الشدائد [٢].

وتنطبق هذه الصورة على سجن الأسيرات، حيث أن الأسيرات يقمن أيضاً بالأناشيد الوطنية وبصوت وطني ثوري، وكثيرة هي المرات التي يسمع فيها الزوار والمعتقلون المرضى في مستشفى سجن الرملة أصوات المناضلات الأسيرات الملىء بالحماسة والمعبر عن حب الوطن والالتصاق بالقضية[٣].

وأوجد المعتقلون لأنفسهم فضاءات جديدة، فعلى صعيد الموسيقى سادت موسيقى الشبابة، والمجوز، والأرغول، باعتبارها الأدوات الموسيقية الوحيدة التي كان يمكن للمعتقلين صنعها من أنابيب التمديدات الكهربائية المنتزعة من الجدران، كم كان عذباً صوت شبابة أبو علي الديراوى، ومجوز أبو سلطان، ودبكة أبو حامد الرفاتي، وأغاني محمود البرغوثي التي كانت تذكرنا بالمرحوم نصري شمس الدين[٤].

وفي العام ١٩٨٥م صنع الفنان الأسير عوني الخروبي الذي تواجد في سجن غزة وعسقلان ونفحة آلة الكمان الموسيقية، من طاولة الزهر، وكانت إدارة السجون تصادرها، ويقوم بإعادة صناعتها، وطالب الأسرى بإدخال الأدوات الموسيقية للسجون، فسمحت فقط بإدخال الكمان في سجن غزة، والعود في سجن نفحة للأسير الفنان المرحوم الخروبي، الذي علم بعض الأسرى[٥] ممن تنافسوا فيما بينهم على تعلم العزف، وقام الفنان الخروبي بتلحين أشعار الأسرى التي كتبوها داخل الاعتقال وتم ترديدها في المناسبات والاحتفالات الوطنية في السجون وفي الخارج من قبل الأسرى المحررين "[٦]، وهنالك من كتب القصيدة المغناة في السجن[١].

---

(١) سامى الأخرس، كامل مسعود: مرجع سابق، ص٦٧٦٨ .

(٢) سلمان جاد الله: أدب المواجهة،، مرجع سابق، ص٩٧.

(٣) عدنان جابر: مرجع سابق، ص١٧٧.

(٤) مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة :ابداعات انتصرت على القيد، مرجع سابق، ص٤٣.

(٥) كالأسير مسعود الراعى، والأسير معاذ الحنفى، والأسير خالد مناع والأسير طارق أبو زهدية وآخرين

(٦) هشام عبد الرازق: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/٩/٢٨.

ثالثاً–سمات جمالية لأدب السجون:

يتميز أدب السجون بحيوية الانفعال، وصدق التجارب؛ كونه ينهل من مصدر المعاناة النابع منْ ثوار هانت عليهم أنفسهم فهبوا يحملونها على أكفهم ليقدِّموها أضاحي في سبيل تحذير كرامة الوطن وأهله(٢).

وتميزت التجارب الأدبية بالالتزام في السجون بالالتزام بالقيم، والمبادئ، والتناغم مع القضية، في تجاوز الهم الفردي إلى الهم الجمعي والعام، "ومن أهم سمات أدب السجون:

١- العُمْق: يمتاز "أدب السجون" بعمق التعبير في الدلالة والمضمون، وفي الربط بين الفكرة والأسلوب.
٢- الرمزية: غالباً ما يلجأ الكاتب إلى الرمز للتعبير عما يعتلج في حناياه.
٣- التصوير الفني: كثيراً ما يلجأ الأديب إلى فرط عقود اللغة، وما حوت من جمال وجواهر، ليعيد تشكيل فكرته وشعوره في قالب لغوي جديد، فتعطيك المقطوعات الأدبية لوحات رائقة، أو مشاهد صامته، أو انعطافات على مشاهد حية مُفْعمة بالحركة.
٤- البلاغة: الصناعة البلاغية رائجة الاستخدام، كالكنايات والاستعارات والتشبيهات والمجاز المرسل والمحسنات اللفظية والبديعة.
٥- الاختزال: أي ضبط الفكرة التي تحتاج إلى فقرات طويلة في فقرة صغيرة.
٦- العاطفة المتأججة: فلا تكاد تجد مقطوعة متكلفة المبنى أو المعنى، وإنما منسجمة في معناها ومبناها مع العاطفة التي تحكم القالب اللغوي المستخدم.
٧- سعة الخيال: يلجأ الكاتب إلى الخيال في الغالب لاستعارة الصور أو الأحداث، فتتفاعل الفكرة في خياله مع صور إبداعية، بقالب لغوي خاص.
٨- الحزن المشوب بالتحدي: فمسحة الحزن لا تكاد تفارق المقطوعات الأدبية على اختلاف موضوعاتها، حتى تلك التي أراد بها صياغة مساحة من الفرح، لا تكاد تخلو من ألم أو آهات أو دموع، فأفراحهم، أفضل ما نعبِّر عنها بالجراح الباسمة.
٩- الثقافة الواسعة: حيث يهتم الأسرى بتنمية ذواتهم ومهاراتهم وقدراتهم(١).

---

(١) كماجد أبو شمالة، وسليم الزريعى، ومعاذ الحنفى، وأحمد الشيبانى الملقب بالسنبل أو العندليب، وعرف عدد من الأسرى الذين أسعدوا الأسرى بأصواتهم الجميلة فى المعتقلات كالأسير "سعيد سلمان الملقب بأبى عرب"، والأسير المرحوم نايف أبو عياش، وأكرم حسن، ورأفت حمدونة، وجمعة التايه، والمنشد المشهور رمزك العك، ونصر يتايمة، وحمودة صلاح، ومصعب الهشلمون، وآخرين.

(٢) مركز الأسرى للدراسات: http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=2773

في نهاية القسم نعتقد أن أدب السجون له انعكاسه الكبير والإيجابي على نفسية الأسير والواقع الاعتقالي، كونه يعبر عن ذواتهم وآمالهم وطموحاتهم الشخصية والوطنية، ويخرجهم من ضغوط الاعتقال وأجواء الكبت والقيد إلى عالم الخيال الرحب، وكان لأدب السجون الكثير من التأثير على المجتمع الفلسطيني الذي وجد فيه الصدق في المشاعر، والبعد عن الذات والمصلحة الشخصية إلى الشيء العام والمصلحة الوطنية، وأوصل للقارىء الكثير من الرمزية والتجارب الاعتقالية وتحذير المقاومين في الكثير من النواحي الأمنية والخروقات التنظيمية وتصويبها ووسائل وأساليب التحقيق والتنبيه للغامض فيها، والانتماء والتواصل في النضال حتى تحقيق الحرية.

ونجزم أن ما هو مجهول من إبداعات الأسرى الأدبية، وما تم مصادرته من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، ومن لم يرَ النور بالطباعة بسبب القصور باتجاه أدب السجون لهو أكثر بكثير مما عرف وما نحاول ابرازه وجمعه.

وليس غريباً أن يكون للأقلام الأدبية التي تعمدت في تجربة الاعتقال حصة لا بأس بها في إصدارات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وفي الملاحق الأدبية والثقافية في الصحف والمجلات المحلية وحتى في الكتب المترجمة إلى لغات أجنبية مثل إصدار اتحاد الكتاب باللغة الانجليزية "نصوص قصة قصيرة " حيث مثل عدد المشاركين من الأدباء في هذا الإصدار الذين تخرجوا من تجربة الاعتقال "١٥" من أصل "٤٤" أى ما يقارب الثلث"[٢]، كما أن التجربة الثقافية والإبداعية في المعتقلات حققت إنجازات لفتت انتباه عدداً من الباحثين والدارسين والأكاديميين، على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي[٣].

---

(١) أحمد الريماوي: مرجع سابق، ص٢٢.

(٢) حسن عبد الله، كلمات على جدار الليل، رام الله، مركز المشرق للدراسات، ٢٠٠٤، ص٦٦.

(٣) ذكر منها الأستاذ حسن عبد الله فى كتاب الصحافة العبرية فى تجربة المعتقلين الفلسطينيين:

Esmail Nashif, Identity Community, and Text: The Production of Meaning among Palestinian Political Captives, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Texas at A Ustin, 2004.

Hadeel Alkazaz, The role of non-formal Education in Development, The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons, for the degree of Doctor of Education, university of Leeds, 1994-1997.

تدريب

- اكتب قصة أسير نجح في الإنجاب وهو داخل الاعتقال؟
- ماذا لو تلقفت القوى جميعاً وثيقة الأسرى وقامت بتطبيقها في وقتها؟
- اكتب عن أحد الأدباء الأسرى وأعماله أثناء الاعتقال ؟

أسئلة التقويم الذاتى :

- هل تجاوز الأسرى كل التساؤلات المتعلقة بتهريب النطف قبل الإقبال عليها ؟ ما هي ؟؟ وكيف ؟؟
- تناول أحد قصص الانجاب من السجون من حيث الصعوبات التي مرت بها؟؟
- أذكر عشرة من سفراء الحرية بأسمائهم وأعمارهم " وأسماء آباءهم ومكان سكناهم وتاريخ اعتقالهم وأحكامهم ومكان اعتقالهم "؟؟
- ما هي الجوانب الإيجابية التي حققتها نجاحات ظاهرة النطف المهربة على الصعيد الاجتماعي.
- لخص أهم ما ركز عليه الأسرى في وثيقة الأسرى ؟؟
- من هي الشخصيات التي عكفت على بلورتها ؟؟
- كيف استقبلت الفصائل الفلسطينية وثيقة الأسرى ؟؟
- هل بقيت الوثيقة صالحة لرأب الصدع الفلسطيني على كل المستويات؟؟

Rabab Tmesh, Pain Violence in Palestinian War-Prisoner Narrative, for the degree of Doctor of Philosophy (under preparing) , University of Michigan.

Shadi Jabber, Artistic expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisons, for the degree of Master of Arts Therapy, European Graduate School EGS, 2003.

Barbara Harlow, Resistance Literature, New Yourk: Methuen inc and Methuen an co, 1987.

Modern Palestinian Short Stories in Translation, 44 Authors, (edited by Izzat Ghazzawi, Claire Peak) , Jerusalem: The Palestinian Writers Union, 1998.

- ما هي السمات الجمالية لأدب السجون؟
- ما هي خطورة ومراحل طباعة عمل بدأ واكتمل وخرج من داخل السجون؟
- كيف تحارب إدارة السجون الإسرائيلية نجاحات وإبداعات الأسرى في السجون؟
- تحدث بإيجاز عن أجناس أدب السجون؟
- اذكر عشرة من الأسرى وأهم أعمالهم الأدبية؟

الخلاصة

أولاً: إن ظاهرة تهريب النطف حالة إبداعية لم يسبق لها مثيل في كل حركات التحرر العالمية، وتعتبر وسيلة نضالية جديدة للأسرى بحثاً عن الحياة والأمل والحرية، وهي خطوة للتغلب على قيود السجّان، وكسرت شوكة أحكامه المؤبدة، فإنجاب الأطفال حق مشروع لكل إنسان على وجه الأرض، والأسرى انتزعوا هذا الحق رغم أنف الاحتلال مسارعةً لقطار الحياة بالأمل والإرادة في معركة البقاء والوجود [١].

ثانياً : شكلت وثيقة الأسرى التي تحولت لوثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني حالة إبداعية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، كونها خرجت من رحم السجون ، وهدفت لإنهاء حالة الانقسام الذي يسعى الاحتلال لتجسيده واستمراه لتنفيذ مشروعه وتطلعاته في ظل انشغال الفلسطينيين بالمناكفات الداخلية ، والمهم أن الأسرى استطاعوا قراءة المشهد قبل حدوثه ، واشتملت الوثيقة على رؤية معمقة تناولت الرؤية المستقبلية للأوضاع والعلاقات الفصائلية ، وكل مفاصل الحياة السياسية الفلسطينية وشكل الحكومة في ظل التوافق، ورسمت منهجاً لإصلاح أوضاع المؤسسة الفلسطينية، وبإجماع القوى الفلسطينية كافة وممثلي المؤسسة الرسمية، وفعاليات المجتمع المدني والقطاع الخاص[٢] ".

ثالثاً : إن أدب الأسرى أو أدب السجون فيه ما ليس بغيره من مصداقية، ومعاني إنسانية، وأنه يحمل مضامين مهنية، وبلاغة إبداعية يجعله أقرب للمستمع والقارىء من غيره، واستطاع أن

(١) الأسير المحرر خضر خليل شعث: مقابلة أجراها معد المقرر، غزة، ٢٠١٥/١١/٢.

(٢) محمد أبو شريعة: مرجع سابق، ص١٥٢ .

يلفت انتباه المهتمين والأكاديميين والنقاد العالميين على سبيل المثال لا الحصر تناولت الدكتورة نادية هارلو الأستاذة في جامعة تكساس الفن القصصي للمعتقلين الفلسطينيين، وجاء اهتمامها في إطار اهتمامها بالأدب المقاوم على مستوى عالمي، حيث جمعت في دراسة مقارنة العديد من النماذج الإبداعية التي أنتجتها أقلام مقاومة انصهرت في القضايا التحررية لشعوبها.

مسرد المصطلحات

– أطفال النطف المهربة : ويطلق عليهم أيضاً مصطلح سفراء الحرية، ، وهم الأطفال الذين أُنجِبُوا وآبائهم داخل السجون بواسطة تهريب النطف وزراعتها في رحم زوجاتهم في مستشفيات متخصصة ، وهذا الأمر لم يسبق أن مر في تاريخ حركات التحرر العالمية ، وهي أحدث معركة إنسانية مستجدة لصناعة الحياة وتحقيق غريزة الأبوة مثل باقي البشر، رغم كل الممارسات والقيود والوسائل الأمنية أخفقت في كسر إرادة الأسرى وحرمانهم من حقوقهم الأساسية " بالإنجاب ، وظاهرة تهريب النطف برزت في أوساط الأسرى الفلسطينيين المتزوجين، ومن أمضوا فترات طويلة، ومن ذوي الأحكام العالية، ممن حرموا تكوين أسر وإنجاب ذرية بسبب قيام الاحتلال الصهيوني باختطافهم واعتقالهم من بين أهلهم وذويهم وزوجاتهم .

– وثيقة الأسرى " : توصل الأسرى في سجن هداريم وعلى رأسهم الأسير القائد مروان البرغوثي لصياغة وثيقة الأسرى في مايو/أيار ٢٠٠٦م، بمشاركة عدد من قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة " بهدف وقف حالة الاحتدام القائم بين طرفي الانقسام ، وهدفت لتحقيق المصالحة الفلسطينية كأساس لمواجهة الاحتلال على قاعدة الوحدة والمشروع الوطني، كل ذلك بعد قراءة واعية للأوضاع الفلسطينية والتنبؤ بالمأزق قبل وقوعه ، واتفقت الفصائل على الوثيقة كأساس للحوار في أكثر من محطة " كوثيقة وفاق " ولازالت أساس لا بديل عنه في وحدة الصف وتحقيق المصالحة ، ومواجهة سياسيات الاحتلال .

– أدب السجون في فلسطين : هو أدب مقاومة، وهو جزء من الأدب العربي المعاصر في فلسطين، والأدب الوطني والقومي، والأدب العربي والعالمي الحديث، لما يحمل من مميزات

وخصائص، وحس إنساني وعاطفي، ورقة مشاعر وأحاسيس ومصداقية، وقدرة على التعبير والتأثير، وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ونفرق بين " أدب السجون " المستوفي للشروط الأدبية، وبين " أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى " التي كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية، والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، والكتب في مجالات متنوعة، والترجمات من الصحف الإسرائيلية وغير ذلك من المجالات غير الأدبية.

الخاتـمة

فـي نهايـة الدراسـة نخلـص مـن خـلال دراسـة وتحليـل الواقـع الاعتقـالي، والملاحظـة الشخصـية بالمعايشـة والمراقبـة، والتجربـة الذاتيـة والاعتقاليـة الطويلـة ، والتنقل التـاريخي التحليلـي من محطة إلى أخرى، ومن خلال المقابلات الشخصية التي أجريناها مع أسرى محررين من كل المنـاطق فـي فلسـطين، ومـن خـلال الخبـرة [١]، وكـذلك بعـد اطـلاع واسـع علـى عـدد كبيـر مـن الدراسـات الأكاديميـة والأبحـاث العلميـة السـابقة التـي تناولـت أوضـاع الأسـرى والمعتقلـين فـي السجون الاسرائيلية، ومن خلال الوثائق التي هُرِبَت من السجون، والحصول عليها بطرق ووسائل متعددة قد تعرض أصحابها للكثير من المسؤولية، ومن خلال تلك العملية المتراكمة والمتكاملة والمتواصلة والمعمقة، والدراسة العقلية والمنطقية لا العاطفية وبالشواهد والإنجازات والمعطيات أن الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية الأسـيرة بوحـدتها وعقليتهـا الفـذة، وخطواتهـا التكتيكيـة والإسـتراتيجية العنيفة والسلمية استطاعت أن تقهر إرادة سلطات الاحتلال العنصرية، وإدارة مصلحة السجون والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، وأن تتجاوز كل مخططاتها التصفوية والتدميرية، واستطاعت من خـلال تقـديم عشـرات الشـهداء والعـذابات والمعانـاة أن تحمـي الشـعب الفلسـطيني وأبنـاءه مـن الإسقاط، وأن تربي وتعبىء وتخرج أجيالاً من القادة تبوؤوا بعد الإفراج عنهم مراكز قيادية على مستوى الفصائل الفلسطينية، وكوادر في المؤسسات الوطنية والنقابية الرسمية والأهلية[٢].

ونخلص من خلال الاطلاع على دراسات نظرية تناولت أشكال المقاومة وفنونها، وكذلك الدراسات التي قدمت نماذج تطبيقية لتجارب عالمية مشابهة كمعيار للحكم على إنجازات الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أنها شكلت حالة إبداعية مميزة على صعيد بناء الهياكل والمؤسسات الاعتقالية واتخاذ القرارات، وترتيب بنية الفصائل الداخلية، ونمط التعاون والتنسيق بين الفصائل فـي السـجن الواحـد وبـين المعـتقلات، وعلـى صـعيد الاهتمـام والبنـاء الثقـافي والإنتـاج الأدبـي والتعليمي، والتأثير الإيجابي السياسي، ومسيرة الإضرابات المفتوحة عن الطعام الفردية والجماعية مـن حيـث امتـداد الفتـرات الزمنيـة غيـر المسـبوقة والإنجـازات التـي تحققـت مـن أنيـاب محتـل لـم يعترف بالاتفاقيات والمعاهدات العالمية والقانون الدولي الإنساني.

---

(١) كونه شغل مستشاراً لوزير شؤون الأسرى والمحررين ومديراً عاماً بها، وناطقاً إعلامياً باسمها فى المحافظات الجنوبية، ومديراً لدائرة القانون الدولى، وعضواً مكلفاً بإدارة مكتبها فى غزة نتيجة الانقسام فى أعقاب تحويلها إلى هيئة، وعمله كمديراً ومؤسساً لمركز الأسرى للدراسات، ومديراً للبرامج فى إذاعة صوت الأسرى، وعضواً فى لجنة الأسرى للقوى الوطنية والإسلامية بقطاع غزة.

(٢) كان منهم الأمناء العامون للفصائل، وأعضاء مكاتب سياسية ولجان مركزية ومسئولى ساحات، ووزراء وأعضاء فى المجلسين الوطنى والتشريعى الفلسطينى، ومتنفذون فى القرارات أينما تواجدوا.

كان الأسرى أكثر حكمة، وأعمق حنكة، وأصلب عزيمة، وأكثر وعي وإبداع، في مواجهة الأزمات، وأكثر حرص على الوحدة الوطنية والتفاهم والمشاركة من الجميع في اتخاذ القرارات على أسس ديمقراطية سليمة، وأكثر كفاءة في استقراء المستقبل بالقدر الذي يحقق الأهداف المرجوة، والقدرة على ترتيب الأولويات وتوجيه اهتمام الأسرى للنافع والمفيد واقعاً ومستقبلاً، وتحديد أفضل الأساليب والوسائل ببدائل متعددة تحت شعار "صاحب بديل أو خيار واحد فاشل" واختيار البديل الأقل تكلفة وأكثر تأثير في تحقيق الأهداف المرجوة تحت شعار " الكرامة أولاً والحرية ثانياً " [١].

تمثل تجربة الإنجاب التي خاضها الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية حالة إبداعية لم يشهد لها التاريخ مثيل، وهذا ما يصنفها تجربة إبداعية بامتياز كونها مستجدة، وتعد أحدث المعارك مع السجان من حيث الشكل والنوع والرسالة والمضمون ونوع التحدي، ويمكن القول أن نجاح تهريب النطف من الأسرى وإنجاب الأطفال تعتبر ثورة إنسانية غير مسبوقة في وجه السجان، وتميزت بعدم الركون للسجان في قطع نسل الأسرى وحرمانهم من غريزة الإنجاب والشعور بالأبوة، واتسمت بفاعليتها وانتمائها ودورها، كون أن الصراع الديموغرافي يعد أحد أشكال الصراع القائم بين الطرفين (الفلسطيني والإسرائيلي) في فلسطين المحتلة، في أعقاب سياسات الإستيطان والتهجير التي تمارسه دولة الاحتلال بحقهم.

ونعتقد أن تدخل الأسرى لإنهاء الانقسام الفلسطيني عبر وثيقة الأسرى تعد خطوة إبداعية وتأتي في سياق استشراف المستقبل المأساوي على الصعيد الوطني على كل الاتجاهات فيما لو لم يتحقق الوثاق الوطني، لذا تصنف وثيقة الأسرى من أهم المشاريع التي تسعى إلى تحقيق المصالحة في ظلّ واقعٍ ازداد تعقيداً مع تغيير الظروف السياسية، وتأتي أهميتها كونها خرجت من قيادات كانت فاعلةً ميدانياً قبل الأَسْر، ولأنها جاءت شاملةً إلى أبعد الحدود، واعتُبرت مخرجاً من الأزمة التي تفاقمت مع تزايد المواجهات بين طرفي الانقسام[٢].

كما أن التجربة الديمقراطية في السجون، تعد تجربة إبداعية وفريدة، نظراً لأنها جاءت في أجواء القمع الاحتلالي، إضافة إلى أنها شكلت خروجاً على سياق غير ديمقراطي بالنظر إلى التركيبة الاجتماعية والسياسية التي عايشها قبل الاعتقال[٣]، ولا شك أن التجربة الديمقراطية للحركة الأسيرة هي تجربة إيجابية في التقييم العام، وأن هذه التجربة جاءت متقدمة بمستوى كبير

---

(١) د محمد المصيرفى: إدارة الأزمات، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٨، ص٩٨ .

(٢) موقع مجلة دراسات شرق أوسطية:

http://www.mesj.com/new/ArticleDetails.aspx?id=255

(٣) فهد أبو الحاج: مرجع سابق، ص١٧٩.

عن التجربة الديمقراطية خارج السجون[1]، ويمكن القول أن ديمقراطية السجون الديمقراطية الفصائلية والحزبية سبقت ديمقراطية الفصائل الفلسطينية والسلطة الوطنية في معاملاتها ويومياتها ولوائحها خارج السجون، لذلك هي مبدعة بممارساتها وأنظمتها ونظم حياتها.

(١) خالد الهندى: مرجع سابق، ص١٨٩.

قائمة المراجع

المراجع العربية

أولاً- الكتب العربية:

١- إبراهيم أبو النجا، "**المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني**"، القاهرة، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٤.

٢- أحمد أبو السعود، "**ومضات من خلف القضبان**"، غزة، وزارة الثقافة العامة، ٢٠١٤.

٣- أحمد بكار، "**الديمقراطية حاضراً ومستقبلاً**"، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

٤- أحمد سعيد نوفل، وأحمد جمال الظاهر، "**الوطن العربي والتحديات المعاصرة**"، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، ٢٠٠٨.

٥- إياد الرياحي، "**الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة**"، رام الله، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، فلسطين، ٢٠٠٦.

٦- جبور عبد النور: **المعجم الأدبي**، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٥.

٧- جمعية الأسرى والمحررين، "**الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان**"، غزة، دائرة الإعلام والتوثيق، ٢٠٠٥.

٨- جمعية الأسرى والمحررين، "**التقرير السنوي ٢٠٠٤**"، غزة، دائرة الإعلام والتوثيق، ٢٠٠٥.

٩- جميل السلحوت، "**أدب السجون**"، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.

١٠- جهاد البطش، "**المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية**"، غزة، فلسطين، مكتبة اليازجي، ٢٠٠٧.

١١- حسن عبد الله، "**أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني**"، رام الله، مركز المشرق للدراسات، ٢٠٠٤.

١٢- حسن عبد الله، "**الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين**"، القدس، نقابة الصحفيين الفلسطينيين، ٢٠٠٥.

١٣- حسن عبد الله، "**كلمات على جدار الليل**"، رام الله، مركز المشرق للدراسات، ٢٠٠٤.

١٤- حلمي عنقاوي، "**المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان**"، الطبعة الأولى، رام الله، مطبعة الغد، ١٩٩٥.

١٥- خالد الهندي، "**التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة**"، رام الله، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
١٦- داوود الباز، "**الشورى والديمقراطية النيابية**"، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٤.
١٧- داوود الباز، "**النظم السياسية للدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية**"، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٦.
١٨- الدائرة الإعلامية لوزارة شؤون الأسرى، "**تقرير شامل**"، فلسطين، غزة، مكتبة الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٨.
١٩- رأفت حمدونة، "**صرخة من أعمق الذاكرة**"، غزة، فلسطين، دائرة شؤون الأسرى، ٢٠٠٦.
٢٠- ربحي قطامش، نمر شعبان، "**تعذيب السجناء السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية**"، رام الله، فلسطين، الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، ٢٠٠٣.
٢١- زاهي وهبي، مروان البرغوثي، "**ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي**"، رام الله، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
٢٢- سامي الأخرس، "**فيروزيات نضالية**"، غزة، فلسطين، مطبعة الأندلس، ٢٠١٥.
٢٣- سامي الأخرس، كامل مسعود، "**رحيق الوطن**"، غزة، فلسطين، مكتبة الأندلس، ٢٠١٥.
٢٤- سلمان جاد الله، "**أدب المواجهة**"، غزة، فلسطين، جمعية الأسرى والمحررين، ٢٠٠٠م.
٢٥- سلمان جاد الله، "**المواجهة والاحتراف**"، القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة بجامعة القدس، ٢٠١٤.
٢٦- سمير حجازى: **قاموس مصطلحات**، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٠.
٢٧- عبد الحق شحادة، "**التجربة النضالية لمعتقل عسقلان**"، ط ٢، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ١٩٩٩.
٢٨- عبد الحق شحادة، "**أوراق من خلف جدران الأسر**"، غزة، فلسطين، بدون دار نشر، ٢٠١٠.
٢٩- عبد الستار قاسم وآخرون، "**التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية**"، ط١، نابلس، قسم العلوم السياسية، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٨٦م.
٣٠- عبد الناصر فروانة، "**الأسرى الفلسطينيون.. آلام وآمال**"، القاهرة، صادر عن جامعة الدول العربية، ٢٠١٥.
٣١- عدنان جابر، "**ملحمة القيد والحرية**"، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،١٩٧٩.
٣٢- علية عزت عياد: **معجم المصطلحات اللغوية والأدبية**، القاهرة ،المكتبة الأكاديمية ،١٩٩٤.

٣٣- عيسى قراقع، "**الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو ١٩٩٣-١٩٩٩**"، فلسطين، معهد الدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٠م.
٣٤- غادة بدر، "**أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي**"، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
٣٥- فايز أبو شمّالة، "**السجن في الشعر الفلسطيني المعاصر**"، رام الله، المؤسسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، ٢٠٠٣.
٣٦- فراس أبو هلال، "**معاناة الأسير الفلسطيني**"، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠٠٩.
٣٧- فهد أبو الحاج، "**التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في المعتقلات الإسرائيلية في الفترة ١٩٦٧-٢٠٠٧**"، القدس، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، فلسطين، ٢٠١٤.
٣٨- قدري أبو بكر، "**من القمع إلى السلطة الثورية**"، عمان، دار الجليل للنشر، ١٩٨٩م.
٣٩- كامل السوافيرى: **الأدب العربى المعاصر فى فلسطين**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩.
٤٠- اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي، "**اتفاقيات جنيف**"، القاهرة، المركز الإقليمي الإعلامي، ٢٠١٠.
٤١- محسن أبو رمضان، "**التحول الديمقراطي في فلسطين**"، رام الله، فلسطين، مركز رام الله للدراسات وحقوق الإنسان، ٢٠٠٨.
٤٢- محمد التونجى: **المعجم المفصل فى الأدب**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩.
٤٣- محمد المصيرفى، "**إدارة الأزمات**"، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٨.
٤٤- محمد خالد الأزعر، "**النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين**"، رام الله، فلسطين، مواطن – المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ١٩٩٦.
٤٥- محمد صبحه، "**التجربة الديمقراطية والمؤسسية حركة حماس في السجون**"، غزة، فلسطين، مكتب إعلام الأسرى، ٢٠١٥.
٤٦- محمد صبحه، فؤاد الخفش، "**إضراب الكرامة**"، فلسطين، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، ٢٠١٢.
٤٧- محمد عوض، "**تسمات من خلف القضبان**"، غزة، فلسطين، الكلمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.
٤٨- محمد لطفي ياسين، "**التجربة الاعتقالية في السجون الإسرائيلية**"، الأردن، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، ١٩٨٩.

٤٩- مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، "**التقرير السنوي ٢٠١٢**"، جامعة القدس، فلسطين، القدس، ٢٠١٢م.
٥٠- المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات، "**نحو مجتمع ديمقراطي**"، القدس، فلسطين، جامعة بير زيت، ١٩٩٤.
٥١- مركز الميزان لحقوق الإنسان، "**صرخات من وراء القضبان**"، الرسالة للنشر والإعلام، أم الفحم، فلسطين، ٢٠٠٩.
٥٢- مصطفى كبها، وديع عواودة، "**أسرى بلا حراب – المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الإسرائيلية الأولى ١٩٤٨ – ١٩٤٩**"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠١٣.
٥٣- مصلح عبد العزيز، "**حقوق الأسير**"، دار البداية ناشرون وموزعون، بغداد، ٢٠١٢.
٥٤- معاذ الحنفي، "**أعلق في ليلك الليلك**"، غزة، فلسطين، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ١٩٩٨.
٥٥- منية سمارة، محمد الظاهر، "**سيناريو المعتقلات الصهيونية**"، عمان، دار المنارات، ١٩٨٥.
٥٦- ناصر عبد الجواد، "**الأسرى – حقوقهم – واجباتهم – أحكامهم**"، ط ٢، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
٥٧- نداء البرغوثي، "**أسرى الحرب في القانون الدولي**"، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠١٥.
٥٨- هاني نعيم، "**النضال اللاعنفي – الطريق إلى الحرية**"، لبنان، بيروت، منشورات هنيبعل، ٢٠١٢.
٥٩- وزارة شؤون الأسرى والمحررين، "**أوقفوا زمن السجن الأسود**"، رام الله، فلسطين،الدائرة الاعلامية لوزارة الأسرى، ٢٠١٠.
٦٠- وليد الفاهوم، "**الحركة النسائية الفلسطينية**"، مواطن – المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، ٢٠٠٠.
٦١- وليد الفاهوم، "**فلسطينيات في سجن النساء الإسرائيلي**"، عمان، دار الجليل للنشر، ١٩٨٥.
٦٢- وليد سالم، "**المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين**"، رام الله، فلسطين، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.

ثانياً- الكتب المترجمة:

١- بيبا نوريس، "**بناء الأحزاب السياسية، إصلاح الضوابط القانونية والقواعد الداخلية**"، (ستوكهولم، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات ٢٠٠٤).
٢- جيفري ديلمان، موسى البكري، "**استخدام إسرائيل للتعذيب بالصدمة الكهربائية**"، ط١، القدس، مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، ١٩٩١.
٣- جيلين تندر، "**الفكر السياسي – الأسئلة الأبدية**"، ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٣.
٤- سوزان سكارو، "**تنفيذ الديمقراطية الداخلية الحزبية**"، سلسلة الأحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن، المعهد الوطني الديمقراطي، ٢٠٠٥).
٥- كينيث جاندا، "**تبني القانون الحزبي**"، سلسلة الأحزاب السياسية والديمقراطية في الجوانب النظرية (واشنطن، المعهد الوطني الديمقراطي، ٢٠٠٥).

ثالثاً- الدوريات والمجلات:

١- الجامعة الإسلامية. (٢٠٠٨)، مجلة الجامعة الإسلامية، **العدد الأول**، المجلد السادس عشر، غزة، فلسطين.
٢- جامعة القدس المفتوحة. (٢٠١٣)، مجلة جامعة القدس المفتوحة، **العدد ٢٩**، الجزء الثاني، غزة، فلسطين.
٣- سحر فرنسيس. (٢٠١٤)، "موقع الأسرى الفلسطينيين في القانون الدولي الإنساني"، مجلة الدراسات الفلسطينية، **العدد ٩٨**.
٤- اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي. (٢٠٠٧)، "مختارات من المجلة الدولية"، برنت رايت للدعاية والإعلان، القاهرة، مصر.
٥- مركز التخطيط الفلسطيني. (٢٠١١)، "البيان الختامي لمؤتمر الأمم المتحدة حول الأسرى في فينا"، مجلة المركز، **العدد ٢٩**، غزة، فلسطين.

رابعاً- رسائل علمية:

١- إسماعيل الداعور. (٢٠١٣)، دور الأسرى في الحركات السياسية الفلسطينية (١٩٨٧-٢٠٠٦)، "**رسالة دكتوراه غير منشورة**"، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.

٢- إياد عطا أبو فنون. (٢٠١٣)، "زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك"، "**رسالة ماجستير غير منشورة**"، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، قسم العلوم السياسية، فلسطين.

٣- زياد أبو زياد. (٢٠١٢)، "تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية ١٩٩٣- ٢٠١٢)"، "**رسالة ماجستير غير منشورة**"، جامعة القدس، قسم العلوم السياسية، القدس – أبو ديس.

٤- عبد الصبور مرزوق:أدب ثورة ١٩١٩، القاهرة، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب ،كلية العلوم، قسم الدراسات الأدبية، "**رسالة ماجستير غير منشورة**"، جامعة القاهرة، ١٩٧٠.

٥- غادة موسى. (٢٠٠٦)، "أثر الاحتلال على ثقافة المقاومة دراسة حالة للثقافة السياسية للمرأة الفلسطينية"، "**رسالة دكتوراه غير منشورة**"، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة.

٦- محمد أبو شريعة. (٢٠١٣)، "الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية (٢٠٠٦ – ٢٠١٢)"، "**رسالة ماجستير غير منشورة**"، جامعة الأزهر كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية، غزة، فلسطين.

٧- مفيد عرقوب. (٢٠٠٨)، "بناء الجملة في شعر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية"، "**رسالة دكتوراه غير منشورة**"، جامعة عين شمس، كلية الآداب، جمهورية مصر العربية.

خامساً- مؤتمرات وندوات علمية:

١- أحمد الريماوي. (٢٠١٣)، الأسري الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

٢- أحمد حماد، زهير عابد. (٢٠١٣)، دور العلاقات العامة في التوعية بقضية الأسرى في سجون الاحتلال، غزة، فلسطين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

٣- إياد شناعة. (٢٠١٣)، أوضاع ومعاناة الأسيرات والأطفال الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية "١٩٦٧م – ٢٠١٢م"، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

٤- تحسين الأسطل. (٢٠١٣)، معالجة الكاريكاتير في الصحف الفلسطينية لقضية الأسرى في السجون الإسرائيلية، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

٥- رشاد المدني. (٢٠١٣)، واقع الأسيرات الفلسطينيات ومعاناتهم داخل السجون الصهيونية، غزة، فلسطين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
٦- رفيق حمدونة، منير شقورة. (٢٠١٣)، " توثيق تجربة الاعتقال الفلسطينية في السجون الإسرائيلية بين الضرورة والتنفيذ وتاريخها"، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
٧- رياض العيلة، عبير ثابت. (٢٠١٣)، الرؤية المستقبلية لحل قضية الأسرى الفلسطينيين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
٨- زكريا العثامنة. (٢٠١٣)، أثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م على المعتقلين الفلسطينيين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
٩- زهير المصري، نجود أحمد. (٢٠١٣)، العلاقات التنظيمية بين الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٠- عايد محمد الحموز. (٢٠١٣)، الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض أساليب التعذيب الإسرائيلية ضد الأسرى الفلسطينيين في محافظة الخليل، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١١- فتحي كلوب. (٢٠١٣)، مفاهيم حقوق الأسرى المتضمنة في محتويات مناهج التربية الوطنية المقررة على تلاميذ المرحلة الأساسية في فلسطين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٢- كمال الأسطل. (٢٠١٣)، القانون الدولي الإنساني وقضية الأسرى الفلسطينيين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٣- محمود عساف، سميرة خليفة. (٢٠١٣)، دور الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة في تعزيز قضية الأسرى في سجون الاحتلال وسبل تفعيله، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٤- مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة. (٢٠١٣)، إبداعات انتصرت على القيد، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٥- مفيد عرقوب، حسين الدراويش. (٢٠١٣)، صورة السجين والسجن والسجّان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٦- نائل إسماعيل. (٢٠١٣)، الأَسَاليب الإنشائيَّة في شعر الأسرى الفِلَسْطينيين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.
١٧- وليد مزهر. (٢٠١٣)، الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين، "مؤتمر الأسرى"، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

سادساً- المقابلات:

١- إبـراهيم عليـان، رئـيس ملتقـى الأسـرى وأسـير محـرر، مقابلـة أجراهـا الباحـث، ٢٠١٥/٦/٢٣، قطاع غزة.

٢- أحلام التميمي، أسيرة محررة، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/١، الأردن.

٣- أحمد أبو طه، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/١٩، غزة.

٤- أحمـد عبـد الـرحمن أبـو حصـيرة، أسـير محـرر، مقابلـة أجراهـا الباحـث، غـزة، ٢٠١٥/١٠/٢٨.

٥- أحمد محي الدين حرز الله، المتحدث باسم مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/١٩، غزة.

٦- أسامة أبو حرب، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٤/٢٠، غزة.

٧- أكرم سلامة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/١٠/٢٣.

٨- بسام المجدلاوي، مدير عام شؤون الأسرى والمحررين ورئيس لجنة هيئة شؤون الأسرى المكلفة في المحافظات الجنوبية، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/١١/١٩.

٩- توفيق أبو نعيم، رئيس جمعية واعد للأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٤/١٢/١٠.

١٠- جبر وشاح، نائب رئيس المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/٤/٢٥.

١١- خضر خليل شعث، المتحدث باسم ملتقى الأسرى والمحررين وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/١١/٢.

١٢- خضـر عطيـة محجـز، كاتـب وأكـاديمي وأسـير محـرر، مقابلـة أجراهـا الباحـث، ٢٠١٥/١١/٢٣، قطاع غزة.

١٣- خضر محمود عباس، كاتب وأكاديمي وأسير محرر، مقابلة، ٢٠١٥/١/١٥، غزة.

١٤- رامي جمال عزاره، المسئول الإعلامي لمفوضية الأسرى وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٣، غزة.

١٥- رائد خالد غباين، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٨/١٩، غزة.

١٦- روضة إبراهيم حبيب، أسيرة محررة، مقابلة، ٢٠١٥/٢/٣، غزة.

١٧- زهير الشوشنية، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٣، غزة.

١٨- زياد سليم سلمي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٤/٢٠، غزة.

١٩- سالم أبو خيزران مسئول زراعة نطف الأسرى بمستشفى رزان التخصصي – نابلس، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/٤/٢٥.

٢٠- سامر أبو سير، قيادي في الجبهة الشعبية وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٦/٢٣، قطاع غزة.

٢١- سلمان سليم جاد الله، أسير محرر وكاتب، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٢٣، قطاع غزة.

٢٢- سليم حسين الزريعي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١/١٠، غزة.

٢٣- سميح كامل حجاج، المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة، مقابلة أجراها الباحث، لبنان، بيروت، ٢٠١٥/١١/١٧.

٢٤- شاكر شبات، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٨/٢٠، غزة.

٢٥- شعبان سليم حسونة، كاتب وروائي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٧، غزة.

٢٦- شكري سلمه، أسير محرر، نائب رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٤/٢٣، رام الله.

٢٧- عاطف مرعى، ***مدير عام*** العلاقات العامة والإعلام وعضو لجنة مكلفة بإدارة هيئة شؤون الأسرى في المحافظات الجنوبية، بادرة أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/١١/١٩.

٢٨- عبد الباري محمد خلة، رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطاع غزة، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١/١١/١٧

٢٩- عبد الحق رمضان شحادة، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٤/٢/١٥، غزة.

٣٠- عبد المنعم حسان أبو عطايا، أسير محرر ومبعد، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٥، إسبانيا.

٣١- عبد الناصر عوني فروانه، رئيس وحدة الدراسات والتوثيق بهيئة شؤون الأسرى وعضو اللجنة المكلفة بإدارتها في المحافظات الجنوبية، وباحث في قضايا الأسرى، مقابلة أجراها الباحث، غزة،٢٠١٥/١١/١٧.

٣٢- عبد الهادي غنيم، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٤/٢٣، قطاع غزة.

٣٣- عدنان الأفندي، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، بيت لحم، فلسطين، ٢٠١٥/١٠/١٠.

٣٤- علام الكعبي، قيادي في الجبهة الشعبية وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٦/١٨، غزة.

٣٥- عماد يعقوب حمتو، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بفلسطين، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/١١/١٧.
٣٦- عمر خليل عمر، شاعر وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١/٥، غزة.
٣٧- فايز أبو شماله، شاعر وكاتب وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١٢/٧، غزة.
٣٨- فهمي محمد كنعان، أسير محرر وأحد مبعدي كنيسة المهد، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٣، قطاع غزة.
٣٩- فؤاد قاسم الرازم، عميد أسرى القدس وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٣، غزة.
٤٠- كفاح العارضة، أسير محرر مبعد، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٤/٢٣، قطاع غزة.
٤١- محمد مصطفى أبو جلالة، كاتب وشاعر وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٣، قطاع غزة.
٤٢- محمود سليمان الزق، قيادي في جبهة النضال الشعبي وأسير محرر، مقابلة، ٢٠١٥/١١/٦، غزة.
٤٣- محمود مصطفى مرداوي، أسير محرر ومبعد، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/٤، غزة.
٤٤- مريم أبو دقة، أسيرة محررة وعضو مكتب سياسي في الجبهة الشعبية، مقابلة، ٢٠١٥/١/٩، غزة.
٤٥- مصعب البريم، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/٤/٢٠، غزة.
٤٦- موفق عبد الرحمن حميد، مدير العلاقات العامة بجمعية " حسام "، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١٠/٢٥، غزة.
٤٧- هشام عبد الرازق، وزير الأسرى السابق، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/٩/٢٨.
٤٨- وائل السعدني، مسئول برنامج التعليم في هيئة الأسرى، مقابلة أجراها الباحث، غزة، ٢٠١٥/٧/١٩.
٤٩- وليد الهودلي، كاتب وروائي وأسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١١/١٠، رام الله.
٥٠- يحيى محمود يحيى، أسير محرر، مقابلة أجراها الباحث، ٢٠١٥/١٠/٢، جباليا.

سابعاً- مواقع الانترنت:

سابعاً- مواقع الانترنت:

١- أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان: www.ahrar.ps
الموضوع : أسرى العزل / أسلوب ممنهج للموت البطيء
نشر بتاريخ / ٢٧، أغسطس، ٢٠١٢
٢- الأسرى للدراسات: www.alasra.ps/ar
الموضوع : تعريف الأسير الفلسطينى
نشر فى يوم / الثلاثاء ، ٢٣ سبتمبر ٢٠١٤، ٠٣:٠٥
٣- بوابة القاهرة: www.cairoportal.com
الموضوع : أسرار الخلوة الشرعية في السجون الداخلية ..
كتب عواد سالم الأحد، ١٩ يناير ٢٠١٤
٤- الجزيرة نت: www.aljazeera.net
الموضوع : نص وثيقة الأسرى الفلسطينيين للوفاق الوطني
نشر بتاريخ: ٢٠١٥/٣/١٦
٥- الحدث اليوم: www.alhadathtoday.com
الموضوع : سفير الحرية السابع والاربعون يرى النور
نشر يوم الاربعاء :٢٠١٥ -١٢-٢٣
٦- دنيا الوطن: www.alwatanvoice.com
الموضوع : مائة أسير بينهم محررون يتخرجون من الجامعة
تاريخ النشر : ٢٠١٥-٠٨-٣٠
٧- سما الإخبارية: www.samanews.com/ar
الموضوع : نبذة عن تبادل ١٩٨٥ بين القيادة العامة واسرائيل
نشر الخميس ١٧ أبريل ، ٢٠١٤
٨- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا: www.wafainfo.ps
الموضوع : هيئة الأسرى: الاحتلال مارس التعذيب بحق ٩٩% من الأسرى الأطفال
تاريخ النشر : ٢٨/٠٧/٢٠١٥
٩- معاً الإخبارية: www.maannews.net/arb
الموضوع : تعذيب الأطفال فى التحقيق
نشر بتاريخ : ٢٠١٥/٠٧/٢٨
١٠- موضوع: www.mawdoo3.com
الموضوع : تعريف الرواية والقصة
نشر بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١٤

المراجع الإنجليزية:

i. **Books:**

1- Bernardi,Bernardo,The concept and dynamics of culture , (1977) , World Anthropology, The Hague، Mouton.
2- cooley, c**:Human Nature and the Social Order**, New York , Charles Horton , 1964.
3- Johnston,Hank &Bert Klandermans , eds**., social movement and culture**, university of Minneapolis, 1995.
4- Inglehart,Ronald،**The silent revolution changing values and political styles among western publics** , Princeton university press , 1977.
5- Mannheim,karl،**Essays on the sociology of culture** , london,routledge,1994.
6- Mead ,G، Mind, **Self and Society from Stand Point of A Social Behaviorist** ,Chicago Univ ,Press 1962.
7- Prus,Robert,Subcultural mosaic and inter subjective realties،An ethnographic research agenda pragmatizing social sciences , state university of new York press , 1997.
8- Radeliff,Brown،**Method in Social Anthropology**, theuniversity of Chicago,1918.
9- Richard, T. 1990. Creativity and problem solving at work.England gower company limited.
10- Verba,Sidny,Gabriel Almond، the civic culture political attitudes and democracy in five nations , Princeton university press , 1963.

ii. Periodicals:

A- (Magazine:

1- Dinca.m.(1993).personality traits as interface between the creative potential and creativity.Revue romance do psychologies,vol.37(2).
2- Elder,linda and Paul ,Richard(2001).Critical thanking، Thanking to some purpose.journal of developmental Education ,25(1).

3- Olson ,J.(1999.What academic librarians, librarianship should know about creative thanking journal of academic ,librarianship,25.(5).
4- Schank , G(1993).Effects of A creative problem solving curriculum on students of varying Ability levels. Gifted Quartelrly ,vol.37,no.1.

iii. **Dissertations Theses:**

المراجع العبرية:

١) זכויות، זכויות אסירים ביטחוניים ، الحقوق: حقوق الأسرى الأمنيين:
///www.myrights.co.il،http
٢) רונן יניב: **אסירים ביטחוניים בבתי – כלא בישראל**، מרכז המחקר והמידע בכנסת، ירושלים، ٢٠٠٩.

تعريف بمعد مساق تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة

– الاسم : الدكتور رأفت خليل عطية حمدونة

– مواليد : مخيم جباليا ١٩٧٠/٨/٨

– الاعتقال : في العام ١٩٩٠ م على خلفية نضالية وحُكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عام وإغلاق جزء من بيته ، أمضى فترة اعتقاله في سجون عدة منها " عزل الرملة ، عسقلان ، نفحة ، بئر السبع ، هداريم ، ريمونيم ، جلبوع " وتم تحريره في ٢٠٠٥ بعد قضاء كامل محكوميته .

مؤهلات تعليمية :

– بكالريوس : علم اجتماع وعلوم انسانية (الجامعة المفتوحة في اسرائيل – عام ٢٠٠٥) وشهادة امتياز عام ٢٠٠١ .

– ماجستير : دراسات اقليمية تخصص دراسات اسرائيلية من جامعة القدس " أبو ديس " ، بامتياز ٩٠,٩% " عام ٢٠٠٨ .

– دكتوراة : فى " العلوم السياسية " من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة مع مرتبة الشرف الأولى مع توصية بالطباعة في العام ٢٠١٦ برسالة تحت عنوان الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة .

– ماجستير مهني : تدريب وتنمية بشرية بتقدير ممتاز من البرنامج المشترك بين الأكاديمية الدولية وبوليتكنيك المستقبل التطبيقي .

خبرات سابقة :

– محاضر جامعى غير متفرغ بجامعة القدس المفتوحة .

– مدرب محترف ممارس معتمد في التنمية البشرية من المركز العالمي الكندي .

– مدرب في مجال الصحافة واللغة العبرية والاعلام الاسرائيلى .

من مؤلفاته داخل الاعتقال " نجوم فوق الجبين – عاشق من جنين – الشتات – ما بين السجن والمنفى حتى الشهادة – قلبي والمخيم – لن يموت الحلم – صرخة من أعماق الذاكرة ، يعمل مديرًا عامًا بهيئة شئون الأسرى والمحررين ، وعضو لجنة مكلف بإدارتها فى المحافظات

الجنوبية ، وناطقاً اعلامياً لها فى إحدى الفترات ، ومديراً لدائرة القانون الدولى ، ومستشاراً لوزير الأسرى فى الشأن الاسرائيلى ، ومديراً لمركز الأسرى للدراسات والأبحاث الإسرائيلية ، وعمل مديراً للبرامج فى إذاعة صوت الأسرى ، ومحاضر غير متفرغ فى الجامعات الفلسطينية ، ومقدم برامج اذاعية وتلفزيونية .